دور حمدان خوجة

في تطور القضية الجزائرية

(1827 - 1840)

بحث نال به صاحبه شهادة الماجستير
بتقدير مشرف جدا في التاريخ الحديث

دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية

(1827 ـ 1840)

بحث نال به صاحبه شهادة الماجستير
بتقدير مشرف جدا في التاريخ الحديث

حميدة عميراوي
أستاذ مكلف بمحاضرات

نشر



الطبعة الأولى
1407 هـ ـ 1987 م

طبع بمطابع دار البعث ـ قسنطينة ـ الجزائر

رقم الايداع القانوني
39685
1987
و. قسنطينة


بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

إلى كل من ضحّى

وسيضحي من أجل أن تعيش

الجزائر حرة ومتطورة

توطئــة

قدمت هذه الرسالة الى معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة - الجزائر، قصد الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث.

وكانت لجنة المناقشة تتكون من الدكاترة :

- الدكتور الاستاذ ابراهيم فخار (الجزائر) رئيسا - جامعة وهران.
- الدكتور الاستاذ توفيق برو (سوريا) مقررا - جامعة قسنطينة.
- الدكتور الاستاذ جبارة تيسير (فلسطين) عضوا - منتدب من احدى الجامعات الأمريكية.
- الدكتورة الاستاذة صبيحة الخطيب (العراق) عضوا - جامعة الجزائر.

وقد ارتأيت استبقاء الاطروحة على اصالتها ومميزاتها مثلما قدمت للجنة المناقشة يوم 16 جوان 1983، دون أن أحدث تغييرات فيها .. على الرغم مما توفرت لنا من مادة خبرية حول الموضوع..

الاستاذ حميدة عميراوي

جامعة قسنطينة - جانفي 1985

المقدمـة

إن البحث في القضية الجزائرية، وتطورها خلال الفترة الأخيرة من العهد العثماني، والعشر سنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي، من أهم الدراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر.

ودراسة شخصية حمدان خوجة ودورها في تطور هذه القضية، تعد من الدراسات الجديرة بالاهتمام، نظراً لما لهذه الشخصية من ابعاد سياسية وفكرية وإصلاحية. وعلى الرغم من أهميتها لم تنل حظها من البحث، وظلّت مجهولة كغيرها من الشخصيات الوطنية خلال فترة غير قليلة من عهد الاستعمار الفرنسي.

ولعل ذلك يعود إلى تخوف المستعمر من أن يتزايد الشعور الوطني للشعب الجزائري بإحياء تراثه الوطني.

وبناء على هذا فقد شعرت بأهمية هذه الشخصية وبعلاقتها بتطور القضية الجزائرية، فتناولتها في موضوع بعنوان: **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840)** وهي الفترة التي بدايتها الحصار الفرنسي ضد الجزائر، ونهايتها توقف نشاط حمدان خوجة، وبداية جديدة لمرحلة من تطور القضية الجزائرية، خاصة بتولي بيجو الحكم في الجزائر. وقسمته إلى خمسة فصول وخاتمة. تناولت في الفصل الأول بالدراسة، الأسباب الجوهرية التي أحاطت بالقضية الجزائرية منذ فترات سابقة عن الاحتلال، وبينت أنه لا يمكن دراسة ظروف الاحتلال بمعزل عما كان يجري على الساحة الدولية، وكذا العوامل التي ساهمت في إضعاف وجاق الجزائر، الأمر الذي سهل مهمة الحملة الفرنسية. من تلك العوامل ما أصاب الدولة العثمانية من وهن وضعف من جهة، وما جعل الدول الأوربية في قوة وتقدم، من جهة ثانية. وما كان من صراع بين وجاق الجزائري وكل من نظام الحكم في تونس والمغرب. بالإضافة الى التناحر الذي كان

بمزق وحدة الصف الجزائري، نتيجة الخلافات بين التشكيلات الاجتماعية الجزائرية والنظام العثماني.

واستغلت فرنسا هذه العوامل وحاولت أن تقضي على الوجاق، فحاولت أن تستخدم محمد علي والي مصر ليحطم قوة الولايات المغربية، إلا أن المحاولة فشلت، فقامت فرنسا بالحملة لوحدها، مستخدمة أساليب مختلفة، منها الزعم بأنها ترغب في القضاء على القرصنة والاسترقاق. لهذا وقفت في صفها بلاطات أوربا، فبينت ردود فعل حكمها، وموقف كل منها على حده وفقاً لمصلحة كل منها، كما بينت بالدراسة ردود الفعل لدى الباب العالي، وما قام به من مساع دبلوماسية خلال الحصار ليصرف أنظار فرنسا عن الاحتلال. وكذلك ردود الفعل داخل فرنسا على الصعيدين الرسمي والشعبي.

أما الفصل الثاني فقد خصصته لدراسة حياة حمدان خوجة وآثاره، فتحدثت عن أصله ومولده، والمحيط الثقافي والاجتماعي الذي نشأ فيها، وعن تعلمه وثقافته، وعن آثاره العلمية، فتحدثت كذلك بشيء من الاختصار عن جانب هام من شخصيته، وهو جانب الاصلاح، كيف أنه دعا الى نبذ التعصب والتزمت، ودعا الى الاقبال على الأخذ بالعلوم التجريبية، ونبه الى سلوك المرابطين الخاطئ.

وعقدت الفصل الثالث لدراسة فترة الاحتلال من سنة 1830 إلى سنة 1834. حيث تتبعت نشاط حمدان خوجة، وغيره من الشخصيات الوطنية، فتحدثت عن علاقات حمدان بقادة الاحتلال، وكيف كانت تتأرجح بين القوة والضعف، الود والكراهية، وبينت أهم الأدوار التي لعبها حمدان وهو في الجزائر، كانت في عهد دوروفيكو، حيث صار حمدان موضع ثقة لدى هذا الحاكم، الذي كلفه بأن يتصل بالمرابط ابن عيسى، وبزعيم المقاومة في الشرق أحمد باي.

وكذلك عن الجزائريين وما أبدوه من مقاومة، سواء شعبية أو منظمة، إذ أنه منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين أرض الجزائر هب الشعب الجزائري سواء في الوسط أو الشرق أو غرب، يواجه الخطر الأجنبي، تدفعه الغيرة على الوطن والدين، والاعتزاز بالنفس.

وتحدثت أيضا عن ردود الفعل لدى الباب العالي، وما قام به من مساع دبلوماسية وبهدف اجلاء فرنسا عن الجزائر بعد احتلالها. وكذلك عن مواقف الدول الأخرى وبخاصة منها بريطانيا التي كشفت اللثام عن حقيقة وجهها فأيدت الاحتلال الفرنسي. كما بينت غموض السياسة

الفرنسية خلال هذه الفترة، وكذلك «المعارضة الفرنسية» للحكومة، وما نتج عنه داخل الحكومة والبرلمان.

وأفردت الفصل الرابع للحديث عن تطور القضية الجزائرية ونشاط حمدان خوجة (1834 ـ 1836) فاستخلصت الأسباب التي دفعته للتروح إلى فرنسا فأبرزت أهم أوجه النشاط التي قام بها مع بقية العناصر الوطنية الأخرى، في باريس لصالح القضية الجزائرية. وبينت كيف أنه وجد الجو السياسي مناسباً فوسع من دائرة نشاطه، حيث اتصل بأعضاء حزب المعارضة الفرنسية، وبحسونة الدغيس، وبرجال الدولة العثمانية، فرفع عدة شكايات خاصة إلى وزارة الحربية الفرنسية وصف فيها تعسف الادارة الفرنسية ضد الجزائريين كما بعث جملة من الرسائل إلى رجال الباب العالي يحثهم فيها على التدخل لإنقاذ الجزائر، منوهاً بخطر فرنسا، وأنه لن يقتصر على الجزائر فحسب، بل سيمتد إلى كل من تونس والمغرب. وألف المرآة الذي يعد أهم وثيقة لإدانة السياسة الفرنسية في الجزائر. كما قدم مذكرة للجنة الافريقية.

وبينت من جهة أخرى ما كان يجري داخل الجزائر خلال هذه الفترة حيث أن القبائل الجزائرية هبت والتحمت فيما بينها خاصة ناحية الغرب الجزائري والوسط والشمال القسنطيني، وقادت الجهاد في سبيل الدين والوطن. فاستطاع الأمير أن يؤسس دولة قوية، ويطورها. وقاد أحمد باي من جهته المقاومة في الشرق، الأمر الذي جعل السلطة الفرنسية تراجع سياستها، وتتبنى أساليب أخرى، تمكنت بها في النهاية من بسط نفوذها على الرغم، من المعارضة الفرنسية، والعثمانية.

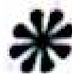
أما الفصل الخامس، فأدرجته تحت عنوان حمدان خوجة وتطور القضية الجزائرية من سنة 1836 إلى 1840. تحدثت فيه عن مكانة حمدان في اسطنبول، إذ عُدّ في مقدمة الشخصيات السياسية الخبيرة بشؤون المغرب بعامة، وبأمور الجزائر بوجه خاص. فعهدت اليه مهام تتصل بسياسة الباب العالي إزاء القضية الجزائرية، وقد بذل من الجهد الشيء الكثير، لصالح القضية الجزائرية بعامة، وأحمد باي بوجه خاص، حيث راسل زعيمي المقاومة أحمد باي والأمير عبد القادر يناشدهما توحيد الجهود ضد العدو المشترك. وكان لنشاطه أثر كبير في توجيه السياسة العثمانية الخاصة بالقضية الجزائرية. فحاول الباب العالي التدخل سياسيا لنصرة أحمد باي، إلا أنه فشل لعدة عوامل أهمها: ما أصابه من ضعف. وبذلك الفشل سهلت مهمة فرنسا في الجزائر وتمكنت من احتلال البلاد، وعقد معاهدة مع الأمير، واحتلال قسنطينة.

وبينت ردود الفعل داخل فرنسا، ولدى الأنظمة الأوربية، وفقاً لمصلحة كل منها، ولتطور الظروف الدولية.

ثم تحدثت عن السياسة الفرنسية داخل الجزائر وما قامت به من أعمال قصد تثبيت أقدام الاستعمار.

وكان من المفروض أن أعقد فصلا يعالج السياسة العثمانية تجاه الحصار والاحتلال الفرنسي للجزائر، الا انني رأيت أن أوزع هذا الفصل على بقية الفصول الأخرى وذلك مراعاة للتسلسل الزمني والربط المنطقي.

هذا وقد أضفت إلى موضوع بحثي بعض الوثائق التي هي عبارة عن رسائل، وغيرها، وجعلتها على شكل ملاحق.



عرض ونقد لأهم مصادر البحث

تمثل نسبة المصادر من مؤلفات معاصرة لفترة البحث، والنادرة، أكثر من ثلثين، منها باللغة الفرنسية أكثر من 90٪ بالإضافة إلى 7 أعداد من جريدة أخبار الجزائر (Le Moniteur Algerien) . و14 مجلة متنوعة تم الاطلاع عليها من حوالي 7 أرشيفات وحوالي 9 مكتبات.

ومن المصادر التي اعتمدتها:

1 ـ المرآة: أثير الجدل حول المرآة، اذ ذهب البعض الى القول: ألف حمدان كتابه بالعربية ثم ترجمه الى الفرنسية، في حين استبعد البعض أن يكون هذا من تأليف حمدان، والظاهر أن المدة القصيرة المقدرة بحوالي ستة أشهر التي ألف حمدان خلالها المرآة، هي التي أوقعت الباحثين في هذا الخلاف وأثارت بينهم الجدل، اذ أن البعض أمثال جوليان استكثروا ذلك على حمدان، بحجة أن ما ورد في هذا المؤلف هو من فكر أوربي، وليس من طبيعة الشرقي أو يكتب بمثل هذا الأسلوب للمزيد من المعلومات انظر : الفصل الثاني.

2 ـ اتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء :

قام محمد بن عبد الكريم بتحقيق وتقديم هذا المؤلف، وقد اعتمدنا هذا التحقيق في دراستنا، ولهذا المؤلف أهمية كبيرة نظراً لما يحتوي عليه من معلومات

تاريخية وأفكار إصلاحية. وتظهر قيمة هذا الكتاب في أن صاحبه قد وظف طاقته الفكرية واستخدم مصادر هامة. وعلى الرغم من كثرة الاقتباسات التي استشهد بها، الا أن شخصيته بقيت واضحة، للمزيد انظر الفصل الثاني من هذا البحث.

3 ـ مذكرات الحاج أحمد باي:

يعود الفضل إلى مارسال أمريت (Marcel EMERIT) M الذي نشر هذه المذكرات في المجلة الافريقية سنة 1949، وعرّبها العربي الزبيري، ونشرتها الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1973. وكان أحمد باي كتب هذه المذكرات في الفترة الأخيرة من حياته، وهو في العاصمة، ولسنا ندري أكان أملاها أم كتبها بخط يده بالعربية.

ومهما يكن فالمذكرات أهمية كبيرة نظراً لما تشمل عليه من حقائق تاريخية حيث تحدث فيها عن ظروف الحرب أثناء نزول القوات الفرنسية، وعن مقاومته ضد الفرنسيين وعن سقوط قسنطينة وعن اتصالاته بالباب العالي واستسلامه إلى الفرنسيين رغما عنه. وبعد المقارنة وجدنا ما قاله في المذكرات مطابقاً لما في مراسلاته مع رجال الباب العالي.

4 ـ حوليات جزائرية ANNALES ALGERIENNES

نشرها رنودي بيليسي (1800 ـ 1858) وهو أحد الضباط الفرنسيين الذين لعبوا دوراً هاما لخدمة الاحتلال. تولى منصب ضابط بأركان الحرب، ومدير مكتب للشؤون العربية وعضو في اللجنة العلمية التي أنشئت سنة 1839، مكلف بمهمة في طرابلس الغرب، ثم قنصل في بغداد (1852). ونشر حولياته هذه في بادئ الأمر على شكل مجلة سنوية، استمرت من سنة 1836 إلى سنة 1839، على قسمين:

الأول ـ تاريخي محض.

الثاني ـ خاص بالمسائل العامة.

ثم أعيد طبع الحوليات، وهي التي اعتمدناها، سنة 1854، في ثلاثة أجزاء:

الجزء الأول : يشتمل على ستة عشر قسما، تحدث فيها عن أسباب الحرب بين الجزائر وفرنسا، وسقوط مدينة الجزائر، والتوسع الفرنسي في الغرب والشرق، وعن إدارة من تولى القيادة العامة بالجزائر، وعن علاقات أعيان الجزائر بإدارة الاحتلال.
الجزء الثاني : يشتمل أيضاً على ستة عشر قسما، بداية الحديث فيه عن المارشال كلوزال كحاكم عام، بالإضافة إلى الحديث عن المعارك التي دارت بين الجزائريين، وجيش الاحتلال، وعن المفاوضات التي جرت بين هذا الحاكم والأمير، وعن الحملة إلى قسنطينة.

الجزء الثالث : يحتوي على أحد عشر قسما، بالإضافة إلى ملخص هام بين الأحداث السياسية والمفاوضات التي جرت بين الأمير والادارة الفرنسية وعن لجوء الأمير إلى التراب المغربي، واستسلامه إلى الادارة الفرنسية.

وتعتبر الحوليات من المصادر الأساسية لدراسة تاريخ الجزائر الحديث نظراً لما تحتوي عليه من حقائق تاريخية قيمة، ولمعاصرتها للأحداث،ولاعتمادها هي الأخرى على مصادر أولية.

5 ـ تاريخ الجزائر المعاصر (Histoire de l'Algerie Contemporaine)

لشارل أندري جوليان. في رأينا لا يتطابق العنوان مع المحتوى، لأن الدارس لهذا المؤلف، يدرك أن جوليان، لم يدرس تاريخ الجزائر، فكراً وحضارة وثقافة، انما درس الاحتلال الفرنسي، واننا نشاطر أبا القاسم سعد الله حين قال في مؤلفه: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، قال: إن جوليان لم يؤرخ للجزائريين إنما للقوة الاستعمارية التي احتلت الجزائر ـ انتهى قول سعد الله ـ لهذا جاءت كتابته عبارة عن تراجم، انتقى ثم قيم، كأنه أراد أن يكون قاضيا ومحاميا في نفس الوقت. بينما كان من

المفروض أن يكون فيه قاضي تحقيق على الأكثر. ولعل مرد ذلك هو أنه أراد أن يوفق بين المعمرين والجزائريين، فكان بنتي؛ الا أن الظروف تجاوزته نتيجة للتطور ولظهور كتابات جديدة، من طرف مفكرين فرنسيين، وفي مقدمتهم شارل روبير أجرون، ونوشي. وان كان يمكن القول من جهة أخرى، يعتبر هذا المؤلف أقصى ما كتب فرنسي أثناء العهد الأخير من الاحتلال الفرنسي.

6 ـ جورج دون (Georges douin)

في كتابه (حملة محمد علي على الجزائر) من المصادر القيمة التي لا يمكن الاستغناء عنها لدراسة هذه الفترة، وقيمته تصح في أنه اعتمد على مراسلات قناصل البلدان التركية، المصرية، الروسية، البروسية، الانجليزية، والنمساوية. كما انه اعتمد أهم المذكرات والمؤلفات الهامة، وأرشيف عابدين، بالإضافة إلى الدوريات القيمة.

7 ـ جون سراس (Jean SERRES)

في كتابه (السياسة التركية بالشمال الافريقي) من أهم المصادر في اثراء أي بحث خلال هذه الفترة، لأنه اعتمد في دراسته هذه على أهم المراسلات المحفوظة بأهم الأرشيفات، خاصة مراسلات السفراء والقناصل. بالإضافة إلى أهم الدوريات والمؤلفات القيمة. ويؤخذ عليه في بعض المواطن أنه تحيز لفرنسا، وبرر غزوها للجزائر بعدة أسباب وصفها بالموضوعية (مثلا ص. 15).

8 ـ كوران أرجمند ـ السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر :

اتخذ من الأرشيف التركي مصدراً لبحثه خلال الفترة العثمانية في الجزائر، والفترة الأولى من الاحتلال الفرنسي، وتعد دراسة نادرة، لأن أغلب الدارسين الغربيين اتخذوا من أرشيفات أوروبا أساساً لأبحاثهم، دون الاعتماد على بقية

الأرشيفات الأخرى التي لا تقل أهمية، وقد يكون مردّ نظرة هؤلاء الدارسين الأوربيين إلى هذه الأرشيفات غير الأوربية، نظرة استخفاف، وأيضا أن هذه الأرشيفات لم تفهرس.

وعلى الرغم من الفرصة التي أتيحت إلى كوران ـ قلما تتاح لغيره ـ فانه لم يتوسع في موضوع هذا البحث، ولم يستخدم وثائق كثيرة،على الرغم من كثرتها، وبالمقارنة مع كتاب سراس، نجد هذا الأخير أوسع وأعمق، على الرغم من عامل الزمن الفاصل بين التأليفين؛ سراس سنة 1925، كوران سنة 1953 ـ ولعل من العوامل التي حدت بكوران الى التزام التركيز والاختصار، هو كما قال التميمي عبد الجليل :

لقد عثر كوران على كثير من الوثائق ولكنه لم يدْرس إلّا قليلها.. فاضطر إلى حصر الموضوع في مساعي السياسة العثمانية لاسترجاع الجزائر، وأن يذكر الوثائق التي تخدم هذا الغرض فقط. (كلمة الطبعة الأولى لترجمة كتاب كوران) .

ويلاحظ على كوران التحيز إلى النظام التركي، خاصة لما حمّل فرنسا المسؤولية في كل شيء، بينما كان للباب العالي ولداي الجزائر دور في تأزم الموقف بين فرنسا والجزائر من جهة ، وفي تمكن فرنسا من احتلال الجزائر والتوسع فيها من جهة أخرى.

9 ـ المراسلات

وخاصة منها التي صنفها كل من أسكي (Esquer Gabriel) وايفار (Georges Yver) فاعتمدت على ما جمعه اسكي؛ سواء مراسلات الجنرال دوق دوروفيكو بأجزائها الثلاثة، وكذلك على مراسلات القادة الآخرين.

وجاء عمل اسكي هذا عقب القرار الصادر يوم 1910/12/24 الذي أنشئت بمقتضاه لجنة خاصة لجمع الوثائق غير المنشورة والخاصة بالتاريخ السياسي والعسكري والاداري الفرنسي في الجزائر، بعد سنة 1830. وقد اعتمد اسكي في عمله هذا على:

- الأرشيف العام لحكومة الجزائر. A.G.G.A
- الأرشيف التاريخي لوزارة الحربية، A.H.M.G.
- أرشيف وزارة الشؤون الخارجية، A.M.A.E.
- الأرشيف الوطني، A.N.

وبناء على هذا لا يمكن الاستغناء عن هذه المصادر لدراسة هذه الفترة. وبعد هذا لا أستطيع أن أزعم بأني قلت الكلمة الأخيرة عن هذا الموضوع، وانما أقول بأن ما قدمته من دراسة وما بذلته من جهد، لا يعدو إلا أن يكون مساهمة متواضعة، أبرزت خلالها بعض الجوانب من القضية الجزائرية وما كان يحيط بها من غموض، آملاً في أن تتكاثف الدراسات في المستقبل للمزيد من الإثراء.

ولا تستهويني الرغبة للحديث عما واجهني من صعوبات ، فهي كثيرة وحادة، فالبحث في رأيي درجة من درجات الموت، في هذا الظرف.

ولا يفوتني أن أتوجه بأخلص الشكر والاعتزاز إلى استاذي المشرف الفاضل الدكتور برو توفيق، الذي منحني الشيء الكثير من وقته وجهده وعلمه واني أعترف له بالفضل الجزيل، في تذليل الصعاب التي كثيرا ما كانت تعترض طريقي،فلولاه ما كنت استوعبت الكثير من القضايا المنهجية، والعلمية، خاصة الرسائل المكتوبة باللغة التركية القديمة، فهو الذي ترجمها،واعتمدتها،فجزاه الله خيرا. كما أشكر الأستاذ الفاضل الدكتور العيد مسعود الذي قدم لي خدمات جليلة، أثرت موضوع بحثي أيما اثراء، حيث زودني بمصادر وخصص لي الكثير من وقته، فجزاه الله خيرا. ولا يفوتني أن أشكر الأستاذ الكريم الدكتور أبا القاسم سعد الله، الذي زودني بمعلومات قيمة

خدمت صلب الموضوع خدمة مباشرة. كما اني أعترف بالجميل الذي أسداه لنا الدكتور التميمي عبد الجليل الذي وجهني سواء بطريق مباشر أو غير مباشر، إلى الكثير من الوثائق وقد أرسل الينا من تونس مادة خبرية، كانت من أسس الموضوع. واعترف بالجميل للأستاذ الدكتور خليل الساحلي بكلية الاقتصاد، اسطنبول، الذي زودني بمعلومات سهلت من مهمتي، لإنجاز بحثي. كما اني لا أنسي أن أشكر القائمين على خدمة المكتبة الوطنية بالجزائر، وأرشيف ولاية قسنطينة، أرشيف الوزارة الأولى التونسية وأرشيف ما وراء البحر بأكس أون بروفنس وأرشيف وزارة الحربية باريس، ومسؤولي مكتبة جامعة قسنطينة، ومكتبة ولاية وبلدية قسنطينة، ومكتبة معهد العلوم الاجتماعية بجامعة قسنطينة، والمكتبة السليمانية باسطنبول، على ما قدموه من مساهمة في انجاز هذا البحث،وأشكر كل من ساهم في اثراء هذا الموضوع سواء من قريب أو من بعيد وأخص بالذكر ادارة معهد العلوم الاجتماعية ونيابة مديرية البحث العلمي بجامعة قسنطينة.

المختصرات

-A.O.M. : أرشيف ما وراء البحر، بأكس أون بروفنس.
-A.M.G. : أرشيف وزارة الحربية الفرنسية ، فانسان، باريس

-A.G.T. : أرشيف الوزارة الأولى التونسية، تونس.
-B.A. : أرشيف وزارة الخارجية باسطنبول.
ش.و.ن.ت : الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائرية.
(S.D.) : بدون تاريخ.
مخ. : مخطوط.
س ؟ ط ؟ : غير معروف سنة الطبع ومكان الطبع.
-R.O.M.M.: مجلة الغرب الاسلامي والبحر المتوسط.
R.H.M. . : المجلة التاريخية المغربية.

وبالفعل جدت أحداث خطيرة داخل كيان كل قوة، اذ حدثت اضطرابات بجمهورية بولندا، وكذلك في بعض المواطن الأوروبية الخاضعة لنفوذ الامبراطورية العثمانية، في الوقت الذي بدأ فيه التفكك يمزق وحدة الامبراطورية المقدسة.

وهكذا ظهرت دول فتية على حساب هذه القوى الثلاث، ونذكر من هذه الدول التي نمت بسرعة، النمسا وبروسيا اللتان اعتنقتا النظام الملكي منذ سنة 1700، وكذلك الروسيا التي ظهرت بقوة على المسرح السياسي (2)، وفرنسا التي قوى مركزها خاصة بعد أن حدث تقارب بينها وبين النمسا فكونت امبراطورية شاسعة الأطراف على يد ريشليو (Richilieu) وكولبير (Colbert). الا أن نجمها قد أفل منذ عام 1763 حين أجبرت على التخلي عن مستعمراتها في الهند وكندا لبريطانيا، نتيجة لحروب السبع سنوات (3).

في الوقت الذي ظهرت فيه هذه الدول وبدأت قواتها تنمو كانت ولايات المغرب العربي وفي مقدمتها الجزائر تحتل مركز القوة في حوض البحر المتوسط وذلك بفضل قوة أسطولها البحري، من جهة، ودعم الباب العالي لها، من جهة ثانية.

ومن المؤكد أن الدول الأوروبية وفي مقدمتها فرنسا قد انتابها الخوف منذ أن توحدت أقطار المغرب (الجزائر، تونس، وطرابلس) تحت سلطة واحدة هي الباب العالي. ونذهب الى أن فرنسا انتابها الخوف بناء على تدخل سفير فرنسا لدى الباب العالي الذي طلب منه أن يعمل على تغيير نظام الحكم في الجزائر (4)، وأيضا من

---

(2) ظهرت الروسيا كدولة قوية بفضل أعمال بطرس الكبير (1632 - 1725) الذي استطاع أن يخرج الروسيا من العزلة ويطورها بسرعة لتصبح مهابة الجانب. للمزيد راجع بالمر، نفس المرجع، ص 354 وما بعدها.
وكذلك: Paul Pillant, *Cent ans d'histoire*, vuibert, Paris, 1947, pp. 82--88.

(3) راجع: محمد محمد حسين، الاستعمار الفرنسي، ط 3، دار النصر للطباعة والنشر والاعلام، القاهرة 1912، ص 1.

(4) GARAMMONT, H., *Histoire de l'Algérie sous la domination Turque (1515--1830)* *ERNEST* laroux, Paris, 1887, p. 100 Le Roux.

تطور السياسة الدولية وأثرها في اضعاف وجاق الجزائر

منذ مؤتمر ويستفاليا (1648) [1] تقاسمت السيادة في أوروبا ثلاث قوى هي:
الامبراطورية الرومانية الجرمانية المقدسة.
الامبراطورية العثمانية.
جمهورية بولندا.

ولم تكن هذه القوى تتشابه فيما بينها من حيث نظام الحكم، علاوة على التباين فيا بينها من حيث الجنس، فالعناصر السكانية التي تتكون منها هذه القوى مختلفة من حيث العرق واللغة والعادات والتقاليد.

وعلى الرغم من هذا الاختلاف فهي تلتقي في نقاط بارزة منها: أن السلطة المركزية في كل منها كانت ضعيفة تنقصها أجهزة كفؤة في الجيش والادارة، مما أدى بالضرورة الى تغييرات داخل أوروبا وآسيا، انعكست آثارها على ولايات المغرب بعامة والجزائر بوجه خاص.

(1) جاءت هذه المعاهدة أساسا للتوازن الدولي، ونتيجة للحروب الدينية التي قامت في بوهيميا ودامت ثلاثين سنة (1618 ـ 1648). للمزيد من المعلومات راجع بالمر، تاريخ العالم الحديث، ترجمة محمود حسين الأمين، ج 1، مكتبة الوفاء، الموصل، 1964، ص 219 وما بعدها.
وكذلك محمود فريد بك المحامي. تاريخ الدولة العلية العثمانية، مطبعة التقدم، القاهرة، 1912، ص 130.

الفصل الأول

تطور السياسة الدولية وأثرها
في اضعاف وجاق الجزائر

الحملة الفرنسية على الجزائر وردود الفعل

اهتمام نظام الحكم الفرنسي بالجزائر وتقربه من الباب العالي، قصد الحصول على مواطن نفوذ بالساحل الجزائري[5]. وكذلك من مواقف الدول الأوروبية تجاه ولايات المغرب،

وكذلك من مواقف الدول الأوروبية تجاه ولايات المغرب، خاصة موقف اسبانيا التي تزعمت حربا صليبية ضد المسلمين، كما تزعمت الجزائر من جهتها الجهاد البحري ضد المسيحين، وقد نتج عن التحرشات الاسبانية الحاق خسائر بولاية الجزائر ومنها احتلال مدينة وهران مدة طويلة.

وحدثت تطورات خطيرة باندلاع الثورة الفرنسية عام 1789 والتي قامت كحدث محلي نتيجة لأوضاع فرنسا السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومع ذلك انتقلت مبادئها الى جميع أنحاء أوروبا. وكان من نتائجها أن ظهرت فرنسا أقوى دولة بجانب انجلترا، وتمكنت من السيطرة على أجزاء غير قليلة من أوروبا[7]

وأثناء احداث الثورة الفرنسية ومضايقة الأنظمة المحافظة لها تقرب نظام الحكم الفرنسي من نظام الحكم في الجزائر للتزود بما يحتاجه من الحبوب.

وبمجيء نابليون بونابرت الى الحكم (1799)[8] استرجعت فرنسا قوتها وطورت سياستها فظلت سيدة الموقف حتى تاريخ 1815. فأسس نابليون خلالها

---

(5) يعود اهتمام نظام الحكم الفرنسي للجزائر إلى عهد شارل التاسع الذي طلب من الباب العالي تسليم الجزائر له مقابل مبلغ من المال. وقد حصلت فرنسا على اعتراف من الباب العالي سنة 1604 يمنحها امتيازات صيد المرجان في القالة. صلاح العقاد، المغرب العربي، ط 3، مكتبة الأنجلو المصرية، 1969، ص ص. 44 ـ 45.

(6) بقيت هذه المدينة بيد الاسبان إلى أن افتكها الباي محمد الكبير سنة 1791.

(7) طرحت الثورة الفرنسية جدلا واسعا وتصورات كثيرة حول أنظمة الحكم والتنظيمات الاجتماعية والاقتصادية، فهي بحق تعد أخصب حقل لتجارب الأنظمة المتعلقة بحياة الشعب الفرنسي، بخاصة وبالشعوب الأوروبية بوجه عام. للمزيد راجع : أ. جرانت، ترجمة بها فهمي، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج 1، مؤسسة سجل العرب، القاهرة 1978.

(8) مرت الثورة الفرنسية بعدة مراحل عرفت خلالها أنظمة حكم مختلفة: الجمعية الوطنية، الجمعية التشريعية، حكومة المؤتمر، الادارة ، القنصلية، وأخيرا الامبراطورية.

امبراطورية، توج على رأسها سنة 1804. ومنذئذ تأكد له أنه كي يستمر نظامه قويا لا بد له من أن يخضع كلا من بريطانيا[9] وبروسيا والولايات العثمانية بالمغرب العربي.

واستطاع نابليون أن ينتصر على أغلب الدول الأوروبية، النمسا وبروسيا والروسيا والولايات الايطالية والبرتغال واسبانيا[10]. وكان لزاما عليه أن يحمي تجارة كل من انضم الى حضيرته سواء بالقوة أو طواعية، ولا يتأتى له ذلك الا اذا تمكن من شل قوة الأسطول المغربي عامة، والجزائري خاصة. ولعل هذا ما حدا بنابليون أن يبعث الى داي الجزائر سنة 1802 رسالة يعرب له فيها عن رفضه لدفع الديون التي كانت للجزائر على فرنسا، والتي تطالب بها الجزائر أكثر من مرة. وكتب نابليون في نفس السنة الى امبراطور الروسيا الأكسندر الأول يقول له: أنه من العار على الدول الأوروبية أن ترضى بالقرصنة المغربية[11].

ويكون هدف نابليون من هذا كسب الروسيا إلى صفه، خاصة وانها صارت في هذا الظرف دولة قوية، وأنها ستساهم بما لها من قوة في اضعاف قوة الباب العالي، كل ذلك يعني اضعاف ولايات المغرب. وان كنا نستبعد عن نابليون رغبته في أن تتدخل الروسيا مباشرة في ولايات المغرب، لأن ذلك سيولد عاملا منافسا له في حوض البحر المتوسط.

---

(9) كان من الحتمي أن يحتدم الصراع بين فرنسا وبريطانيا لتضارب مصالحهما وتكافؤهما في القوة، اذ كان كل طرف يسعى لتوسيع مناطق نفوذه. واستمر الصراع عنيفا إلى أن سقط نابليون نهائيا في معركة واترلو 1815، نتيجة لعوامل موضوعية لا يجوز ذكرها هنا.

(10) تمكن نابليون من هزيمة النمسا 1805، وبروسيا 1806، والروسيا 1807. ومن ثم اتجه إلى البرتغال واسبانيا والولايات الايطالية قصد تطبيق «الحصار القاري» ضد بريطانيا لأنه أدرك تفوقها البحري، ولا يمكن مواجهتها الا بهذا الأسلوب.

(11) Testa (Barbon de.,) *Recueil des Traités de la porte Ottomanne*, T I, Paris, 1864, p. 444.
كثير من المؤرخين العرب يتحرجون من ذكر كلمة «القرصنة المغربية»، انما هي جهاد ضد القرصنة الأوروبية، ولا سيما التي كان يقوم بها فرسان مالطا وغيرهم من الايطاليين والاسبان.

وترجم نابليون اهتمامه بولايات المغرب عمليا بأن أرسل أخاه جيروم سنة 1805 على رأس حملة إلى الجزائر استطاعت أن تفك سراح حوالي 231 أسيراً مقابل مبلغ من المال وقدره 80.000 فرنك[12].

وقد لقي نابليون من التأييد ما شجعه أكثر على السعي لتحقيق هذا الهدف، ونذكر من مقدمة المؤيدين طاليران (Talleyrant) الذي دعا أكثر من مرة إلى ضرورة التدخل ضد ولايات المغرب بعامة والقضاء على الأسطول الجزائري بوجه خاص[13].

وبناء على هذا يكون نابليون قد شغلته ولايات الجزائر وفكر في القضاء عليها، أو على الأقل في اضعافها، الا أن قضايا أوروبا منعته من القيام بذلك.

وبمجرد أن تمكن من السيطرة على مناطق هامة وواسعة في أوروبا،جدد اهتمامه بمنطقة المغرب، وعقد العزم على غزو الجزائر انطلاقا من اعتبار وهو أن الجزائر من أهم الأسواق الخارجية لتطوير اقتصاد فرنسا، من جهة، وأنها من أقوى الحصون لمنافسة بريطانيا، من جهة أخرى. ولعل هذا ما يفسر نيته المبيتة والتي مفادها أن الجزائر لا بد أن تكون من ضمن ممتلكاته المقبلة عندما تثار قضية التجزئة لأملاك الدولة العثمانية[14]. لأن مشروعين جرت دراستهما بين نابليون والكسندر امبراطور الروسيا قصد تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية[15]. ولعل هذا من أقوى العوامل التي

---

(12) أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، 1976، ص 21.

(13) Julien, (Charles A.), *Histoire de l'Algérie Contemporaine* P.U.F., Paris, 1964, p. 22.

(14) لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ط 7، دار الفارابي، بيروت، 1980، ص.ص. 202 ـ 203.

(15) تمت دراسة هذين المشروعين كملحق لمعاهدة تيلست بين نابليون وامبراطور الروسيا سنت 1807. وقد تحدث نابليون في مذكراته عن قرب نهاية الدولة العثمانية وأعرب عن أمله في أن يرى خاتمتها في حياته، وأن يكون لفرنسا نصيب وافر من تركتها. راجع محمد ضياء الدين الريس، تاريخ الشرق العربي والخلافة العثمانية أثناء الدور الأخير (1774 ـ 1924)، ج 1، القاهرة، 1950 ص.ص. 171 ـ 172.

دفعت نابليون إلى أن يرسل الضابط بوتان (Boutin) [16] إلى الجزائر لدراسة الميدان ووضع الترتيبات بطرق علمية قصد الاستيلاء عليها.

والملاحظ أن نابليون كان يقوم بهذه الاجراءات لأجل الاستيلاء على الجزائر في وقت حدث فيه تقارب بينه وبين السلطان محمود الثاني، ابتداء من سنة 1808 [17]. ويتساءل الباحث عن موقف نابليون هذا، أكان يعتبر ولاية الجزائر منفصلة عن الباب العالي، وانما الظروف السياسية دفعته الى أن يعمل على كسب السلطان له من جهة، وإلى ضرورة اضعاف ولاية الجزائر، وان امكن الاستيلاء على أهم المناطق بالمغرب العربي من جهة ثانية؟. ويبدو أن نابليون كان يسعى لتحقيق هذا الغرض الأخير الذي يتماشى مع طموحاته، الا ان انهزامه في اسبانيا وفي الروسيا، وأخيرا في واترلو، حال دون تحقيق هدفه.

هذا عن موقف نابليون من الجزائر. أما عن وضع الدولة العثمانية فان الحديث عنه يطول، ويمكن الاختصار بالقول: بدأ الضعف يدب في جسم الدولة العثمانية منذ أواخر القرن السابع عشر، بتولي سلاطين ضعفاء، الحكم، وبفساد الجند

---

(16) اسمه فانسان ايف بوتان قام بمهمة سرية إلى اسطنبول سنة 1807 ولنفس الغرض قام بمهمة الى الجزائر التي بقي بها من 24 ماي إلى 17 جويلية من عام 1808. ثم تحمل أعباء مهمة أخرى إلى تونس. وختم حياته بمهمة لنفس الغرض إلى كل من مصر وسوريا الا أنه قتل أثناءها سنة 1813. وقد قدر بوتان قوات داي الجزائر بـ 60.000 محارب. وقال بأن الداي لا يمكن أن يجمعها الا بعد شهر. راجع رشاد الامام، سياسة حمودة باشا في تونس (1782 ـ 1814)، منشورات الجامعة التونسية، 1980، ص 32. وكذلك:
Nettement, A. *Histoire de la Conquête d'Alger*, J., le Coff. Paris, 1856, pp. 12--13.

(17) وكان من أهداف نابليون ان تطبق الدولة العثمانية الحصار القاري ضد بريطانيا. التزم الباب العالي برغبة نابليون، ولم يفك الحصار إلا سنة 1809. في حين كان أهداف السلطان من تقربه هذا هو أن يجد سندا قويا كي ينقذ البلاد التي تفككت أوصالها. راجع: رشاد الامام، سياسة حمودة باشا، ص.ص. 143ـ144.

الانكشاري[18]. بجانب تكتل الدول الأوروبية ضدها، من ذلك، التقارب الذي حدث بين كاترينا الثانية امبراطورة الروسيا وجوزيف الثاني امبراطور النمسا[19] كان من شأنه أن شجع بعض الولايات الخاضعة لنفوذ الباب العالي على الثورة، مما أدى به إلى أن يتنازل مكرها عن شبه جزيرة القرم سنة 1792. وعليه لم يبدأ القرن التاسع عشر حتى تمكن الضعف والهزل من الدولة العثمانية، فأصبح اسم «الرجل المريض» جديراً بها.

وبذلك أخذ المنحني البياني لمسير السلطنة يميل نحو الانحدار، في الوقت الذي قطع فيه الغرب الأوربي شوطا هاما في سبيل نهضة سياسية واجتماعية وعسكرية، ومما تهدف إليه، مقاومة المد الاسلامي بزعامة الباب العالي، الذي بضعفه وبسقوط نابليون انقلب ميزان القوة،وبدأ الصراع حاداً بين الباب العالي بمؤازرة الولايات العثمانية من جهة، وبين الدول الأوربية من جهة أخرى.

---

(18) شهدت الدولة العثمانية جملة من العوامل أدت إلى ضعفها، منها اختلاف عروق رعاياها اختلافا جعل منها نوعا من فسيفساء الأجناس والطوائف (ترك، عرب، ألبان، كرد، أرمن، الخ...) ومن العوامل أيضا أن حل سلاطين ضعفاء محل سلاطين أقوياء، خاصة بعد السلطان سليمان القانوني. ومن عوامل ضعف السلطنة أن الجيش الانكشاري الذي كان دعامة الدولة والعنصر الفعال في فتوحها وتكوين عظمتها، قد تحول شيئا فشيئا إلى عنصر شغب وفوضى، بعد أن كان كمثال للتنظيم والانضباط. فانعكس انحلال السلاطين وفساد الانكشاريين على أمور الادارة سواء في مركز السلطنة أو في الولايات. ونتيجة لذلك أخذت هزائم الدولة العسكرية وهزائمها السياسة تتعاقب أمام أعدائها من شرقيين وغربيين. للمزيد من المعلومات راجع : **محاضرات في تاريخ المسألة الشرقية**، ألقاها توفيق برو على طلبة الدراسات العليا ـ معهد العلوم الاجتماعية عام 1981 ـ 1982. وكذلك موسى كاظم ـ مدى مسؤولية الانكشارية في تدهور الدولة العثمانية (مقال)، **المجلة التاريخية المغربية**، العدد 25، 26، تونس 1982، ص.ص. 99 ـ 112.

(19) جوزيف الثاني (1765) وكاترينا الثانية (1762 ـ 1797) بحسب فريد بك المحامي المرجع السابق، ص. 153. لأن من القضايا الجوهرية التي كانت تشغل حيزا من اهتمامات كاترينا الثانية هي بولندا، التي حاول ملكها النهوض بها، حيث أصدر دستورا وأسس جيشا قويا، وألزم النبلاء بدفع الضرائب، وأطلق الحرية لرجال الدين أن يمارسوا نشاطاتهم، وهو ما لم يكن يريح الروسيا، فهجمت كاترينا على بولندا، وأتمت سيطرتها عليها بعد التقسيم سنة 1795.

وثمة عوامل أساسية تحكمت في هذا الصراع، فبجانب العامل الديني كان عامل الفرصنة والاسترقاق، علاوة على أن الدول الأوربية أوشكت أن تتخطى مرحلة التقليد بفضلما جاءت به الثورة الفرنسية ونتيجة لتوسعات نابليون الذي أيقظ العالم من نومه الطويل. في حين كانت الدولة العثمانية كما سبق أن ذكرنا تعيش حياة الجمود والتقليد والمحافظة. وما كل التغيرات التي حدثت في بعض ولاياتها الا نتيجة انتفاضات وثورات قام بها ولاة متنورون مثل الأمير فخر الدين في جبل لبنان[20]، الأمر الذي انعكست نتائجها على السلطنة ذاتها فزادتها ضعفاً على ضعف.

وظهر ضعفها جليا حين غزا نابليون مصر سنة 1798 والتي لم تستطع ردعه. وكذلك لما أوكلت لمحمد علي والي مصر محاربة الوهابيين[21].ولم تتدخل في طرابلس أو في تونس لما بدت روح الانفصال فيهما.

فكان لضعف السلطنة أثر على وجاق الجزائر(•) اذ شجع الدول الأوروبية على أن توسع من أطماعها في العالم الاسلامي، بعامة. والجزائر بوجه خاص. ونلمس ذلك في التحرش الاسباني، والفرنسي فيما بعد.

وكان بإمكان وجاق الجزائر أن يتحرر من التبعية للباب العالي ويظهر كدولة قوية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ووجدت عوامل كثيرة كان من شأنها أن

---

(20) فخر الدين الثاني (1572 ـ 1635) قام باصلاحات داخل لبنان بأن نظم الجيش والضرائب والزراعة والتعليم، حاول الانفصال، للمزيد انظر المنجد: في قواعد اللغة والأعلام ط 20، دار الشروق، بيروت 1960 قسم الأعلام حرف «ف».

(21) استفحل أمر الوهابيين في الحجاز فامتد نفوذهم إلى الكويت سنة 1788 والعراق 1801 ثم مكة 1803 وأخيرا مدينة جدة سنة 1804. ولم يتمكن محمد علي من التغلب عليهم الا بعد ثماني سنوات (1811 ـ 1818) والوهابية تعد في نظرنا مرحلة تطبيقية لأفكار ابن تيمية. راجع: محمد أبو زهرة الامام، ابن تيمية دار الفكر العربي، القاهرة ، 1977.

(•) الوجاق: كلمة تركية، تعني مجموعة من الجنود يتجمعون في مكان ما لتناول الشاي فتطورت هذه الكلمة إلى أن صارت تطلق على طبقة الحكام الأتراك.

تساعد الوجاق على ذلك. منها ضعف السلطنة العثمانية، وعدم اتحاد الدول الأوروبية ضد الوجاق، على الرغم من أن الاستيلاء الأوروبي كان عاما ضد القرصنة المغربية، إلا انه لم تقم الدول الأوروبية بعمل جماعي ضد الوجاق، وكل المحاولات الحربية كانت فردية في أغلبيتها. واستفادت الجزائر من ذلك فاهتمت بتقوية جيشها الذي بلغ سنة 1815 حوالي 30.000 محارب[22].

والظاهر أن الدول الأوروبية راجعت نفسها منذ مؤتمر فيينا[23] اذ أثير مشكل القرصنة لما طالب فرسان مالطا إعادة الجزائر إليهم. وأثر البحث في قضية الرقيق[24]. ومن الطبيعي أن تثار مثل هذه القضايا في أي مؤتمر تحضره دول أوروبية لأنه من المشاكل التي كانت تشغل الرأي العام الأوروبي، وهي القرصنة والاسترقاق والطريقة التي يمكن بها التخلص من دفع الاتاوات للجزائر[25].

واعتمادا على هذا تكون الدول الأوروبية بدأت منذ هذا التاريخ تعمل جماعيا للقضاء على القرصنة المغربية، وبالتالي على إضعاف الوجاق، إلا أن الفاعلية كانت تنقص أعمال تلك الدول، إلى أن قامت فرنسا بحملتها على الجزائر سنة 1830.

---

(22) صلاح العقاد، المرجع السابق، ص، 50.

(23) انعقد هذا المؤتمر بعد سقوط نابليون (1814 _ 1815) ضم أكبر الدول: بريطانيا، الروسيا، النمسا، وفرنسا. بجانب بروسيا وبقية الولايات الأوروبية. وكان الهدف من المؤتمر هو القضاء على مبادئ الثورة الفرنسية وتقليص توسعات نابليون، ورسم خريطة سياسية جديدة لأوروبا.

(24) صلاح العقاد. ص. 79.

(25) للتعرف على ما كانت تدفعه الدول الأوروبية من أتاوات لوجاق الجزائر، راجع:
Corette, *Algérie*, 2e édition, Bouslama, Tunis, 1980, p. 264.
فبناء على هذا المصدر تكون الدولة التي دفعت الأتاوات، هي: صيقليا، سردينيا، الولايات الدينية التي كانت تحت حماية فرنسا، والبرتغال اسبانيا، النمسا، انجلترا، هولندا، الولايات الأمريكية، السويد، الدانمارك، وفرنسا. كانت تدفع هذه الأتاوات اما سنوية أو على شكل هدايا، أو كلما استبدل القناصل، أو عتادا حربيا.

والحقيقة أن فكرة العمل الجماعي كان قد دعا إليها كاتب الدولة الفرنسية سنة 1783. وكذلك أحد الكتاب الايطاليين سنة 1787 الذي دعا الدول الأوروبية، خاصة بريطانيا والسويد وهولندا والدانمارك، الى العمل الجماعي ضد القرصنة[26]. ومن الدول التي أولت اهتماما خاصا لقضية القرصنة بريطانيا التي قدمت مذكرة الى أعضاء مؤتمر فيينا دعتهم فيها الى ضرورة التحالف ضد ولاية الجزائر، لأن ذلك سيخدم الدول الأوروبية وكذلك الباب العالي. لأن الجزائر ـ حسب رأي بريطانيا ـ لا تحترم حتى السلطنة العثمانية، اذ كثيرا ما اعتدت على ولايتها تونس، وبناء عليه يمكن جر الباب العالي الى التحالف الأوروبي، بعد طلب مساعدته للتدخل ضد وجاق الجزائر[27].

وبذلك تتضح سياسة بريطانيا تجاه الوجاق، والهادفة إلى العمل الجماعي الأوروبي للحد من نشاط القرصنة، وللقضاء على الاسترقاق، والتخلص من دفع الأتاوات وإلزام نظام الحكم في الجزائر بالتعامل مع الدول الأوروبية، وفقا لمبادئ عامة. إلا أنها على ما يبدو لم تشجع فكرة القضاء على النظام الجزائري نهائيا، وذلك حتى لا يتسنى لفرنسا أو لغيرها أن تحتل الجزائر وتؤسس مراكز نفوذ لها[28].

الا أن الروسيا عارضت مشروع بريطانيا الداعي إلى حلف أوروبي ضد القرصنة لأن ذلك يخول بريطانيا مركزاً قويا يحد من طمع الروسيا في الولايات العثمانية. وقد وجدت اسبانيا في هذا المشروع فرصة لانتقاد سياسة بريطانيا التي شجعت الثورة في مستعمرات اسبانيا بأمريكا، التي كان من نتائجها إلحاق الضرر

---

(26) رشاد الامام، المرجع السابق، ص. 153 ـ 156.
(27) نفس المرجع، ص.ص. 158 ـ 159. وكذلك صلاح العقاد. المغرب العربي، ص. 80.
(28) صلاح العقاد، ص.ص. 80 ـ 83.

بحارة اسبانيا التي طالبت في هذا الصدد بالقضاء على القرصنة بهذه المستعمرات كما هو الشأن في شمال افريقيا[29].

ومهما يكن من أمر فقد استحسن أعضاء المؤتمر فكرة الحد من نشاط القرصنة والقضاء على الاسترقاق. فانفردت بريطانيا بمؤازرة هولندا بعامل التنفيذ، حيث أوفدت حملة بحرية بقيادة اللورد اكسماوث[30].

والظاهر أن ذلك ما لم تستحسنه فرنسا، إذ لعل كان لها من الرغبة ما يجعلها تنفرد بعمل حربي في المستقبل، بدلا من بريطانيا، ونقول في المستقبل لأن وضعها السياسي والاجتماعي والاقتصادي لم يكن آنذاك يساعدها على القيام بعمل حربي ضد ولاية الجزائر.

وكان لتدخل بريطانيا عسكريا مبررات اذ أنها قامت بذلك حتى لا يسبقها غيرها بحملة تعود بالنتائج السيئة على مركزها. وحتى تكسب مزيدا من الهيمنة، وتكبر في نظر الدول الأوروبية. وأيضا لتضع حدا لنشاط الأسطول الجزائري الذي ضيق الخناق على أساطيل الدول الأوروبية، وفي مقدمتها أسطول كل من مالطا والبرتغال واسبانيا التي صارت ـ هذه البلدان ـ مراكز نفوذ لبريطانيا، بمقتضى نتائج مؤتمر فيينا. وبناء على هذا كان على بريطانيا أن تحمي أساطيل هذه البلدان من خطر

---

(29) نفس المرجع، ص. 83. من المعروف أن جذور النزاع بين اسبانيا وانجلترا تعود إلى عهد الكشوفات الجغرافية، حيث تمكنت اسبانيا من احداث مستعمرة لها في فلوريدا سنة 1565، وكذا مستعمرة في أمريكا الا أن مستعمراتها تقلصت بفاعل الحروب بينها وبين كل من فرنسا وانجلترا، اذ ان هذه الأخيرة انتزعت منها مستعمرتها في فلوريدا، اثر حروب السبع سنوات، والتي ابتدأت سنة 1754 بين انجلترا وكل من اسبانيا وفرنسا. ومن ثم ظلت اسبانيا تناصب الدول الأوروبية العداء.

(30) يبدو أن بريطانيا أشركت وحدات من الأسطول الهولندي حتى تضفي صفة العمل الأوروبي الجماعي. وكانت هذه الحملة مجهزة بـ 33 سفينة وصلت المياه الاقليمية الجزائرية يوم 27 أوت 1816 في عهد الداي عمر الذي فرض عليه قبول شروط أملاها اكسماوث. راجع: التميمي عبد الجليل، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816 ـ 1871) ط 1، الدار التونسية للنشر، 1972، ص.ص. 233 ـ 242.

الأسطول الجزائري. زيادة على هذا فانه بسقوط نابليون لم يبق من القوة ما يعارض بريطانيا في أي عمل حربي بحوض البحر المتوسط.

وقد تجدد الاختلاف بين الدول الأوروبية حول قضية القرصنة المغربية حين أثير موضوعها في مؤتمر أكس لاشبال سنة 1818 حيث أظهرت الروسيا ميلا إلى المشاركة في القوة الأوروبية المزمع تكوينها ضد الجزائر، مما أثار مخاوف كل من بريطانيا وفرنسا،لأنه من صالحها إبعاد الخطر الروسي عن حوض البحر المتوسط.لهذا فضلت فرنسا أن يتوسط الباب العالي لحل المشكل القائم بين ولاية الجزائر والدول الأوروبية، وحبذت مشاركته كطرف في تلك القوة. الا أن هذا الأخير رفض المساهمة بحكم أنه لا يرغب في إضعاف دولة إسلامية[31].

ومهما يكن فقد قرر المؤتمرون توجيه إنذار إلى الداي كي يكف عن عمليات الاسترقاق والقرصنة، وتكليف كل من بريطانيا وفرنسا بالنيابة عن الدول الأوروبية للعمل ضد الجزائر،ومن ثم استمرت التحرشات الأوروبية حتى أعلنت فرنسا الحصار سنة 1827[32].

ولا يفوتنا أن نذكر عاملاً آخر لا يقل تأثيرا على التحرشات الأوروبية في إضعاف وجاق الجزائر، وهو الصراع الذي دام طويلا بين ولاية الجزائر وولاية تونس. فكلما أحس نظام الحكم في تونس بقوته حاول أن يضم إلى حضيرته اقليم

---

(31) GRAMMONT, H., pp. 384–385.

(32) قطعت العلاقات الدبلوماسية بين الجزائر وفرنسا يوم 14 جوان عام 1827 وأعلنت فرنسا الحصار يوم 15 جوان من نفس السنة. وقد بلغت تكاليفه مدة ثلاث سنوات 21 مليون فرنك. الأمر الذي دفع ببعض السياسيين الفرنسيين الى انتقاد الحكومة على أساس أنه كان من الأجدى القيام بحملة عسكرية والاستغناء عن الحصار. راجع: صلاح العقاد، ص. 84 وكذلك:

Roset, *Alger*, 2è édition, BOUSLAMA, Tunis, 1980, p. 27.

الشرق الجزائري ـ والعكس كان لدى نظام الحكم في الجزائر الذي حاول من جهته أكثر من مرة إخضاع ولاية تونس[33]. فكان لذلك الصراع الدموي أثر كبير على نظام الولايتين، وبالتالي عاملا هاما ساعد القوة الأوروبية في تحرشاتها ضد الساحل المغربي. وان المادة التي بين أيدينا تقول بان الباب العالي تدخل مرات كثيرة لفض النزاع بين الطرفين التونسي والجزائري، ونذكر من بين تدخلاته ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ تلك التي كانت سنة 1821 قصد تضميد جراحهما واقرار اتفاق بينهما[34].

ولعل من العوامل التي دفعت الباب العالي إلى التوسط بين الطرفين رغبته في أن تتحد هذه الولايات وتصبح قوية في وجه التحرشات الأوروبية، وحتى تكون له السيادة على هذه الولايات التي هي في الأساس دعمه السياسي والاقتصادي، وحتى العسكري. لأنه أكثر من مرة قدمت تلك الولايات مساعداتها بسخاء للباب العالي، ووقفت بجانب أسطوله أيام محنته مع الأساطيل الأوروبية.

الا أن التوتر لم يتوقف بين نظام الحكم في الجزائر ومقابله في تونس، وتضاعفت حدة التوتر خاصة لما تقرب نظام الحكم في تونس بالحكومة الفرنسية فتوثقت بينهما العلاقات، وذلك بفضل جهود القنصل الفرنسي ديفواز (Devoize) [35]، (1791 ـ 1819) ونتج عن ذلك أن تعامل النظام الحاكم فيما بعد مع فرنسا ضد الجزائر خاصة في عهد الباي مصطفى (1835 ـ 1837) والباي أحمد (1837 ـ 1855) اللذين أبديا تعاطفا مع الحكومة الفرنسية، وقدما

---

(33) استمرت حروب طويلة بين الطرفين، ولمعرفة تفاصيلها انظر : Mohamed Seghir Ben Youcef, *Chronique Tunisienne*. Traduit par Victor Serres et Mohamed Lasram, Bouslama, Tunis, 1978, chapitres 12, 34, 44 et 47.

(34) يوجد من الوثائق بمحفوظات الأرشيف العام بالوزارة الأولى التونسية ما يؤكد صبغة هذا النزاع بين الطرفين ومحاولات الباب العالي لفض النزاع، ملف 384، خزانة 223.

(35) SERRES, J. *La politique Turque en Afrique du Nord*. Paul Gethner, Paris, 1925, p 16.

لها المساعدات ابان غزوها الجزائر وتوسعها فيها[36]. وتمكن القنصل الفرنسي دي لبسيس أن يكتسب ود الحكومة التونسية لتعمل على مضايقة المقاومة الجزائرية وتشدد الرقابة، حتى لا يهرب البارود إلى الجزائر عن طريق طبرقة، ولهذا الغرض أرسل بعضا من ضباطه للاستيلاء على خزائن البارود هناك، ولإلقاء القبض على المهربين.ثم سهل مهمة السفن الفرنسية المحملة بالجنود بأن أعفاهم من تطبيق الحجر الصحي، ليتم نقل المؤونة بسرعة إلى جيش الغزو[37].

هناك عامل آخر ساهم في إضعاف الوجاق الجزائري، ولكن بأقل حدة،وتمثل في الصراع بين نظام الحكم في الجزائر ونظام الحكم في المغرب، إذ جرت بين الطرفين معارك دموية[38].

وعلى الرغم من أن الوجاق حقق انتصارات خلال تلك المعارك،إلا أن مردودها أضعف من قواه، وأخذت مواقف السلطان المغربي من اهتماماته حيزا كبيرا وجب عليه أن يحشد قوات بالقرب من الحدود خوفا من فتح ثغرة.

وحدث عامل آخر ساهم هو الآخر في إضعاف قوة الجزائر، وتمثل في تحطم وحدات من أسطولها في معركة نافرين[39].

---

(36) انظر، عبد الرحمن تشايجي، المسألة التونسية والسياسة العثمانية 1881 ـ 1913، ترجمة عبد الجليل التميمي، ط 1، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس، 1973 ص. 32 ـ 39.

(37) بينما فرض من جهة أخرى الحجر الصحي على 150 محارب جاءوا من تركيا قصد مناصرة الجزائريين. راجع: SERRES, J., pp. 44-45. وسنتحدث عن هذا في الفصل الرابع.

(38) انظر نفس المصدر، ص. 13. ونذكر من تلك المعارك التي وقعت في عهد الداي شعبان الذي هجم بجيش على مدينة فاس قوامه 10 آلاف محارب. وقد طلب السلطان المغربي مولاي اسماعيل الصلح. راجع: TASSY (Laugier de) *Histoire du Royaume d'Alger*, Amsterdam, 1725, p. 300.

(39) وقعت هذه المعركة يوم 20 نوفمبر 1827 بين الأسطول العثماني والأسطول الأوروبي المشكل من قواته الأساسية: الفرنسية، البريطانية والروسية.

وبجانب هذه العوامل الخارجية، هناك عوامل داخلية تمثلت في تدهور أوضاع الجزائر، الاجتماعية، والاقتصادية، نتيجة للسياسة العثمانية في البلاد، ولتحكم الإقطاعية والطبقية(40). منذ الثورات الداخلية، مثل الثورة بقيادة ابن الأحرش في الشمال القسنطيني(•). ويمكن القول أنه منذ 1790 حتى آخر العهد العثماني تم قتل 6 بابات و16 بابا وخلع 8 منهم. فبدت الجزائر إحدى حلقات الضعف في الدولة العثمانية.

تضافرت هذه العوامل الخارجية والداخلية فأثرت على وجاق الجزائر الذي لم يتمكن من الصمود طويلا أمام الحملة الفرنسية، فبمجرد أن زحفت القوات الفرنسية 1830 سقطت العاصمة.

على الرغم من تأثر الوجاق بتلك العوامل وتضعضعه منها، فان الدول الأوروبية لم تلتزم بموقف موحد لضربه. وان الهجومات التي تعاقبت على الجزائر من سنة 1682 إلى سنة 1824 كانت فردية في الأغلب. ويعود ذلك إلى تخوف الدول الأوروبية من هيبة الأسطول الجزائري الذي سيطر على البحر المتوسط فترات غير قصيرة من التاريخ الحديث. وكذلك إلى العداء التقليدي بين بعضها والبعض الآخر. ولعل هذا ما جعل

---

(40) راجع: لوتسكي: المرجع السابق، ص.ص. 201 ـ 202 وعبد اللطيف بن شنو، تكون التخلف في الجزائر 1830 ـ 1962، ط 1 ش.و.ن.ت. الجزائر، 1979، ص 25 وما بعدها.

(•) وكذلك ثورة درقاوة 1805 ثورة التجانية. راجع: ESQUER, G., *Les Commencements d'un Empire. La Prise d'Alger 1830*, Larose, Paris 1920, pp. 15-16.

فرنسا في أول الأمر تقوم بحصار بحري دون أن تجرؤ على القيام بحملة مباشرة رغم الرغم من كثرة الأصوات الرسمية والصحفية التي شجعت وفضلت أن تكون الحملة بدل الحصار(41).

---

(41) طلب القائم بأعمال الشؤون الفرنسية البارون داماس(BARON DAMAS)من حكومته قبل حادثة المروحة بأيام توجيه حملة فرنسية للجزائر على غرار ما فعلت بريطانيا سنة 1824. الا ان الملك لم يعمل بذلك، لكن حادثة المروحة شجعته على التحرك. انظر SERRES, J., p. 15 وكان قد سبق للبارون داماس أن رد بتاريخ 1827/02/28 على مطالب الداي حسين حول الديون، طالبا منه أن يكف عن ممارسة القرصنة التي ألحقت بالسفن الفرنسية اضرارا كما دعاه باسم الملك أن يراعي الاتفاقات بين فرنسا والجزائر انظر:

PLANNET, E., *Correspondance des Deys d'Alger avec la Cour de France (1579-1833)* T2, Paris, 1889.

ومن الصحف الفرنسية التي شجعت الحملة وحددت هدفها :

-- *Le courier Français.*

-- *Semaphore de Marseille -- le National -- le lorsaire.*

للمزيد من المعلومات راجع :

ESQUER, G., *Les Commencements d'un Empire*, chapitre 6.

الحملة الفرنسية على الجزائر وردود الفعل:

ان الدارس لسياسة رئيس الوزراء الفرنسي دي بولينياك يدرك أنه كان يخطط لسياسة دولية عامة، تخدم مصالح فرنسا بالدرجة الأولى. ونستدل على ذلك بمشروعه الذي قدمه إلى الملك شارل العاشر في أوت 1829 والقاضي بتقسيم أملاك الامبراطورية العثمانية بين الدول الأوروبية للقضاء على النفوذ الإسلامي في آسيا وأوروبا، من جهة. والداعي إلى جعل حد للتوتر بين الجزائر وفرنسا، من جهة ثانية. والرامي إلى فصل بلجيكا عن مملكة الأراضي المنخفضة من جهة ثالثة. وبذلك المشروع تعود فرنسا إلى حدودها وتتخلص من الحصار الذي ضرب عليها منذ مؤتمر فيينا (42).

وفيما يخصُّ قضية التوتر بين الجزائر وفرنسا. راحت الحكومة الفرنسية تعمل على تهيئة الظروف للقيام بحملة قوية، تختلف عن الحملات الأوروبية السابقة في الهدف والوسيلة، والتي أثبتت عدم جدواها. فقامت بنشاط دبلوماسي من أجل زحزحة المعارضين من طريقها من جهة، وكسب أنصار لتدعيم صفها من جهة ثانية. وبذلك يكون دي بولينياك قد ربط قضية الجزائر بالظروف الدولية عامة، وبمصير فرنسا بوجه خاص (43).

---

(42) وبالفعل تم انفصال بلجيكا سنة 1831، باتفاق كل الدول الأوروبية، حول هذا راجع: قسم الوثائق في: LOUIS *Blanc, His., de dix ans* (1830--1840), T3. 11è édition, Pagnerre, Paris (S-D), pp. 455--472.

(43) ESQUER. G., Les Commencements. p. 118.

ومن تلك النشاطات الدبلوماسية دور السفير الفرنسي قيمنو (Guilleminot) المقيم باسطنبول والذي رفع مذكرة في 2 أوت 1827 ـ من قبل ـ إلى الحكومة التركية جاء فيها: «وحيث أن الداي قد زاد من تعدياته السابقة بتحقيره قنصل فرنسا في الجزائر،فان جناب ملك فرنسا اضطر لطلب ترضية علنية مهددا بإعلان الحرب في حالة رفض طلبه، فكان الداي قد رفض ذلك، وبناء عليه ستكون الحرب ضده»[44].

فاحتجت الحكومة التركية على هذه المذكرة، وقالت ليس لفرنسا الحق في أن تعلن الحصار أو الحرب دون أن يكون الباب العالي على علم.

وبعد أن وقع الباب العالي معاهدة أدرنه (Andrinophe) مع الروسيا في سبتمبر 1829[45]. أمن جانبا من الخطر وضاعف من اهتماماته بقضية الجزائر، فأوفد خليل أفندي قصد التوسط في أعطاء حد للمنازعات بين الجزائر وفرنسا[46].

الا ان فرنسا لم تعر اهتماما لموقف الباب العالي هذا، وذهبت إلى أبعد من ذلك، بأن ألحت على ضرورة تأديب داي الجزائر، واقترحت في هذا الشأن على السلطان أن يسمح بحملة عسكرية يقوم بها والي مصر ضد ولايات المغرب بعامة، والجزائر بوجه خاص. وبذلك تتجنب فرنسا متاعب الحرب من جهة، وتضمن النجاح أكثر من جهة ثانية.

---

(44) ارجمند كوران، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة الجيبي عبد الجليل، ط 2، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970 ص. 15 ـ 16.

(45) تمت هذه المعاهدة قصد ابرام صلح بين الروسيا والباب العالي على اثر حرب اليونان مع الدولة العثمانية، عندما قامت ثورة اليونان للحصول على استقلالها بتحريض من روسيا، ونصت على استقلال اليونان شرط أن تدفع لها جزية. انظر: كوران، المرجع السابق، ص. 27.

(46) حول مهمة خليل أفندي راجع : DOUIN, G., *Mohammed Aly et l'expedition d'Alger (1829--1830)* le Caire, 1930, doct. No, 8, 26.

وقد أبدى محمد علي استعدادا لإرسال جيشه في صيف 1830 تعداده 40 ألف رجل، شرط أن تمول فرنسا الحملة بمبلغ قدره 20 مليون فرنك و4 سفن من أحدث طراز مزودة بـ 80 مدفعا، على أن تحمي ظهره من ناحية البحر، وأن تأتيه بموافقة من السلطان على ذلك (47).

والظاهر أن الوزير الفرنسي دي بولينياك كان يعتقد خطأ أن السلطان لا يمانع من إرسال الفرمان(•)، وسيرحب بذلك. وقد يكون الوزير معتمدا في اعتقاده على ما كان يظهر من صداقة كانت تربط فرنسا بالباب العالي، من جهة وعلى توتر العلاقات خلال فترات مختلفة بين الجزائر والسلطنة، من جهة ثانية، وأن الباب العالي سيقبل ذلك على أساس أن الحملة المصرية ـ إسلامية ـ أقل خطورة من غزو فرنسا لولاياته من جهة ثالثة.

إلا ان الباب العالي رفض ذلك وأسرع في إرسال طاهر باشا يوم 16 افريل 1830 إلى الجزائر، على أن يمر بالاسكندرية، ان أمكن، بقصد إجهاض المشروع المصري الفرنسي، ودفع الداي حسين إلى تحسين العلاقات بينه وبين حكومة فرنسا(48). إلا أن السلطات الفرنسية لم تسهل مهمته، وأرغمته على أن يتوجه الى طولون، بناء على أوامر وزير البحرية. وذلك حتى تتمكن من تحقيق هدفها من

---

(47) كان القنصل دروفيتي(DROVETTI) بالاسكندرية اقترح على محمد علي أن يحول اهتمامه إلى المغرب العربي بدل سوريا، فأبدى هذا الأخير استعداده على أساس أن يحكم هذه البلاد المغربية لحساب الباب العالي راجع: DOUIN. G., p. 23 (introductions et doct. No. 10 et SERRES, J., p. 17.

وجاء في اقتراح دروفتي مطابقا لأهداف محمد علي الرامية الى اخضاع القوافل التجارية القادمة من السودان الى طرابلس، لتصل الى البحر المتوسط. لأن بعد احتلال الولايات المغربية يسهل عليه ارغام هذه القوافل على دفع الضرائب راجع SERRES., p. 82. وللقضاء على ولايات الغرب درس الطرفان الفرنسي والمصري مشروعين الأول تضمن 17 نقطة والثاني 16 نقطة. راجع: DOUIN., doct., No. 32, 44.

(•) المرسوم السلطاني.

(48) DOUIN, doct. No. 16, 17, 27. et SERRES, J., p. 31

الحملة، وأيضا لما تعرفه عن طاهر باشا من عداء شديد لفرنسا، إذ أنه كان قائد الأسطول العثماني في معركة نافرين[49].

وفشل المشروع المصري ـ الفرنسي بسبب موقف الباب العالي، من جهة، وأغلب الدول، وفي مقدمتها بريطانيا التي عارضت ذلك، من جهة ثانية، ولعدم موافقة فرنسا على طلبات محمد علي كلها، خاصة فيما يتصل بالسفن الأربع[50]، من جهة ثالثة. وعدول محمد علي عن ذلك في النهاية، نتيجة لتطور سياسة فرنسا وتغير موقفها منه إذ عرضت عليه أن يكتفي بتحطيم ولاية طرابلس الغرب وتونس فقط، على أن تتفرغ هي لغزو ولاية الجزائر،وهو ما لم يرض محمد علي الذي كان همه الاستيلاء على الولايات الثلاث،وخاصة الجزائر،نظرا لأهميتها[51]. وفشل المشروع أيضا بسبب معارضة كل من وزير البحرية دوسي (d'Hausser) ودي بورمون (de Bourmont) لأنهما كان يريان أن محمد علي ليس باستطاعته القيام بتلك الحملة،لأن قوة جيشه لا تتعدى 15.000 جندي نظامي و 20.000 من السكان غير النظاميين. وأنه من غير المعقول أن يرسل محمد علي كل ما لديه من قوة الى خارج حدوده[52].

---

(49) اعترض قائد الحصار سبيل طاهر باشا. وعلى الرغم من أن السفارة الفرنسية باسطنبول رفضت أن يرافقه مسؤول فرنسي الا أنها تعهدت بتوجيه رسالة إلى قائد الحصار الفرنسي كي يسمح له بالدخول إلى الجزائر العاصمة. انظر: DOUIN. doct. No. 27, 68, 70. وفي الوقت الذي غادر فيه طولون لمواصلة مساعيه كان قد تم للحملة الفرنسية أن احتلت العاصمة. راجع كلاً من: Nettement, A., p. 71, et SERRES. p. 31. وعلى الرغم من ذلك قد حاول طاهر باشا الدخول إلى الجزائر عن طريق تونس يوم 10 ماي 1830 الا ان باي تونس ومن ورائه قنصل فرنسا منعاه من النزول. راجع: تعليق العيبي في ، كوران، المرجع السابق- ص. 37.

(50) DOUIN. doct. No. 31.

(51) DOUIN, p. 65 (Introduction), doct. No. 43, 61, 75, 88. et SERRES J., pp. 21--22.

(52) DOUIN, p. 52 (Introduction) doct. No. 61, 75.

وفشل هذا المشروع لم يكن يسفر عن نتيجة بأحسن حال بالنسبة للباب العالي أو لولاية الجزائر. لأن فرنسا قررت بصفة رسمية ليوم 12 مارس 1830 القيام بحملة ضد الجزائر. وأعلم السفير الفرنسي باسطنبول الباب العالي رسميا يوم 30 من نفس الشهر بنية حكومة بلاده في القيام بالحملة (53). وراح دي بولينياك من جهة أخرى يحرض الدول الأوروبية لتعزيز الثقة ببلاده ولتقديم المساعدات لها، لتتمكن في أقصر وقت ممكن، بأقل المتاعب من القضاء على الجزائر، التي أهان نظام حكمها ـ حسب ادعاءات دي بولينياك ـ الشرف الفرنسي. وتلقت معظم الأنظمة الأوروبية هذا القرار بارتياح، وفي مقدمتها تلك التي كانت تطل على البحر المتوسط، والتي اضطربت تجارتها وتململت أوضاعها من جرّاء دفع الأتاوات لخزينة الداي (54). والجهاد البحري الذي كان يقوم به الأسطول الجزائري.

وعلى الرغم من وجود عامل الدين الإسلامي، الذي كانت الجزائر تحمل لواءه في حوض البحر المتوسط ضد المسيحيين، فان بعض دول أوروبا قد باركت الحملة، في حين عارضتها دول أوروبية أخرى.

فمن الدول التي أيدت الحملة الروسيا، بروسيا، النمسا. اذ أن الروسيا كانت على علم بمشروع الحملة المصرية والتي لم تطمئن إليه (55). في حين عبرت عن ارتياحها لقرار الحكومة الفرنسية الرامي إلى القيام بهذه الحملة، اذ كتب القنصل الروسي إلى القائد العام للحملة يقول له: «ان أمل الامبراطور أن يقبل متطوعا من الهندسة العسكرية الروسية وهو برتبة عقيد في صفوف الحملة الفرنسية (56). وأقوى

(53) SERRES. p. 28. et DOUIN. doct. No. 83.

(54) لمعرفة أسماء الدول باختصار التي دفعت مقادير من الاتاوات راجع: Carette, p. 264

(55) على ما يبدو أن عدم اطمئنانها كان بناء على الصداقة التي تربطها بالباب العالي. وان ذلك سيزيد من قوة فرنسا باكتسابها لقوة محمد علي في الوقت الذي كانت تتمنى ابعاد الخطر الفرنسي عن الساحة الأوروبية، ولهذا لما قررت فرنسا القيام بالحملة باركتها واستحسنت بقاءها في الجزائر. راجع: SERRES, pp. 17, 52--53.

(56) من الذين شاركوا في الحملة العقيد فيلوزولوف. راجع: Nettement, A., p. 289 et Charles Roux, *France et Afrique du Nord*, Felix, Paris, 1932, p. 674.

الاحتمالات أن موقف الروسيا جاء لأهداف سياسية،كأن تشجع فرنسا على تحول اهتمامها إلى ميدان غير ميدان الشرق الأوروبي،لأنها كانت تتمنى ازدياد ضعف الدولة العثمانية كي يتسنى لها التوسع بأقل جهد وخسائر في هذه المناطق ودون منافس.

ووقفت بروسيا أيضا بجانب فرنسا،فعززت صفها بأن عرضت على قائد الحملة بعض ضباطها أمثال: كلارك (Clerk) للعمل ضمن وحدات الجيش الفرنسي. ولعل الهدف من وراء ذلك هو أن يتحول اهتمام فرنسا الى مناطق غير أوروبية ليخلو الجو لبروسيا وتتمكن من منطقة الراين.

أما النمسا فقد أولت اهتماما كبيرا لقضية الجزائر،فبعد أن عارضت مشروع الحملة المصرية واعتبرته خطرا على منطقة البحر المتوسط ، وذهب بها الأمر في هذا الصدد إلى القول: إن السلام مهدد بين الجزائر وفرنسا بسبب تصرفات هذه الأخيرة، الا أنها سرعان ما غيرت من موقفها وأعلنت مباركتها للحملة الفرنسية التي لم تؤيدها فحسب، بل عبرت عمليا بأن أرسلت ضباطا من جيشها للمشاركة ضمن صفوف الجيش الفرنسي[٥٧].

وجاء تأييدها ـ في رأينا ـ بناء على عدة أهداف، منها: أن تشجع حكومة فرنسا لتحويل نظرها إلى مناطق أبعد، لأنه من صالح النظام المحافظ في النمسا أن تبقى أوروبا هادئة، من جهة. وأن يتسع نفوذ المسيحية في افريقيا، من جهة أخرى.

ومن الأنظمة التي أيدت فرنسا، اسبانيا التي كتب قنصلها بباريس يوم 25 ماي 1830 يبارك الحملة، ثم زودت حكومة بلاده الحملة بضباط ، وخصصت مستشفى لجرحى جيش الغزو[٥٨].

---

(57) من الضباط الذين شاركوا: الأمير فريدريك شوارتز امبرغ (Frederic Chauartz. Emberg). راجع : Nettement, A. pp. 289–290.

(58) من أسماء الذين عملوا ضمن صفوف الجيش الفرنسي العقيد انطونيو لاسكان. (Don Antonio Lascane). Nettement, A. p. 22.

أما سردينيا فكان لها موقف آخر، حيث رأت في حملة محمد علي خطورة على أوروبا، لأنه سيتمكن من تأسيس امبراطورية اسلامية قوية في افريقيا، ولتفادي هذا الخطر قدمت حلولا أقل خطورة - حسب رأيها - محتواها أن يغير النظام القائم بولايات المغرب على أن تخضع الجزائر لمالطة، وطرابلس لمحمد علي، بينما تخضع تونس لإدارة أوروبية مشتركة إلى غاية ما يستتب بها الأمن، ويستقر وضعها، بعدها تعلن كدولة مستقلة (59).

وكانت بريطانيا أقوى طرف معارض لسياسة فرنسا، لسبب جوهري، مبعثه العداء التقليدي، الذي تعود جذوره الى الفترة التي ورثت فيها هي وفرنسا معظم التوسعات التي اقترنت بالكشوف الجغرافية. ومن ثمة التزمت بريطانيا المعارضة تدفعها المصلحة في تحطيم أية محاولة تقوم بها فرنسا، قصد تأسيس مناطق نفوذ في أية جهة من العالم. وحتى لا تصاب مراكزها التجارية والحربية مرة أخرى بضرر، مثل ما حدث في عهد نابليون، حين أعلن «الحصار القاري» عليها، بحكم هذا تدخلت بريطانيا بقوة، وجهرت بفحوى المفاوضات التي دارت بين والي مصر وحكومة فرنسا، ووقفت بجانب الباب العالي للحيلولة دون نجاح تلك المفاوضات. كما أنها شجعت فكرة ارسال طاهر باشا إلى الجزائر على أن يمر بالاسكندرية (60). لأنها كانت تدرك أن الحملة المصرية ستعود بنتائج مفيدة لفرنسا دون غيرها من الدول الأوروبية، ولأنها خشيت ازدياد قوة محمد علي، مما يوطد حكمه في مصر فتفوت عليها فرصة الاستيلاء على مصر، ذلك الذي كانت سياستها مركزة عليه.

وأعلنت معارضتها بقوة حين عزمت الحكومة الفرنسية على قيامها بغزو الجزائر، وطلبت رسميا توضيح الهدف الحقيقي من هذا الغزو، وعلى أنه ليس احتلالاً. وجاء

---

(59) Nettement. p. 22.

(60) نفس المراجع : ص. 263 وكذلك أرجمند كوران، ص.ص. 30 - 31.

تدخل بريطانيا هذا خوفا من أن يتعاظم أمر فرنسا ويمتد بها الحال إلى التوسع في أراضٍ أخرى كسردينيا[61].

وكانت بريطانيا تبرر موقفها بحجة أن ولاية الجزائر من أملاك الباب العالي، اذ كتب السفير الانجليزي بباريس يوم 3 جوان 1830 إلى وزير الشؤون الخارجية الفرنسي يذكره بحق الباب العالي في الجزائر[62]. لم يكن تدخل بريطانيا حبا في الدولة العثمانية ، انما كان لغرض أن تضفي على القضية طابعا شرعيا تشكل به مضايقة دولية للحد من أطماع فرنسا في افريقيا. ومن ثم تكون القضية الجزائرية أخذت بعدا دوليا. واستمر هذا البعد محور النقاش بين الدول إلى فترة متأخرة من الاحتلال الفرنسي.

الا ان السلطة الفرنسية تخلصت من المضايقات البريطانية وعززت صفها، بأن أعطت لحملتها صبغة دينية مسيحية، وربطتها بمصالح الدول الأوروبية عامة. ولهذا وقفت بجانبها معظم القوى الأوروبية.

والحقيقة أن الهدف من تلك الحملة ليس حماية للمصالح الأوروبية بقدر ما كان حماية للمصالح الفرنسية، ومزيدا من تحقيق مكاسب لها. اذ أن دي بولينياك وهو زعيم جناح اليمين رأى في الحملة وسيلة لتحقيق جملة من المكاسب منها حسب رأيه:

أولا: حماية المسيحيين من الاسترقاق،حيث كان المساجين منهم يعاملون في الجزائر كعبيد، وهذا لا يشرف فرنسا. ووضع حد لنشاط القرصنة الجزائرية لحماية التجارة الأوروبية عامة والفرنسية خاصة.

---

(61) ESQUER, G., *Les Commencements d'un Empire* pp. 151--152.

وقد قال اللورد أبيردن (*Aberdan*) الى السفير الفرنسي القائم بلندن بعد وصول الأسطول الفرنسي الى سيدي فرج: أهنئكم بوصول أسطولكم الى سيدي فرج، واني أتمنى عودته، انظر:

SERRES, J., P. 40.

(62) SERRES, P. 39

ثانياً: الحصول على مصادر تجارية واسعة، وذلك بضمان الوصول إلى مصر التي تعد ملتقى لطرق المواصلات التجارية. وهذه النقطة تتطلب اهتماما خاصا فهي أكثر من عامل لإنشاء مؤسسات فرنسية في افريقيا[63]. بجانب المكاسب الأخرى كدعم شعبية الملك شارل العاشر الذي لم يكن محبوبا من العامة[64]. وكذلك للتخلص من دفع الديون التي كانت للجزائر على فرنسا[65].

وقد وجدت الحملة تأييدا كبيرا خاصة من رجال الدين الذين دعوا إلى ضرورة الغزو والاحتلال، لأن ذلك ـ حسب رأيهم ـ ليس تحقيقا للمكاسب المذكورة سابقا فحسب، بل نشراً للحضارة المسيحية في مجتمع لا يعيش ـ حسب اعتقادهم ـ الا على الحروب والنهب[66]. وناصر هذا الرأي كل من كانت مصالحه مرتبطة بتحقيق هذه الأهداف، خاصة الغرفة التجارية بمرسيليا، التي كانت تتزعم الطبقة البورجوازية في البلاد. ولا نعتقد اننا نبالغ ان قلنا أن هذه الغرفة هي التي دفعت الحكومة إلى القيام بالحصار البحري على الجزائر لزحزحة الموانع أمام ازدهار تجارتها. ونذكر من المؤيدين ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ البكس كولومبيل (Alex Colombel) الذي نشر مقالا في فيفري سنة 1830 مفاده أن احتلال الجزائر عامل مكمل لحضارة فرنسا، وعامل موازاة مع بحر المانش، ودعم

---

(63) Charles, Roux. pp. 502--503

(64) اسمه الحقيقي الكونت دارتوا(D'ARTOIS)وهو أخو لويس الرابع عشر والثامن عشر، تولى العرش في فرنسا يوم 16//09/1824، عن عمر 77 سنة وتلقب بشارل العاشر. لم يكن محبوبا بفعل عدة عوامل نذكر من بينها: القرارات التي أصدرها والتي خدمت النبلاء، حيث منحهم مليارا من الفرنكات تعويضا عما خسروه أثناء الثورة الفرنسية. راجع : أ. فيشر، **تاريخ أوروبا في العصر الحديث**، ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع، ط 5. دار المعارف المصرية، س ؟ ، ص. 139.

(65) مشكلة الديون تسببت فيها مؤسسة يهودية. انظر تفصيل ذلك في الفصل الأول من مؤلف: سعد الله **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**.

(66) VALET, R., *L'Afrique du Nord devant le parlemlent au 19e siècle* (1828--1838, 1880--1881) Champion, Paris 1924, p. 18.

هام لحرب قد تكون ضد انجلترا،ولضرب تجارتها الذي يعد سكتة لنبضات قلبها[67].

وقد شاطره الرأي الضابط المتقاعد بابرون (BABRON) الذي نشر مقالا م الآخر بعد نجاح الحملة يوم 12 جويلية سنة 1830 مضمونه : أن شرف فرنسا لن يكون مصانا إلاّ في الاحتفاظ بالجزائر كموقع استراتيجي لمنافسة بريطانيا من جهة ولحماية التجارة الفرنسية من جهة ثانية[68].

لا يعني هذا ان عامة الشعب الفرنسي رحبت بالحملة، بل هناك من استنكر وندد سواء بالغزو أو بالاحتلال، وفي مقدمتهم من كانوا يحملون أفكارا ليرالية وتصورات اقتصادية.

في دورة البرلمان لسنة 1829 قدمت احصاءات عن خسائر الحصار التي بلغت 14 مليون فرنك. ثم طُلب اعتماد 7 ملايين أخرى. فاستغلت المعارضة الفرصة ووجهت انتقادات شديدة للحكومة الفرنسية لقيامها بهذا الحصار واعتبرته سلبيا، لأنه لم يمنع الأسطول الجزائري من ممارسة نشاطه في حوض البحر المتوسط.

وكان من أشد المعارضين النائب المرسيلي توماس (Thomas) الذي قال في جلسة 10 جويلية 1829:إن الحرب ضد الجزائر شديدة جدا، فمنذ سنتين لم نعرف أسبابها الحقيقية. فقط قال الوزراء: بأن الداي أهان القنصل ولكن لم يوضحوا أسباب هذه الاهانة وظروفها ـ وأن 14 مليون فرنك ضاعت،والآن يطلب اعتماد 7 ملايين أخرى للحصار فقط. لما هذا؟[69].

---

(67) نشر هذا المقال بعنوان:
Il faut garder Alger, l'honneur français lordonne Setier, Paris, février 1830.

(68) عنوان مقاله: Du parti qu'on pourrait tirer d'une expédition d'Alger, ERNest, Paris, 12 juillet 1830.
وقد زود دابنو ابراهام (1797 ـ 1872) الحملة بكتاب حمل مفردات بالعربية وما يقابلها بالفرنسية، وقد ساعدته وظيفته كمترجم على القيام بهذا العمل، انظر:
Feraud, ch. Les interprêtes de l'armée d'Afrique, Alger 1878, pp. 190--191.

(69) Nettement. pp. 188--189

وقد أيده النائب الكسندر دي لابورد (Alexandre de L.) الذي نشر كتابا في منتصف ابريل 1830 تحت عنوان : (إلى الملك والغرف حول الأسباب الحقيقية للمقاطعة مع الجزائر وحول الحملة التي تهيأ). فبعد أن ندد بما عزمت عليه الحكومة دعا جميع الأطراف ـ بغض النظر عن اتجاهاتها ـ إلى التزام الحكمة والعمل على منع الحملة وايجاد حل للنزاع القائم بين الجزائر وفرنسا، منبها الى أنه من الأفضل أن تستغل أموال فرنسا وتراق دماء أبنائها من أجل سبب آخر غير هذا. وفضح في كتابه هذا سياسة فرنسا في اسبانيا على أنها استنفدت فيها حوالي 400 مليون فرنك دون مقابل بجانب الخسائر البشرية. واستخلص في كتابه هذا أن فرنسا في حاجة إلى منشآت لا إلى مستعمرات(70)؟

وقد لقي هذا الجناح المعارض دعما ممن كانت لهم ميول اقتصادية، وأهداف تتعارض مع تأسيس مستعمرات فرنسية،وحجتهم أن ذلك سيكون على حساب الشعب الفرنسي بعامة وعلى حساب فلاحته وصناعته وخزينته بوجه خاص.

---

(70) سبق لحكومة فرنسا أن أرسلت حملة الى اسبانيا سنة 1823 من أجل تثبيت دعائم النظام المحافظ المهدد من طرف الدستوريين. واننا نرى مبالغة في مقدار ما استنفدته فرنسا (400 مليون فرنك). والعنوان الحرفي لهذا الكتاب: *Au Roi et aux chambre sur les veritables causes de la rupture avec Alger, et sur l'expédition qui se prépare.* TRUCHY. Paris, 1830.

من جملة ما يذكر في هذا الكتاب: أن فكرة الحملة نسجت خيوطها على الأرائك مبينا معناها الحقيقي يوجد في وسط العامة. اذن لما ذا يهلك 30 ألف جندي وتنفق 60 مليون فرنك؟ يجب أن يعرف لماذا؟ ثم قال: هل هذه الحرب شرعية؟ فيجيب بقوله : لا. يطالب الداي بحقوقه فيغتصب، يشكو فيشتم، يقاطع فيقتل. فهي حرب خطيرة على فرنسا. انظر: المقدمة وصفحتي 108ـ109 من كتابه هذا.

وقد لقيت اراء دي لابورد تقبلا في الأوساط العامة كما لقيت انتقادات شديدة، فهذا رد لمؤلف مجهول تحت عنوان:

Sur la guerre actuelle avec la regence d'Alger en reponse a un écrit de M. le Comte de laborde, VErret, Paris, mai 1830.

فبعد أن استعرض صاحبه ظروف مجيء الأتراك حاول أن يفند ما جاء به دي لابورد. وحمّل الداي حسين مسؤولية الحرب بين فرنسا والجزائر.

قد أثرت هذه الأفكار على الرأي العام الفرنسي، فضاعف من استنكاره للحملة على أساس انها اعلنت في وقت كان الرأي العام ينتظر فيه باشتياق الى تحرير بعض الشعوب كاليونان واذا به يفاجأ بالتعبئة العامة لغزو الجزائر بعد أن اختمرت الأسباب[71] وتعين الهدف - القريب - وتوفرت الوسائل، وان كان ينقص شيء هام هو الذي قال عنه دي لابورد: تأييد الشعب. لهذا كثرت التأويلات حول مغزى هذه الحملة، الى درجة أن اعتقد الرأي العام ان الهدف الحقيقي من ورائها هو اعداد جيش لمحاربة الباريسيين[72]، سيما لما تعين دي بورمون قائدا لها، والذي كان ينظر اليه على أنه خان نابليون في معركة واترلو، وقاد حملة مضايقة ضد أسرة البوربون. الا ان انتقادات الجناح المعارض لم تتعد حدود الكلمة المكتوبة أو المسموعة، لأن الحملة كانت تهيأت للانطلاق، والبرلمان أغلق أبوابه، لقضاء العطلة الصيفية. ومع ذلك فقد أحرجت هذه الانتقادات الحكومة الفرنسية مما أثر على مناقشاتها حول فكرة التخلي عن الجزائر أم الاحتفاظ بها. وسنعرف هذا بشيء من التفصيل من خلال ما سيمر معنا من حديث في الفصل الثالث.

يبدو أن هدف أعضاء الحكومة الفرنسية من الحملة لم يكن واحدا، فانه كان لبعض الأعضاء طموح في تكوين مستعمرة بافريقيا، فان أعضاء آخرين كان هدفهم القضاء على القرصنة فقط. ونذهب إلى هذا بناء على التعليمات التي سلمت إلى دي بورمون يوم 18 ابريل 1830 والتي أمر من خلالها أن يعمل على تسليم ولاية

---

(71) اذ اتخذت حكومة فرنسا من حادثة المروحة وقصف السفينة دي لابروفنس يوم 13 أوت 1829 مبررا لقيامها بالحملة. حول قصف هذه السفينة راجع:

Bianchi, M., *Relation de l'arrivée dans la rade d'Alger*, Lavocat, Paris, 1830.

ومذكرات أحمد الشريف الزهار، تقديم أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت. الجزائر 1974، ص.ص. 166 - 167.

(72) Valet(R)p.50

الجزائر إلى الباب العالي بعد أن يقضي على النظام القائم بها، وذلك للتعبير عن حسن نوايا شارل العاشر. على أن تكتفي فرنسا ـ كضرورة ـ بالمدن الساحلية لضمان مؤسساتها التجارية. ولوضع هذه الأمور محل تنفيذ، كلف السفير الفرنسي المعتمد باسطنبول أن يتفاوض مع السلطات التركية هناك حول هذا الموضوع وفقا للشروط التي رأتها فرنسا مناسبة لها،وأولها: على الباب العالي ألا يسمح للدول الأوروبية بالتدخل كطرف ثالث في طبيعة المفاوضات بينهما[73].

وتبدو عدة مبررات جعلت شارل العاشر يعرب عن رغبته في تسليم ولاية الجزائر للباب العالي، منها أنه كان متهيبا من الاستيلاء على كامل الجزائر، وان ذلك سيكلف فرنسا خسائر بشرية،ومالية،ومتاعب نفسية،في قضية يحتمل الفشل فيها، زيادة على ضغط بعض النواب الفرنسيين المعارضين لعملية الغزو والاحتلال،بجانب ما كان من صداقة بين فرنسا والباب العالي، ومن جهة أخرى فان وضع فرنسا لهذا الشرط وهو ألا تتدخل الدول الأوروبية كطرف ثالث، كان الهدف منه عدم تدويل القضية الجزائرية حتى لا تأخذ مسارا يؤدي بفرنسا إلى طريق مسدود.

الا أن نية كل من دي بورمون،القائد العام للحملة،ودوسي،وزير البحرية،كانت ترمي إلى الاستيلاء على الجزائر كلها والاحتفاظ بها. لهذا أمر وزير البحرية وحدات اسطوله باحتلال جميع الموانئ الساحلية. وأيده بورمون الذي سبق له وأن افصح عن نيته منذ الوهلة الأولى من قيام الحملة اذ قال: ان فرنسا ذاهبة لأخذ الجزائر، ولإنشاء مستعمرات فيها،ولتأسيس حكومة بها يرأسها أمير فرنسي[74].

وعلى الرغم من أن الباب العالي كان على علم بالاستعدادات الفرنسية للحملة الا انه التزم الهدوء والترقب، اذ أن السلطان محمود الثاني (1808 ـ 1839) أوكل

---

(73) هذا ما يؤكد نية شارل العاشر، الرامية الى القضاء على القرصنة والنظام القائم، وتعويضه بنظام آخر. بما في ذلك نظام الجمارك على غرار ما هو متبع في الباب العالي. راجع: SERRES, pp. 32-33.

(74) Volet, R., p. 43, 58.

لوزير الحربية خسرو باشا دراسة ملف القضية الجزائرية وما يتطلبه من اتخاذ اجراءات الا أن موقف خسرو باشا لم يكن حازما،لأنه في اجتماع ضم خسرو باشا والصدر الأعظم تم الاتفاق على عدم التدخل الفعلي في الخلاف الناشب بين فرنسا والجزائر، مع التظاهر فقط بأنها ستتدخل[74]. وقد حمل نفس الشعور رشيد باي الذي كتب إلى الصدر الأعظم يوم 10 جوان 1830 يشاطره نفس الفكرة. وصرح الطبيب الخاص للسلطان برفقة بعض الشخصيات السامية في الدولة بأن الجزائر ليست مهمة للدولة العثمانية ولم تجلب لها الا المتاعب. ولا يربطها بالباب العالي إلا الدين[75].

الظاهر ان هم السلطنة هو منع محمد علي من الهجوم على الجزائر، من جهة. ولاعتقاده أن مصير الحملة الفرنسية سيكون الفشل،كما هو الشأن بالنسبة للحملات الأوروبية التي تعاقبت على الجزائر منذ قرون حتى إلى سنة 1824 التي لم تزد الأسطول الجزائري الا قوة[76]، من جهة ثانية.

وانه بالامكان التوصل إلى حل يرضي الطرفين الفرنسي والجزائري من جهة ثالثة، وأيضا لظروف كانت تمر بها الدولة العثمانية والمتمثل في الثورات الانفصالية وخاصة في جزيرة مورا، من جهة رابعة. وعلى ما يبدو أن الباب العالي ذهب إلى هذا بناء على ما كان يعيشه من ظروف سياسية، من جهة. وعلى ثقته بفرنسا، نظرا للصداقة الواهية التي كانت تربطه بها من جهة ثانية. ونبني هذا على قول بعض السياسيين بالباب العالي حين خاطب الحكومة الفرنسية بقوله: حطموا الجزائر ان

---

(75) راجع: كوران المرجع السابق. ص.ص. 24، 29 ـ 30.

(76) SERRES, p. 37.

(77) تعاقبت على الجزائر حملات أوروبية عديدة، منها الحملات الفرنسية سنة 1682، 1683، 1688. وكذلك سنة 1819. حيث جاء أسطول فرنسي ـ انجليزي ليتحسس على أوضاع الجزائر، وليبلغ الداي قرارات مؤتمر أكس لاشابال راجع:

Le Marquise, P. *Relation de la Compagne d'Afrique* Dentu, Paris 1832, p. 10.

أردتم، احتفظوا بالجزائر إذا كان هذا يروق لكم.. لكن لتعلموا أن هذا ليس من صفات الصداقة(٧٨).

ومهما يكن فقد أرسلت الحكومة الفرنسية حملتها التي نزلت في سيدي فرج بسلام واحتلت العاصمة بدون أية صعوبة(٧٩). على الرغم من أنها تمت في عهد أضعف ملكية وأضعف وزارة فرنسية(٨٠).

وبنجاح الحملة في تحقيق هدفها تشجعت السلطة الفرنسية وتماطلت في اعطاء توضيحات أو ضمانات لبريطانيا التي كانت تلح على ذلك.

الا ان المقاومة الوطنية الجزائرية أرغمت فرنسا على مراجعة مواقفها ولعل هذا من أقوى العوامل التي دفعت الجناح المعارض إلى مضاعفة انتقاداته للحكومة من جهة، ودي بولينياك أن يفتح باب التفاوض مع الباب العالي في الكيفية التي تسلم له الجزائر بها، من جهة ثانية،وفي الوقت الذي بدا فيه الغموض على السياسة الفرنسية حيال القضية الجزائرية.لأنه حسبما سبق لنا وعرفنا أن السلطة الفرنسية كانت تتجاذبها أطماع لاستعمار الجزائري، تارة. في حين كانت تدفعها الرغبة في تسليمها إلى الباب العالي تارة أخرى. في هذا الوقت راجت فكرة حبذتها أكثر من دولة أوروبية ومفادها أن تقسم الجزائر إلى مقاطعات تخضع كل واحدة منها إلى سلطة أوروبية على

---

(78) SERRES, p. 37

(79) كانت حملة فرنسا هذه مجهزة بـ 675 سفينة حربية وتجارية، منها 7 بواخر تحمل على متنها 37.331 عسكري منهم 110 قادة أركان و 4.008 فارس و 2.815 رماة مدفعية و1.345 بالهندسة العسكرية. انظر: Nettement, A. pp. 238-241. عن مسرح العمليات وخط مرور القوات الفرنسية من سيدي فرج إلى مدينة الجزائر، انظر ملحق رقم 1.

(80) اذ تعاقب على رئاسة الوزراء في عهد شارل العاشر ثلاثة هم: فيلال VILLEL الذي استقال تحت ضغط المعارضة، فخلفه مارتنياك (MARTIGNAC) يوم 4 جويلية 1828 ولقي نفس المصير بسبب ارتفاع عدد النواب الليبراليين فخلفه دي بولينياك يوم 8 أوت 1829. وقد استخلصنا بعد الاطلاع أن الوزراء الثلاثة كانوا متفقين على ضرورة احتلال الجزائر.

أن تكون العاصمة من نصيب فرنسا. وتضم عنابة لممتلكات النمسا،وتخضع سطورة (سكيكدة) لسردينيا،على أن تكون جيجل ضمن أملاك البابا،وتحظى تسكانة ببجاية، بينما تستحوذ نابلي على تنس،وتعطى وهران لاسبانيا، على أن تكون ارزيو من نصيب انجلترا[81].

الا أن هذا المشروع لم يكتب له النجاح لعدم تلقيه مساندة من الدول الأوروبية خاصة فرنسا، التي تفطنت إلى ما سينتج عنه من مشاكل ومضاعفات بين هذه الدول الأوروبية نفسها، من جهة، كما انه سيولد مضايقات للتجارة الأوروبية من جهة ثانية. كما أنه سيحدث نزاعا بين الدولة العثمانية وهذه القوة الأوروبية بتدخلها في شؤون الجزائر من جهة ثالثة.

لهذا لم تنجح هذه الفكرة التي مال أغلب أصحابها في النهاية إلى حل هو أن تكون فرنسا نظام حكم في الجزائر على غرار الولايات الأخرى التي تعمل على حرية التجارة، وأن تدفع ضريبة حرب إلى فرنسا. لكن الباب العالي لم يوافق على اقامة هذا النظام لأنه لا يخدم مصالحها الاقتصادية والسياسية من جهة، ولا يرضى بإقامة دولة مسيحية في ولاية إسلامية من جهة ثانية[82]. وكذلك بريطانيا التي لم تستهوها فكرة تقسيم الجزائر الى عدة مناطق لأن ذلك لا يخدم مصالحها خاصة وأن قوتها في حوض البحر المتوسط لا تغلب. لهذا كان لها موقف معين ـ في البداية ـ من الحملة،إذ عبر وزير حكومتها ولنغتون (Wellington) عن ذلك بقوله: بأن احتلال

(81) SERRES, p. 34.
(82) نفس المصدر، ص ص. 34ـ35.

فرنسا للجزائر لا يخدم المصالح الأوروبية كلها. وتفطنت الصحافة البريطانية إلى خطورة الاحتلال الفرنسي فوقفت بجانب الحكومة الانجليزية تحرض الرأي العام الأوروبي ضد فرنسا مشيرة إلى أن فرنسا قادمة على احتلال مملكة أكبر وأغنى من انجلترا[83].

SERRES, P. 40. (83)

الفصل الثاني

حمدان خوجة .. حياته وآثاره

- أصله ومولده
- محيطه الثقافي والاجتماعي
- تعلمه وثقافته
- آثاره العلمية
- آثاره الإصلاحية

حمدان خوجة .. حياته وآثاره

لم نعثر حتى الآن على نص صريح يعرفنا بأصل حمدان خوجة .. انما المؤكد هو من المولدين «الكراغلة» أي من أم جزائرية وأب تركي. والذي يؤكد هذا قول حمدان نفسه: وأما أنا الكرغلي بالذات قد كنت مستشارا في حكومة الداي وأن والدي لم يكن من الحضر الأندلسيين (Maures) [1]. وكذلك من اعتبار الفرنسيين المعاصرين له على أنه من الكراغلة. وأيضا من سيرة حياته منذ أن كان بالجزائر إلى أن استقر باسطنبول.

وقد خلط أرجمند كوران بين شخصية حمدان خوجة وشخصية والده عثمان خوجة إذ قال خطأ:«ان حمدان أفندي أصله من بودر (Budur) بتركية رحل إلى الجزائر وترقى حتى رتبة دفتردار، وهو ابن أحد العلماء الأشراف[2]. والحق ان هذا يصدق على والد حمدان خوجة.

---

(1) قال حمدان في رسالة له على رد حول كتابه:
«Mon père qui n'était pas maures ... et moi même qui suis roulouglis (sic)». extrait de l'observateur des tribunaux, T IV, Dezavche, Livraison 3, 4 Paris 1834.

(2) أرجمند كوران، المرجع السابق، ص. 48 (نقلا عن كتاب علي رضا باشا، مرآة الجزائر ترجمة علي شوقي، اسطنبول، 1876، ص. 108.

أما عن تاريخ مولده فالمصادر التي بين أيدينا الآن والتي تكلمت عن حمدان خوجة لم تذكر السنة التي ولد فيها بالضبط،الا أن المستنتج من أقواله ومنها ما جاء في رسالة له بعثها إلى ملك فرنسا الويس فيليب تحدث فيها عن نفسه قائلا: "التماسا لسنده ولعطفه على رب عائلة بلغ الثانية والستين من العمر"[3]. وبناء على هذا يكون حمدان ولد حوالي سنة 1773 م.

وعن مكان مولده فمن أقوى الاحتمالات انه كان بالجزائر العاصمة،ونذهب إلى ذلك بناء على دلالات كثيرة منها: قول الحاج أحمد، باي قسنطينة،في مذكراته: عندما قدم إلى قسنطينة ذات يوم المدعو سي حمدان من مواليد مدينة الجزائر[4]، وكذلك استقرار اسرته بالجزائر العاصمة مدة طويلة. وأيضا سفره إلى اسطنبول وهو في حوالي سن الحادية عشرة من عمره،والذي قد يكون لغرض التعرف على أرض الأجداد كما هو معهود من الأتراك. علاوة على أنه من الكراغلة الذين يكونون من مواليد المدن الجزائرية وخاصة العاصمة.وبناء على هذا يكون حمدان خوجة جزائري المولد والنشأة والعرق عن طريق الأم،لأن أغلب الأتراك الذين جاءوا إلى الجزائر كانوا يتقربون من الأسر الجزائرية العريقة. وعليه يكون حمدان من أسرة جزائرية(*). فضلا عن النشأة والاحساس بحكم أنه قضى حياته بالجزائر وخارجها مرتبطا بها فكرا وشعورا. ويظهر لنا ذلك واضحا من التعابير التي وظفها مثل «وطني» اني جزائري «أبناء بلدي». في رسائله،ومؤلفه المرآة،وعرائضه التي رفعها إلى الحكومة الفرنسية، ومذكراته التي سلمها إلى اللجنة الافريقية. (وستتحدث عن هذا في حينه)، وكذلك

---

(3) رسالة حمدان بتاريخ 10 جوان 1835، A. M. G., H20 انظر ملحق رقم 2.

(4) تعريب محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت. الجزائر 1973، ص. 33.

(*) لم نعثر على مادة مكتوبة تعرفنا بأسرة حمدان واذا صح ان الحاج محمد أمين السكة خاله تكون أم حمدان من أسرة عريقة لان هذا المنصب الذي شغله محمد خاله لا يسند إلا لمن كان من الأسر العريقة تتوفر فيه النزاهة والقدرة الثقافية العالية، وهي الصفات التي توفرت فيه فتولى مهاما حساسة مثل آغا المدينة.

من ذكره الصريح في أكثر من مناسبة على أنه جزائري المولد والدار، مثلما جاء في ختام الترجمة لكتاب نور الايضاح (امداد الفتاح) حيث ذكر: «انتهت الترجمة المباركة بعون الله وحسن عنايته لكاتبها... الفقير إلى مولاه حينما توجه حمدان بن المرحوم عثمان خوجة الجزائري مولدا ودارا الاسلامبولي مهاجرا وقرارا»[5].

أما عن تاريخ وفاته فيبدو على الوجه التالي: فجورج ايفار (Georges Yver) حدده ما بين سنة 1840 و1845[6] في حين قال محمد بن عبد الكريم. ثبوت وفاته أواخر 1840[7]. والراجح أن وفاته كانت في الفترة ما بين سنة 1840 و1841، ونبني هذا اعتمادا على ما جاء في سجل عثماني لمحمد ثريا، من جهة وعلى أن الأمير عبد القادر كان قد بعث برسالة إلى حمدان بتاريخ 10 ديسمبر 1841، واننا لم نعثر حتى الآن على الرد، ولسنا ندري اذا كانت الرسالة وجدته حيا أو فارق الحياة، لأنه لو كان حيا لمن المحتمل أنه تم العثور على أثر له بعد هذا التاريخ. أو كان حمدان ردّ عليه خاصة وأنه كان منشغلا بأحداث المغرب بعامة وشؤون الجزائر بوجه خاص. زيادة على هذا فاننا لم نعثر على أثر لنشاطه بعد هذا التاريخ.

ومهما يكن فان حمدان قد يكون عاش قرابة سبعين سنة خاصة في الجزائر وفرنسا واسطنبول، استوعب خلالها أهم الأحداث التي عرفها العالم الاسلامي والأوروبي لا سيما الحركات الفكرية التي أحدثت صراعا قويا بين النظم المحافظة والنظم الليبرالية

---

(5) امداد الفتاح، ترجمة نور الايضاح، مخ، مكتبة السليمانية، قسم أسعد أفندي رقم 598. راجع اختصار حديثنا عن هذا المخطوط في آثار حمدان العلمية في هذا الفصل. انظر الملحق رقم 3.

(6) Georges Yver, in, 2.A., 1913. p.

(7) جاء في كتاب محمد بن عبد الكريم، حمدان خوجة الجزائري ومذكراته، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 1972 ص، 93. قد توفي حمدان أوائل سلطنة عبد المجيد (نقلا عن محمد ثريا سجل عثماني ج 2، مطبعة العامرة، 1311 هـ ص. 245، علما ان السلطان عبد المجيد كان خلف السلطان محمود الثاني في جوان 1839 وتوفي سنة 1861.

التي ظهرت بشكل قوي آنذاك[9]. وكان حمدان قد عاش أهم تلك الأحداث وبر بتحولاتها الخطيرة لأنه عاش مع الفرنسيين خاصة والأوروبيين عامة وقت السلم ووقت الحرب،فكان لهذه التحولات أثرها القوي على شخصيته التي لعبت دوراً كبيراً على المسرح السياسي والفكري. وسيأتي الحديث عن هذا في الفصول الثلاثة القادمة.

محيطه الثقافي والاجتماعي:

على الرغم من أن النظام العثماني لم يهتم بالتعليم في الجزائر كاهتمامه بحماية الجوانب الأخرى خاصة الجانب العسكري. ولعل ذلك يعود إلى ظروف العصر التي وجدت فيها الدولة العثمانية والتي كانت تتطلب القوة العسكرية،فتحتم على الدولة العثمانية أن تركز اهتمامها على هذا الجانب، إلى أن صار ظاهرة مميزة لحكمها،وكذلك إلى تعصب الأتراك الذين أبعدوا الجزائريين وحرموهم من تولي المناصب في الدولة، إلى درجة أنهم منعوا أبناءهم الكراغلة من تولي مناصب سامية في البلاد لكونهم أبناء أمهات جزائريات[5]. وهذا ما حرم البلاد من خبرة هؤلاء،وشجع أطرافا أخرى كاليهود على التقرب إلى الدايات واحتكار التجارة خاصة، من جهة ثانية، زيادة على ذلك فالدولة العثمانية وجدت في عهد بلغ فيه العالم العربي والاسلامي أدنى درجة من الانحطاط. لهذا كانت مقومات الحكم العثماني في الجزائر ثلاثة هي :

- حفظ الأمن.
- حماية الحدود.
- جباية الضرائب.

---

(8) من تلك الأحداث الثورة الفرنسية ـ مثلما سبق أن أشرنا إليه في الفصل الأول ـ وكذلك الثورة الباريسية 1830 وما نتج عنها من صراع فكري بين الملكيين والجمهوريين وكذلك الثورة الصناعية وما أعقبها من نظريات اقتصادية.

(9) سبق لهؤلاء أن قاموا بمحاولة للاستيلاء على السلطة . إلا أن انقلابهم فشل. للمزيد من المعلومات راجع : Hamdan Khodja, *Aperçu Historique et Statistique sur la Régence d'Alger*, intitulé en Arabe, le *MIROIRE*, traduit par H.D., tr., Goetschy, Paris, 1833. Livre 1,

وعلى الرغم من ذلك فان الفضل يعود إلى الأتراك في تأسيس عاصمة لأول مرة في تاريخ الجزائر تتوسط البلاد وتربط شرقها بغربها. وكذلك يعود الفضل الى بعض الدايات والبايات في أنهم أولوا عناية كبيرة لما يمتُّ بصلة إلى الثقافة، فشجعوا التعليم وزادوا في مؤسساته،خاصة في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر،ومن بين الذين شجعوا ازدهار التعليم الداي محمد بن عثمان باشا[10]، وصالح باي في قسنطينة الذي أنشأ مدرسة الكتانية وألحق بالجامع الأخضر مدرسة، ومحمد الكبير باي وهران[11]، الذي أمر بتوسيع رقعة التعليم ومنح جوائز للبعض من أهل الفكر.

وباختفاء هذا الثلاثي ضعف التعليم وانحصر في الزاوية،فسيطرت هذه الأخيرة على التعليم ونافست المدرسة، وصار الناس يلتفون حول المرابطين بدلا من أن يلتفوا حول العلماء، فأدى ذلك إلى نتائج خطيرة خاصة فيما يتصل بالناحية الثقافية كأن استمرت المعرفة بسيطة وأغلق باب الاجتهاد[12].

ويتساءل الباحث عن عدم اهتمام النظام العثماني بمعالم الثقافة في الجزائر، ان عوامل كثيرة حالت دون الاهتمام بهذا الجانب الحيوي ومن بينها ان الدولة العثمانية - كما قلنا سابقا - وجدت في عهد بلغ فيه العالم الاسلامي أدنى درجة من الانحطاط، ولأن الثقافة العربية اعتمدت في هذا العهد على ذاتيتها، فبعد أن كانت العلوم تخدم الدين صار ظاهر الدين يخدم العلوم،فأثر ذلك على الدولة العثمانية نفسها. زيادة على هذا فمنذ الخطوات الأولى من تكوين الدولة العثمانية وجدت نفسها أمام دول عسكرية فلا يمكن لها أن تبقى وتتوسع إلا اذا كانت هي في حد ذاتها دولة عسكرية فضلا على ان تكوينها كان تكوينا حربيا ضم أجناسا مختلفة ولم يكن تكوينا حضاريا

---

(10) لقب بالمجاهد، ودام حكمه مدة ربع قرن ابتداء من سنة 1766.

(11) عين صالح، بايا على قسنطينة سنة 1772، ومحمد الكبير، بايا على وهران سنة 1780.

(12) للمزيد راجع: أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 1، ش.و.ن.ت. الجزائر، 1979، ص. 37.

مصدره جنس واحد. بالإضافة إلى هذا فان الحكام قاموا بتعديات ضد الجزائريين اسفر عنها تذبذب في العلاقة بين الجانبين وأدى بالنظام الحاكم إلى عدم الاهتمام بالثقافة،لأن هؤلاء الحكام لم يكونوا من بين الجزائريين ولا الاندلسيين كان همهم تولي السلطة، لهذا كثرت في صفوفهم الاغتيالات والانقلابات التي لم يعرف نظام الحكم خلالها استقرارا، هذا الذي يعد شرطاً أساسياً لازدهار الثقافة. وان كان يشهد لهم بأنهم عملوا على ادخال بعض المعالم الحضارية وشجعوا بعض الأغراض التي خدمت الثقافة كالأوقاف.

واذا كان نظام الحكم العثماني اعتمد على مقومات ثلاثة ـ كما ذكرنا ـ حفظ الأمن حماية الحدود وجباية الضرائب. أما الباقي فكان موقوفا على الجزائريين خاصة فيا يتصل بالناحية الثقافية، فهذا الجانب ـ الثقافة ـ قد انتشر معتمدا على ذاتيته. لأن العناية بالمساجد كانت الظاهرة المميزة في المجتمع الجزائري، فلا يوجد مسجد بلا مدرسة ولا زاوية تخلو من مدرسة أو مسجد. واذا اعتمدنا قول حمدان خوجة فان طاقات فكرية كانت تكمن في أوساط المجتمع الجزائري اذ كانت أفكارهم منظمة لا تصعب عليهم الأمور يدركونها بكيفية مدهشة،لهذا اعتنوا بالعلوم والآداب فكان منهم شعراء وأساتذة التاريخ ومشرعون(١٣).

فبذلك يكون المجتمع الجزائري هو الذي حمل لواء نشر التعليم متأثرا بعوامل خارجية وفي مقدمتها هجرة الأندلسيين الذين كانوا يختلفون من حيث المستوى الفكري والمادي عن سكان المغرب، فقد انتشرت معالم الحضارة الأندلسية خاصة في ميدان التعليم من قواعد اللغة والأدب والعلوم والموسيقى،فطوروا طرق التدريس بأن أضافوا إلى طريقة حفظ القرآن لدى الأطفال تعلم الحديث والقواعد العامة

---

(13) HAMDAN, *Le MIROIRE*, p. 73.

الخط الأندلسي الذي نافس الخط المغربي، فتعين كبار العلماء منهم في جانب المدارس[13].

ومن العوامل الخارجية أيضا انتشار معالم النهضة الأدبية الفنية الأوروبية بظهور جامعات كتلك التي انشئت في ايطاليا وفرنسا، ابتداء من القرن الثالث عشر لدراسة الطب والفلسفة والقانون وسائر العلوم الأخرى فاحتك المغاربة بوجه عام والجزائريون بوجه خاص بالأوروبيين عن طريق التجارة خاصة بعد أن كان محظورا عليهم وعلى الكورسيكين من طرف الغرفة التجارية المارسيلية، فلما جاء نابليون بونابرت سمح للكورسيكين - بحكم أنه كورسيكي - بممارسة التجارة بحرية فكان من بينهم المغاربة. علاوة على الصلة التي كانت تربط سكان الغرب الجزائري بما ظهر من معالم حضارية في اسبانيا وسكان الشرق الجزائري بالمدن الايطالية وبفرنسا.

فنتيجة لهذه العوامل وغيرها ازدهرت الثقافة خلال أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. ولعل الذي ساعد على ازدهارها هو أن العثمانيين خلال هذا العهد رغبوا في توسيع شبكة التعليم بانشاء المدارس لمحاربة الطرقية[14]. وشغب المرابطين الذين أحرجوا الحكومة في هذه الفترة بالذات أكثرمن أي وقت مضى، لأن المتخرجين من المدارس كانوا يعينون بصفة رسمية. والظاهر أن المسؤولين في الحكومة رأوا في نشر العلم ردعا للمرابطين المناهضين، لأنه بالعلم تتفتح العقول ويبتعد الناس عن الانغماس في التصوف وينفضون عن المرابطين.

الا أن الذي حدث هو أن نشطت الطرق الصوفية وفي مقدمتها الطريقة الرحمانية التي عنيت بالتعليم في المدينة والريف بعد أن تطورت من زاوية لإطعام إلى زاوية تعليمية[15].

---

(14) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 1، ص.ص. 35 - 37.

(15) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 1، ص 146.

(16) الطريقة الرحمانية نسبة الى محمد بن عبد الرحمن بو قبرين من قرية ايت اسماعيل بضواحي الجزائر. تتلمذ في الأزهر ثم انتقل الى السودان وأخيرا الى الجزائر. وهي أصلا طريقة خلواتية. ومن أشهر زواياها زاوية الصدلاوي، زاوية شلالة، زاوية طولقة وزاوية الهامل.

وكانت طريقة التعليم في الجزائر أواخر الحكم العثماني مبعثها الدين، وتجري على الوجه التالي: بأن يتلقى الأطفال وهم في حوالي السن السادسة تلقين القراءة والكتابة ومبادئ الحساب[17]. بعد أن يحفظوا القرآن الكريم الذي هو أساس التعليم الابتدائي، وبعد هذه المرحلة يتلقون دروسا عن الفقهاء. ومنهم من كان يسافر الى تونس ومصر لإتمام تعليمه بجامعتي الزيتونة والأزهر. كما كان بعضهم يذهب الى ليفرون بإيطاليا لدراسة الطب واكتساب المعارف الأوروبية في مختلف الميادين. وهناك من سبق له أن سافر الى بريطانيا وفرنسا[18].

ومما تقدم يمكن القول أن نظام الحكم العثماني بالجزائر لم يهتم بالجانب الثقافي بقدر ما اهتم بجوانب الحياة الأخرى. وان الثقافة بالجزائر اعتمدت على اهتمام الجزائريين أكثر مما اعتمدت على غيرهم باستثناء فترة أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر التي تعد بداية الازدهار الثقافي بالنسبة لولاية الجزائر، نتيجة للعوامل المذكورة سابقا.

وفي هذا المحيط الثقافي عاشت ونشأت فئة متنورة كان لها الشأن الكبير آنذاك في المجال الفكري والسياسي والاصلاحي، وفي مقدمة هذه الفئة حمدان خوجة.

أما المحيط الاجتماعي فانه يتركب من عدة فئات متباينة فيما بينها وان كان التركيب الاجتماعي بالمدن يختلف عنه في الريف. فعدد السكان بالجزائر غير معروف في فترة العهد العثماني فالاحصاءات التي عرفت الآن ووقت ذاك متضاربة، ومن الصعب اعتماد احداها. اذ أن حمدان ذهب الى القول بأن عدد السكان الجزائريين

---

(17) للمزيد من المعلومات انظر ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، الفصل الرابع.

(18) انظر ما قاله في هذا الأمر فيلهلم شيمبر (1804 - 1878) وهو عالم نبات زار الجزائر في ديسمبر 1831 وأقام بها مدة 10 أشهر. أو راجع كتاب لعدة مؤلفين ألمان ترجمة أبو العيد دودو وعنوانه: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمانيين (1830 - 1855) ش.و.ن.ت.، الجزائر 1975، ص 13.

يبلغ عشرة ملايين[19]. في حين ذهب ياكونو(YACONO) إلى أن عدد الجزائريين آنذاك لا يتجاوز ثلاثة ملايين[20]. ومهما يكن فيمكن الحديث عن الهرم الاجتماعي الذي كان يتكون منه سكان الجزائر عامة والعاصمة بوجه خاص. واعتمدنا في هذا التقسيم على المستوى المعيشي للسكان لا على العرق. فيتصدر رأس الهرم ما يمكن تسميتهم بالعثمانيين، ويشكلون طبقة ارستقراطية حاكمة والتي كان معظم أفرادها من العثمانيين والكراغلة ورجال المخزن. وعلى الرغم من قلة عددهم بالنسبة لبقية السكان فانهم كانوا يملكون أجزاء غير قليلة من البلاد ويحكمون البلاد، فهم الفئة الميسورة في الهرم الاجتماعي نتيجة للامتيازات التي يتمتعون بها. وينتمي حمدان خوجة الى هذه الطبقة بحكم أنه كان يملك ثروات هائلة في الجزائر العاصمة ونواحيها، خاصة في سهول متيجة ، فهو يعتبر من كبار الاقطاعيين - البرجوازيين آنذاك لأنه جمع بين التجارة والفلاحة. واذا اعتمدنا قوله فانه كان يملك ثروة حيوانية وتجارة رابحة يمكن ذكر بعضها - على سبيل الحصر لا المثال - 10 آلاف رأس من الأغنام. 600 رأس من البقر مع 200 زوج من الثيران و 60 جملا بجانب عدد كبير من البغال والأحصنة، بالإضافة الى 600 خلية نحل. بالإضافة الى رأس مال تجاري يقدر بـ 300.000 فرنك[21].

ثم تأتي الفئة الثانية وتتكون من البلدية أو الحضرية من أعيان البلاد وهم في الغالب أصحاب الحرف العلماء والتجار. ويذهب فريق من الأوروبيين وفي مقدمتهم شيمبر الى القول: أن الحضر أهم عنصر في مدينة الجزائر، اذ يتراوح عددهم من 30

---

(19) HAMDAN, Le MIROIRE, p. 320.

(20) YACONO, Xavier, in., R.A., 1954, 3e, 4e Trimestre, pp. 277-307.

(21) عرض حال حمدان باللغة التركية بتاريخ 19 جوان 1835 رفعه إلى ملك فرنسا لويس فيليب A.M.G., H 32 انظر ملحق 4. وقد قدرت السلطة الفرنسية ثروة حمدان بـ 40 مليون فرنك على حسب ما ذكره حمدان خوجة وجابوا ... جريدة كل واحد اش عنده ونحن حسبونا بأربعين مليون» رسالة حمدان الى وصيه بتاريخ 26 ماي 1836 A.O.M., 141 انظر ملحق 5.

ال 40 ألف نسمة [22]. وكذلك رونودو الذي قال: يسكن مدينة الجزائر حوالي 80 ألف نسمة يمثل الأعيان أهم عنصر فيهم [23]. في حين ذهب فريق آخر الى خلاف ذلك وفي مقدمتهم بيشون الذي قال: بأن عدد هؤلاء الأعيان قليل بالنسبة لسكان المدينة [24].

وحسب رأي روزي أن عدد سكان العاصمة بلغ 30 ألف نسمة [25]. والراجح أن فئة الأعيان أو الحضرية هي أكثر عددا وأقوى مركزا بحكم أن مدينة الجزائر كانت محل تجمعهم واستقرارهم منذ فترات سابقة، وبحكم أن عدد السكان بالعاصمة كان يقارب المائة ألف. وعلى الرغم من أنهم كانوا يحتلون مكانة مرموقة في المجتمع الا انهم حرموا من تولي المناصب الهامة في البلاد، خلال فترات من الحكم العثماني، باستثناء بعض المهام التي أسندت إليهم كشيخ البلد وأمين الحرفة، اذ كان لكل حرفة أمين أو مراقب، وهؤلاء الأمناء كانوا تحت اشراف شيخ البلد الذي هو بمثابة والي المدينة. واذا اعتمدنا قول حمدان فان هذا الشيخ وجميع الأمناء يعملون بتنسيق مع نقيب الاشراف الذي كان يعين من أسرة شريفة تنتمي إلى أحد المرابطين [26].

ثم تأتي الفئة الثانية المعدومة والتي يمكن تسميتها بالبرانية التي كانت تعيش في العاصمة أجيرة، نزح معظم أفرادها من الجبال وتمركزوا في المدينة يجلبهم العمل في ميناء العاصمة الذي كان يكثر فيه النشاط التجاري. وكانوا يعيشون ظروفا اجتماعية

---

(22) ترجمة أبي العيد دودو الجزائر في مؤلفات الرحالين الالمان، ص 12 وظف الدارسون مدلول (MAURES) في مفاهيم متعددة، اطلق على الذين نزحوا من الاندلس، وعلى سكان شمال افريقيا، الا انها في الغالب تطلق على طبقة البلدية أو الحضرية في المدن.

(23) RENAUDOT. M., *Alger Tableau du Royaume de la ville*, Mongie Ainé, Paris, 1830, p 8

(24) PICHON, B., *Alger sous la domination française, son état présent et son avenir*, Paris 1833, p. 20.

(25) ROSET, *Alger*, Bouslama, 2è édition, Tunis 1980, p. 15

(26) HAMDAN, *le Miroir*, p. 99.

ومادية سيئة للغاية حتى انهم كانوا ينامون خارج سور المدينة(*). ومنهم من كان يعمل بسهول المتيجة في ضياع الملاك الساكنين في العاصمة.

وأخيرا تأتي فئة الفلاحين في قاعدة الهرم الاجتماعي، لأن النظام العثماني دعم الاقطاع في البلاد، فصار الفلاح مستغلا من طرف أصحاب النفوذ كالشيوخ والمرابطين والخلفاء. لأن العثمانيين أحدثوا سلطات متنوعة سواء في المدينة أو الريف بوقوفهم بجانب المرابطين، فمنحوهم حظوة لكسبهم إلى الصف. ومن جهة أخرى أسس النظام العثماني سلطة دنياوية أوليت قيادتها لشيوخ القبائل الذين خصوا بعناية فائقة فاقتطعوا الأراضي. وبهذه الطريقة تمكن العثمانيون من السيطرة على البلاد واستغلال الفلاح أبشع استغلال.

وأدى هذا التباين في الهرم الاجتماعي، سواء على مستوى ولاية الجزائر أو على مستوى العاصمة، أدى إلى تذبذب الحياة الاجتماعية، وبالتالي إلى ضرورة الصراع بين فئات السكان والنظام الحاكم في جهات متعددة من البلاد.

تعلمه وثقافته ..

درج حمدان في ذلك المحيط الثقافي والاجتماعي، فتعلم على والده بادئ الأمر[27]، ومن المحتمل جدا أنه تلقى دروسا على يد شيوخ كثيرين ومنهم محمد بن علي الذي راسله حمدان قائلاً: «نُحيي عتبة شيخنا وأستاذنا ومربينا»[28].

وكما هو معتاد عند أهل المغرب قد يكون حمدان تلقى حفظ القرآن في صغر سنه، وللدلالة على ذلك كثرة الآيات التي استدل بها في كتابته خاصة (اتحاف

(*) سور باب عزون.

(27) قال حمدان في هذا الصدد عن والده: وهو الذي علمني نظام الحكم العثماني وفي عهده درست شريعتنا ثم اشتغلت بالتدريس بعد وفاته. انظر *Le Miroir*, p. 104. ولا ندري متى توفي والده.

(28) لم نعثر على ترجمة لهذا الشيخ. راجع محمد بن عبد الكريم، حمدان خوجة ومذكراته، ص.ص 139-141.

المنصفين...) وهو ملم بالأحاديث النبوية والأصول الفقهية خاصة المذهب الحنفي مع قلة اطلاعه على المذهب المالكي،ويؤكد هذا بقوله: لم أر في ذلك نصا لعدم مطالعتي كتب فقه المالكي(٢٩). كما أنه مطلع على الأفكار الفلسفية والحضارات التي سبقت الحضارة الاسلامية كاليونانية،ونستدل على ذلك من قوله: «ولكون سمية السموم ومنفعة كثير من الأدوية ثبتت على اليونان وهم الفلاسفة وأقرها الشارع. ثم عربت كتبهم ودونت ووقع الاجماع على جواز العمل بتلك الأدوية»(٣٠). بالإضافة إلى اطلاعه الواسع على أمهات الكتب في الفكر الاسلامي العربي.

ومن الطبيعي أن يحظى برعاية فائقة وتعليم رفيع،وذلك بحكم محيطه الاجتماعي، لأن معظم أفراد أسرته كانوا يحتلون مراكز اجتماعية وسياسية هامة في البلاد،وهذا ما ساعده على أن يتبوأ مكانة منفردة من بين أترابه، الأمر الذي يحملنا على أن نشارك الاستاذ عبد الجليل التميمي فيما ذهب إليه بقوله: «فان حمدان يعد الشخصية الجزائرية الوحيدة التي تمتعت بثقافة واطلاع واسعين جدا،والذي ترك عددا من الوثائق السياسية الهامة حول أحداث الجزائر أثناء الاحتلال الفرنسي»(٣١).

وعلى الرغم من أنه ترعرع في محيط اجتماعي رفيع،وتتلمذ على شيوخ سواء عن طريق الحلقات أو عن طريق الاطلاع،الا ان ثقافته لم تكتمل الا من خلال رحلاته عبر بلدان إسلامية ومسيحية، ولسنا ندري على وجه التحديد القصد من تلك الرحلات أكانت لغرض التزود من منهل المعرفة أم لهدف الربح التجاري، أم لهدف آخر، والمحتمل أنها كانت لغرض التجارة بالدرجة الأولى،وبهدف حب الاطلاع بالدرجة الثانية.وحسبما لدينا من معلومات فان أول رحلة له قام بها وهو صغير السن

---

(29) اتحاف المنصفين، المصدر السابق ص. 106.
(30) نفس المصدر، ص. 70.
(31) التميمي عبد الجليل، بحوث ووثائق... ص 133

في حوالي الحادية عشرة من عمره رفقة خاله الحاج محمد أمين السكة إلى اسطنبول[32]. وليس لدينا ما يثبت على أنه بقي بها أم عاد إليها مرة أخرى، والراجح أنه بقي في اسطنبول مدة سبعة عشر سنة. ونذهب إلى ذلك بناء على دلالات منها ذكره: وفي سنة 1801 كنت عائدا من القسطنطينية صحبة خالي فارسيا بتونس[33]. وكذلك من خط يده الذي هو خط رقعي جميل يكون قد تعلمه في اسطنبول. وأيضا من اجادته اللغة التركية بجانب العربية نطقا وكتابة. ولادراكه لدقائق المذهب الحنفي دون أن يكون له كبير المام بالمذهب المالكي، وقد يعود ذلك إلى انعدام المدارس المالكية بتركيا. ثم ان أبناء الأتراك ذوي المكانة المرموقة كانوا يذهبون عادة إلى اسطنبول للتعليم لأنه لا توجد مدارس خاصة بأبناء الأتراك في الجزائر.

ويحدثنا حمدان عن نفسه بأنه سافر إلى باريس سنة (1820) حيث احتك بشخصيات سياسية ومنهم الويس فيليب قبل أن يصبح ملكا على فرنسا (1830). كما انه سافر إلى كل من اسبانيا وبعض الولايات الايطالية. واذا اعتمدنا قول بيشون يكون حمدان سافر إلى انجلترا أيضا[34].

وبناء على هذا يكون حمدان ملما ببعض مبادئ اللغة الفرنسية والانجليزية ولم يكن متمكنا من دقائقها، والا لما لجأ إلى مترجم ليعرض أفكاره على الملك الفرنسي[35].

---

(32) Hamdan, *Le Miroir*, p. 109. اختلف الدارسون حول ما اذا كان أمين السكة هذا خال أم عم حمدان، حتى ان محمد بن عبد الكريم ذكره في (اتحاف) المقدمة ـ بعمه في حين ذكر في (حمدان موجة..) على أنه خاله. والراجح أنه خاله.

(33) Hamdan, *le Miroir, livre I, chapitre 13.*

(34) يتحدث حمدان عن نفسه بأنه سافر إلى اسبانيا مرتين والى ايطاليا، راجع: **اتحاف**، ص 145. وكذلك **PICHON, B., Alger sous Padomenation française.**, p. 127.

(35) يذكر ميشال هابار HABART, M. ان حمدان كان يتقن الانجليزية راجع: *Histoire d'un Parjur, MUNUIT, Paris 1961, pp. 61--62.*
الا ان حمدان ذكر في أكثر من مناسبة أنه لا يجيد اللغة الفرنسية.

ومها يكن لقد أكسبته تلك الرحلات والاتصالات أفقا واسعا وثقافة عميقة أهلته أن يتعايش مع أهم التيارات الفكرية والسياسية التي انتشرت في أوروبا، خاصة بعد الثورة الفرنسية،واتساع مبادئ الامبراطورية النابوليونية،كما أكسبته تلك الرحلات الأدوات اللازمة لتحليل العناصر اللازمة لتطوير المجتمعات. ومن الدلالات التي تؤكد لنا مدى استيعابه لما جد في أوروبا قوله: « وفي أثناء رحلتي درست مبادئ الحرية الأوروبية التي تشكل أساس الحكم التمثيلي والجمهوري ووجدت أن هذه المبادئ كانت تشبه المبادئ الأساسية لشريعتنا اذا استثنينا فارقا بسيطا في التطبيق»[٣٦].

ومن الممكن جدا أنه كان يتردد على المكتبات بالدول والولايات التي زارها خاصة باريس،فيطالع أهم المؤلفات، سواء قبل الغزو الفرنسي للجزائر أو بعده. ونبني ذلك على شواهد منها ذكره: لم أعزم على ذكر سيرة السيد الجنرال كلوزال في كتابي هذا الا بعد أن قرأت كتابه[٣٧] أو قوله بأنه اطلع على جل النشريات التي صدرت عن الجزائر خلال السنوات الثلاثة الأولى من الاحتلال[٣٨]. ويذكر في موضع آخر: والذي يدهشني هو ان السيد بيشون قد عرض قبلي في كتاب وبكيفية صادقة هذه الأحداث[٣٩]. وقوله أيضا: «ومما انتقيته في كتاب زهر الرياض فكان

---

(36) *Hamdan, le Miroir, p. 105*

(37) نفس المصدر، ص 315. وكتاب كلوزال :
Observation sur quelques actes de gouvernement de Clauzel, Alger, Paris, 1831.

(38) مذكرات حمدان خوجة، ترجمة محمد العربي الزبيري، نشرت في مذكرات الحاج أحمد باي، المصدر السابق، ص 158.

(39) Hamdan, *Le Miroir*, pp. 41-42. تعين بيشون وكيلا مدنيا للجزائر في ديسمبر 1831. والأحداث التي تعرض لها، كانت في كتابه: *Alger sous la domination française*.

كالمحاضرات ولولا ما في الجزء الأول منه الذي وجدته في خزانة الكتب في باريس»(40).

وقد قيم حمدان تلك الرحلات وأعدها من صالح أعماله فوصفها بقوله: «وكنت قد تجشمت أسفارا هي كما قيل - أبعد من آمالي صرفت فيها برهة من العمر لولا اتهام النفس لعددتها من صالح أعمالي. فكنت رأيت بالبلاد الفرنجية انتظام أمورهم واعتناءهم بأمور السياسة في صيانة جمهورهم»(41). واذا اعتبرنا أن رحلات حمدان كانت بالدرجة الأولى قصد التجارة فان هذا الجانب لم يلهه عن اهتماماته بألوان المعرفة،وهذا من المميزات الخاصة في شخصية حمدان.

ولدينا من المادة ما يثبت اتساع أفقه وكثرة اهتماماته بشؤون العالم الاسلامي اذ كانت روحه تتوق إلى اصلاح أحوال المسلمين، لهذا انتقد حكم أولي الأمر على أنهم لم يطبقوا مبادئ الشريعة . وهو ما سنتحدث عنه بشيء من الاختصار في آثاره الاصلاحية.

آثاره العلمية ..

لحمدان آثار علمية قيمة تعتبر من المصادر الأساسية لدراسة الفترة الأخيرة من العهد العثماني في الجزائر، أثناء الاحتلال الفرنسي، كما انها تعطينا صورة واضحة على مستوى الفكر في العالم الاسلامي آنذاك.

ومعظم آثاره عبارة عن مؤلفات وترجمة ومذكرة ورسائل. أهمها التي ألفها في السنوات العشرة الأخيرة من حياته. وهذا يكشف جانبا من نفسية حمدان،وهو أنه

---

(40) حمدان خوجة ملخصات وتراجم ، مخ، المكتبة الوطنية الجزائرية قسم المخطوطات ، رقم 2161 انظر ملحق 6.

(41) اتحاف المنصفين، ص. 45.

لم يلجأ إلى الكتابة الأ بعد أن مر بمراحل تجارية وسياسية متعددة، ولما فشل في جميعها وضاعت منه ممتلكاته وتقلصت آماله لجأ إلى ميدان آخر ليعوض ما فاته على أن يربح نفسه، شأنه في ذلك شأن الكثير من المفكرين أمثال ابن خلدون الذي فشل في تحقيق ما كان يصبو إليه من مناصب سياسية فعوض ذلك بتآليف مشهورة. وقد نجح حمدان في هذا اللون نجاحا عظيما، ويلاحظ الذكاء الحاد في كل ما كتبه، ولعل هذا ما جعلنا نراه غامضا، اذ استغل ذكاءه في اخفاء الكثير من مواقفه. والملاحظ عنه أنه لم يغير أسلوب نشاطه وهو شيخ اذ استمر يكتب بروح متفتحة وبأفكار جديدة مدعمة بالحجج القوية، متسما في ذلك بقدرة فائقة في تفنيد الاتهامات التي وجهتها إليه السلطة الفرنسية، وقارع الحكومة الفرنسية بقوانينها. اذ أنه في مدة قصيرة ألف المرآة والمذكرات، وراسل شخصيات متعددة على مختلف المستويات، واتصل بجناح المعارضة في باريس وأثر فيهم وتأثر بهم. ولم يكتف بالمراسلات السياسية بل وسع نشاطه فخاطب بجرأة أولئك الجامدين من المسلمين بأصول فقهية وأسس علمية لا تقبل جدالا. واستطاع أن يسلم من آذاهم. وقلما نجد هذه الروح المتفتحة لدى معاصريه من المسلمين.

ومن مؤلفاته:

1 – المرآة: ألفه في باريس سنة 1833 باللغة العربية ثم ترجمه صديقه حسونة الدغيس[42] تحت عنوان:

---

(42) حسونة الدغيس الطرابلسي أحد الشخصيات البارزة التي لعبت دورا فكريا وسياسيا لصالح القضايا المغربية، لجأ من طرابلس الغرب إلى فاس ثم الى لندن وبعدها الى باريس ثم استقر باسطنبول حيث توفي بها يوم 17 ديسمبر 1836. للمزيد من المعلومات حول هذه الشخصية راجع البحث القيم للتميمي عبد الجليل في بحوث ... ص ص. 263-274.

Aperçu Historique et Statistique sur la regence d'Alger (لمحة تاريخية واحصائية عن إيالة الجزائر) وقد اعتمد في تأليفه هذا على مراجع عربية وفرنسية[*]. يعتبر من أهم المصادر التي تكلمت عن تاريخ الجزائر في أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي. وقسم حمدان هذا المؤلف إلى:

- مقدمة.
- كتاب أول: يضم ثلاثة عشر فصلا.

كتاب ثان: يشمل اثني عشر فصلا.

- قسم لوثائق اثبات. والتي تعد على جانب كبير من الأهمية نظرا لما تحتوي عليه من حقائق. تحدث في هذا المؤلف باسهاب في مواطن، وباختصار في مواطن أخرى. وصف من خلاله الاضطهاد الذي مارسه الفرنسيون ضد السكان الجزائريين. ثم قارن بين ما هو عليه الشعب الجزائري من عبودية واضطهاد، وبين ما عليه الشعوب الأخرى من عدل وحرية، وقدم أيضا في هذا المؤلف احصائية عن ولاية الجزائر عامة فيما يتعلق بالمنتوجات الزراعية والحيوانية والسكان ووضعية معيشتهم. وان كان يلاحظ على هذه الاحصائية التضارب. كما أنه أثرى مؤلفه بمعلومات تاريخية وجغرافية هامة عن ولاية الجزائر. وعقد مقارنة بين نظام الحكم العثماني ونظام الحكم الفرنسي في الجزائر حيث فضل فيه الأول على الرغم من تجاوزاته المتعددة[**].

2 ـ **اتحاف المنصفين والأدباء عن الاحتراس من الوباء** وألفه باللغة العربية سنة 1836. ثم ترجمه إلى التركية وأهداه إلى السلطان محمود الثاني خان. وكان يهدف من وراء هذا العمل الجليل أن تطبق أفكاره التي حث فيها العالم الاسلامي على

(*) قال علي رضا باشا بن حمدان ـ اتخذ أبي لتحرير كتابه (المرآة) مصادر تاريخية بالعربية والفرنسية. الجيلالي عبد الرحمن ... ص 138. (نقلا عن علي رضا باشا مرآة الجزائر ترجمة علي شوقي اسطنبول 1876).

(**) للمزيد من المعلومات حول كتاب المرآة ارجع الى عرض ونقد لأهم المصادر بهذه الدراسة.

اليقظة والأخذ بمعالم الحضارة الأوروبية، وبنتائج التجارب التي توصلوا اليها للوقاية من الأمراض وكيفية علاجها. كما نبذ التزمت وألح على التفتح[45].

ومن حيث المقارنة يحضرني كتاب «تخليص الابريز في تلخيص باريز» للشيخ الطهطاوي (1801 ـ 1873)[46]، الذي أخذ بنظرية التطور الحضاري وفتح باب البحث في أسباب الرقي والتأخر، وقد انبهر الطهطاوي كإمام للبعثة المصرية (1826م) إلى باريس وبقي بها حتى سنة 1831، انبهر بما وصلت اليه أوروبا من حضارة، فقرأ عدة مؤلفات انعكست آثارها على فكره، فأدرك الفارق بين العالم الاسلامي والمسيحي، وهي نفس الفكرة التي تفطن إليها حمدان وعرضها في كتابه (الاتحاف) اذ قال الطهطاوي يصف حالة الأوروبيين: «وقد قويت شوكة الافرنج ببراعتهم وتدبيرهم بل وعدلهم ومعرفتهم في الحروب وتنوعهم واختراعهم فيها»[47]. وكان غرض الطهطاوي هو نفس غرض حمدان، أن يقبل العالم الاسلامي على الأخذ بحضارة أوروبا.

3 ـ رسالة أسماها حكمة العارف بوجه ينفع المسألة ليس في الامكان أبدع[48]: ألفها سنة 1837. ويظهر عليه التأثر الكبير في هذه الرسالة بأفكار الامام الغزالي.

---

(45) للمزيد من المعلومات حول هذا المصدر ارجع إلى وصف وتقييم لأهم المصادر في هذا البحث.

(46) لمعرفة شخصية رفاعة رافع الطهطاوي، انظر: جمال الدين الشيال، التاريخ والمؤرخون في القرن التاسع عشر، مكتبة النهضة المصرية ط 1 القاهرة، 1958 ص ص 49ـ87.

(47) ناجي نجيب، الرحلة الى الغرب والرحلة الى الشرق، دار الكلمة للنشر، ط 1، بيروت 1981 ص 11ـ14، (نقلا عن الطهطاوي، تخليص الابريز... مطبعة بولاق، ط 2 1949 م ص 8.

(48) راجع محمد بن عبد الكريم، حمدان خوجة الجزائري ومذكراته ص 29 (نقلا عن اسماعيل باشا، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مطبعة البهية، اسطنبول 1951).

4 ـ ترجمة لكتاب نور الايضاح ونجاة الأرواح للشيخ حسين الشرنبلالي الحنفي (1585 ـ 1659)[49]، من اللغة العربية إلى التركية ترجمها حمدان سنة 1839 وأسماها امداد الفتاح، وموضوعه فقه حنفي؛ استهله بمقدمة كتبها بسجع تلقائي لطيف غير ركيك، يظهر حمدان من خلاله أنه مستكمل أدوات اللغة لخلو الأخطاء الاملائية والنحوية والصرفية على الرغم من انه لم يمارس مهنة التدريس خلال فترة الاحتلال. كما أنه وظف في هذا السجع أسلوبا جديدا كألقاب الخلافة مثلا: «سلطان سلاطين البسيطة السلطان عبد المجيد خان»[50].

ومن المؤلفات الثلاثة الاتحاف، المعارف، وامداد الفتاح، يمكن استخلاص الفكرة وهي ان حمدان بدأ يميل إلى التصوف لأنه لم يجد ملجأ الا الله وفقا لقواعد النفس البشرية خاصة وان السن تقدم به ولم يعد له طموح سياسي وانعدمت موارده، فتغيرت نظرته للحياة.

5 ـ مخطوط ضخم به 228 ورقة (456 ص) من الحجم الكبير كتبه حمدان بخط رقعي جميل جاء في آخر صفحة منه: «انتهى والحمد لله على اكماله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما على يد العبد الحقير حمدان بن المرحوم عثمان خوجة كان الله له وجبر حاله» وكان الفراغ من نسخه في ذي القعدة الحرام

---

(49) فقيه حنفي تلقى تعليمه في الأزهر ، له مؤلف مشهور بعنوان (غنية ذوي الأحكام في بغية دور الحكام، طبع في مصر سنة 1877، المنجد في اللغة والاعلام ط 20 دار الشروق، بيروت 1960 قسم الاعلام، ص. 193.

(50) ومما كتبه في الافتتاحية قوله: «امدادك يا فتاح امددنا بسر التوفيق ونور الايضاح فنحمدك اللهم بما حمدت به نفسك ونمجدك بتمجيدك ونترجم عما انطوت عليه ضمائرنا من شهادة توحيدك قائلين نشهد أن لا اله الا انت شهادة اليقين والاخلاص مقرين بما جاء به أنبياؤك ، ورسلك ذوو العصمة والاختصاص،ونشهد أن سيدنا ومولانا محمداً عبدك الأمين ورسولك رحمة إلى كافة الخلق أجمعين... ونبذل جهدنا لتحصيل موجبات الاخلاص على قدر الاستطاعة في الدعاء لحضرة السلطان الذي أوجبت له يا رب السمع والطاعة... انظر ملحق رقم 7.

من شهور عام ألف ومائتين وتسعة وأربعين من الهجرة» (1833) [51]. ويعرف من هذا الأثر القيم أن حمدان استغرق في كتابته مدة حوالي ثلاث سنوات 1249 ـ 1251 هـ (1833ـ1835). وهي المدة التي قضاها في باريس تقريبا(*). جاء في آخر ما نسخه حمدان في كتاب «التنوير في اسقاط التدبير» للشيخ تاج الدين أحمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عطا الله(**)، اشارة «تمت في سنة 1251 هجرية (1835)». وهذا ما يثبت أن حمدان أنهى كتابة هذا المجلد في هذه السنة لكن التجليد لم يأخذ بعين الاعتبار للتسلل الزمني. وان التاريخ الذي ذكر في الصفحة الأولى «تملك هذا الكتاب العبد الفقير عليّ بن المرحوم حمدان أفندي بن عثمان خوجة... 12 ذي الحجة سنة 1249 هو تاريخ غير صحيح[52].

ومهما يكن فالكتاب يعد من المصادر الهامة، لأنه يبين لنا أن حمدان لم تشغله أموره الخاصة أمام المحاكم للدفاع عن حقوقه، ولا القضايا السياسية للدفاع عن الجزائريين والجزائر، بل كان يولي اهتماما للمطالعة والتأليف كما أنه يعرفنا بجوانب متعددة من شخصية حمدان فهو متمكن من قواعد اللغة العربية وبحور الشعر، وملم بعلم الطب والتاريخ، ومؤمن بالله عز وجل إيمانا كبيرا. كما أنه يبين العلاقة الثقافية بين

---

(51) انظر ملحق رقم 8.

(*) اذ انه سافر إلى باريس في أواخر أفريل 1833 راجع: الفصل الرابع، ورحل منها الى اسطنبول في 1836/5/28 راجع الفصل الخامس.

(**) عن ابن عطا الله، انظر الفصل الثاني.

(52) نلاحظ أن الرقم الأخير من هذا التاريخ هو 9 وليس 1، انما لم يظهر بوضوح، وذلك لعامل التآكل أو لجفاف الحبر أثناء الترقيم. انظر ملحق 9. لم نعثر على ترجمة لعلي رضا باشا، انما الذي عثرنا عليه هو أنه تلق تعليمه في فرنسا بمدرسة لويس الكبير وذلك تحت رعاية الباب العالي، وبعدها عين حاكما على طرابلس الغرب، وهو الذي ألف مرآة الجزائر، انظر ملحق 10 راجع الفصل الثاني.

مفكري المغرب العربي وأمثالهم من المشرق العربي، فهو عبارة عن ملخصات ونسخ وفتاوى لشيوخ وعلماء مغاربة ومشارقة[53].

6 ـ مذكرة قدمها للجنة الافريقية في جويلية 1833 والتي تعتبر الوجه الثاني لكتاب المرآة، تحتوي على قضايا هامة، حلل ووصف من خلالها طبيعة السكان الجزائريين واضطهاد السلطة الفرنسية[54].

7 ـ بالإضافة إلى الرسائل الكثيرة التي تبادلها مع شخصيات متعددة[55].

كما أنه لا يخفى أن حمدان نظم الشعر، وحلل منه قصائد، كما هو الشأن في مخطوطه الضخم، السالف الذكر. وهذا مطلع لقصيدة ذيل بها كتاب الاتحاف :

---

(53) استهل حمدان هذا المخطوط بكتاب **التنوير في اسقاط التدبير** ـ انظر الملحق الشيخ تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطا الله، وهو من تلاميذ أبي الحسن علي بن عبد الله الزرويلي الشاذلي. للمزيد من المعلومات راجع : دائرة المعارف الاسلامية نقلها محمد ثابت وآخرون، المجلد 13 ط؟ س؟ حرف ش. ومن مؤلفات تاج الدين. **تاج العروس**. توفي سنة 1309، للمزيد من المعلومات راجع : خير الدين الزركلي، الاعلام، ط 3، ج 1، س؟ ص 213.

ومن المؤلفات التي استهوت حمدان وانتقاها بجانب كتاب التنوير، **المنقذ من الضلال**. **مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار** للامام الغزالي. وكذلك **ازهار الرياض** لأحمد بن محمد المقري التلمساني (1584 ـ 1631) وهو مجموع منوط بذكر فضائل القاضي عياض وسيرته ومشائخه ونظمه. لمعرفة شيء عم المقري راجع : خير الدين الزركلي، ج 1، ص 226.

وعن عياض بن موسى القاضي (1083 ـ 1149)، أنه كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم، ولد بسبتة وولى القضاء بها. كما تولى القضاء في غرناطة. وتوفي بمراكش. من مؤلفاته الكثيرة : كتاب **المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الامام مالك**. راجع : خير الدين الزركلي. ج. 5. ص 282.

بالاضافة إلى هذا نقل حمدان في هذا المخطوط جملة من القضايا ضمنها حقائق تاريخية وفتاوى.

(54) سبق لمحمد العربي الزبير أن ترجمها. راجع تعليق رقم 38 من هذا الفصل.

(55) قال حمدان في هذا الصدد. «ولو ان الكافرين يعلمون شطر ما فعلت من تحريرات وتأليف ومراسلات مع الأجناس وغير ذلك...» رسالة حمدان الى صديقه محمود بن أمين السكة، نوفبر 1834، 37528 ـ B.A ـ انظر ملحق 11.

نسبت صلاحي واشتغلت بغيري

على حين غــربني وشيبي وضيري

وحيرة أهلي وعــيــالي لــرحــلــة

التي وبــيــنــنــا قــواطــع طير[55]

آثاره الإصلاحية :

نبغ العالم المسيحي في شتى مناحي الفكر خلال العصر الحديث، في حين تقوقع العالم الإسلامي على نفسه، فاعتمدت الثقافة الإسلامية العربية على ذاتيتها ـ كما سبق وأن ذكرنا ـ في هذا الفصل ـ ومن ثم اقتصر النشاط العقلي على الاجترار. ولما حدث اتصال العرب بالغرب واطلعوا على منجزاته انشطر العالم العربي الإسلامي إلى فريقين، فوقف فريق من المسلمين وهم كثرة بدءا من شيخ الاسلام الى القضاة الى فئة من العلماء من مفتيين وأئمة، موقف الحذر تارة وموقف الانكار لما توصل اليه العالم الغربي تارة أخرى[56]. حججهم أن ذلك بدع تجب محاربتها. بينما تبنى فريق آخر من المسلمين أهم ما جاء به الغرب خاصة في ميدان العلوم، ونذكر من هذا الفريق حمدان الذي يعد في نظرنا رائد الاصلاح السياسي والاجتماعي في العالم الاسلامي آنذاك. ومن أبرز ما في هذا الجوانب من شخصيته أنه دعا إلى نبذ التعصب والتزمت اللذين كانا يسودان العالم الاسلامي، نتيجة لموقف المحافظين من رجال الدين الذين أخذوا بظاهر الآيات والأحاديث النبوية، فأغلقوا باب الاجتهاد والتزموا التقوقع، واعتبروا كل شيء أخذ عن غير مسلم كفرا، فأدرك حمدان أن هذا هو السبب في تخلف العالم الإسلامي بالرغم من أنه كان سباقا إلى الحضارة. لهذا

---

(56) الكاف المنصفين، ص. 162. ونلاحظ هنا أن الوزن مكسور.

(57) للمزيد من المعلومات راجع: علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1798ـ1914)، الأهلية للنشر والتوزيع، ط 2، بيروت، 1978.

ناشد السلطان العثماني أولي الأمر أن يسرعوا في وضع حد للأعمال العقيمة التي كان يمارسها هؤلاء الجاحدون، وأن يبادروا إلى إصلاح كل ما من شأنه أن يلحق ضررا بالبلاد الاسلامية. لأن الحد من نشاطهم هو من باب الإصلاح للمجتمع الإسلامي ومنطلق لتحضيره. وقال حمدان في هذا الصدد: «يجب على السلاطين وعلى أولي الأمر .... أن يبادروا بإصلاح ما يدخل عليهم الضرر (على الرعية)... ولا يرخص لهم ـ بعد تحقيق ذلك ـ أن يساعدوا الجهال على تعصبهم، وجهلهم»[58]. وذهب حمدان إلى أبعد من ذلك بأن حاول أن يفطن الحكام إلى قاعدة هامة في التجديد إذ قال: «إن كل عصر له متطلبات وخصائل جديدة، ولدى ظهور عادة حديثة وجب التخلي عن القديم حتى نتفادى حدوث اضطراب وقلق في الشعب، وحتى لا يعرقل ذلك تسيير دولاب الادارة الناجحة»[59]. ثم انتقد هؤلاء الحكام الذين لم يطبقوا الشريعة الإسلامية لأنهم لم يفهموا جيدا مبادئها السمحة والتي من بينها أن ظروفا تترتب على الزمن وحاجات الانسان لم تتوقعها القوانين،ولذلك يجب على أي مشرع أن يفهم هذه الضرورات ليعمل على إيجاد طريقة حكيمة لتطبيق هذه القوانين[60].

فيعتبر حمدان بهذه الروح المتفتحة وبهذا الرأي العميق قد أدرك عوامل تطور المجتمعات من جهة، كما أنه يعد بحق رائدا، لأنه قلما نجد شخصا معاصرا له في هذا المستوى الفكري، من جهة ثانية، كما ان الفضل يعود اليه في تعريف العالم الأوروبي بحقيقة الشريعة الإسلامية من جهة ثالثة.

ومن آرائه الإصلاحية إلحاحه على تطبيق الحجر الصحي (La Quarantaine) الذي كان معمولا به في أغلب بلدان أوروبا، بينما لم

---

(58) الحاف المنصفين. ص 78.

(59) رسالة حمدان باللغة التركية الى السلطان محمود الثاني بتاريخ 16 أوت 1833 ترجمة التميمي عبد الجليل ونشرها في بحوث ووثائق، ص 170.

(60) *Hamdan, Le Miroir*, p. 105.

ينظم أو يعمم في البلاد الاسلامية(*)، وقد طبق الحجر الصحي على حمدان نفسه في اسبانيا وليفورن. وكان حمدان محقا في رأيه هذا لأن أغلب الدول الاسلامية أهملت قواعد الوقاية والعلاج، لدفع الأمراض المعدية، حجتهم في ذلك أن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء،وعليه فالموت والمرض مقدران(61). وعلى حسب هذا فلا داعي للاحتماء والتداوي، لأن ذلك لا يغير شيئا ما دامت نهاية كل مخلوق محدودة ومعلومة مسبقا لدى خالقها. زيادة على هذا فان وسيلة الاحتماء والتداوي - حسب رأيهم - لا تقبل لأنها جاءت من عند كافر وانها تتعارض مع مبادئ الدين الاسلامي.إلا أن حمدان رد على هؤلاء ردا منطقيا لا يقبل الجدال بأن أثبت عدم الاختلاف بين ما جاء في الحجر الصحي، وما يدعو إليه الدين الاسلامي اذ قال: «لكشف حقيقة ما يستعمله الفرنج، لمن يقف على رسالتنا حتى لا يتوهم من لفظ (الكرنتينة) انها أمر غريب يصادم ديننا ... والأولى التزام الاحتياط في أول الأمر... وكل ما ذكرناه من تصرفاتهم ليس فيها ما يكره شرعا ولا طبعا»(62). وقال في موضع آخر: «ان مبنى انكار من أنكر كل ما نسب إلى الفرنج انما مبناه على الجهل والتعصب»(63).

وعند حمدان ليس نبذ التعصب والتزمت فحسب بل على العالم الاسلامي أن يستعين برأي الأوروبيين الذين تقدموا أشواطا كبيرة في كيفية الاحتراس والتداوي من

(*) حيث كان يفرض على المسافرين القادمين إلى أوروبا، بأن يحجروا مدة عادة تقدر بـ 40 يوما وحين يتأكد خلوهم من الأمراض المعدية يطلق سراحهم. ومن المعلوم ان الحجر الصحي هذا لم يطبق في الجزائر وكان مطبقا في المغرب وتونس.

(61) ويرد حمدان على سؤال مطروح اذا كان الطاعون يعدي فمن أعدى المريض الاول؟، فيقول: لا يقال فيه من ولد الأول الا لمن أنكر خلق الله... ثم انا لا ندري ان الوباء لا تكون الا عن عدوى وسراية بل قد يكون لها أسباب أخرى... ان فساد الأهوية وكثرة المعفونات تورث باذن الله أمراضا وحمات مشهورة لا تنكر: اتحاف المنصفين، ص ص 124-125. وقال في موضع آخر: لا ريب في سببية الأسباب، وعلية العلل وشرطية الشروط لا يتوقف ثبوتها ومعرفتها، على الشرع، بل قد ثبت بعضها بالشرع وبعضها بالالهام، وبعضها بالتجربة. نفس المصدر، ص. 70.

(62) نفس المصدر، ص.143.

(63) نفس المصدر، ص. 78.

هذا المرض وغيره. خلاف الذين أهملوا أمر الطب مع أنه فرض كفاية، وصرفوا اهتماماتهم إلى العلوم الشرعية والأدبية لمقاصد متنوعة، فامتاز الأوروبيون واليهود بالمهارة المبنية على التجربة لأنهم توارثوا الصنائع المهمة وزاد فيها آخرهم على الأول فتوفرت عساكرهم ومتاجرهم، وهما الركزتان اللتان عليهما المعول، فاكتفوا بقلة حزمنا عن قتالنا، حيث ضعفت قوانا، واستأصلنا معظم رجالنا[64].

لم يكتف حمدان بالوصف والتحليل بل قدم مشاريع عمل، فبعد أن انتقد الطرق المتبعة في التداوي باسطنبول، وخاصة فيما يتصل بقواعد الحجر الصحي[65]، قدم مشروع عمل قيّم قصد تطبيق الحجر الصحي في الولايات العثمانية بعامة واسطنبول بوجه خاص. حيث فوض أمر الاشراف عليه إلى مسلم يتمتع بخبرة واسعة واطلاع عميق شرط أن يعينه السلطان. يساعده عدد من أهل المروءة، شرط أن تراعى حقوقهم فيتقاضون مرتبات إضافية كي يؤدوا واجباتهم على أكمل وجه. وان يبنى في اسطنبول على مدخل البحر موضعان للحجر الصحي، ولا بأس من استعانة - اذا ما اقتضى الحال ذلك - برأي الأوروبيين[66].

وتفطن حمدان قبل غيره من رجال الفكر العرب المسلمين إلى عمدة أساسية في بناء الحضارة،وهي ان المسلمين لم يقبلوا على العلوم التجريبية والرياضيات والطب، فأهملوا هذا الجانب الفكري الخصب وحصروا اهتماماتهم في الاقبال على العلوم النظرية السلفية، الأمر الذي جعل العالم الاسلام ينطوي على نفسه في ركود، لم تزده الظروف الا اغراقا في التعصب والتزمت. غاية المسلمين من اقبالهم على تلك

---

(64) اتحاف المنصفين، ص 47.

(65) نفس المصدر، ص 141.

(66) واشترط حمدان في القائمين على تطبيق الحجر الصحي ان يكون قصدهم الأول خدمة البلاد ومنفعة العباد، في كامل الولايات العثمانية زيادة على هذا، اشترط تعيين طبيب كفء في كل ولاية، وان يفرض الحجر الصحي على كل أجنبي قادم إلى البلاد الاسلامية، وخاصة الى اسطنبول. اتحاف المنصفين، ص ص 147-149.

العلوم الفوز بالدار الآخرة، خلاف الأوروبيين الذين اهتموا بأمور الدنيا فتحضروا وبغوا عن غيرهم بأخذهم لما هو صالح من عند الذين سبقوهم وزادوا عليه زيادة لا تنكر(٥٤).

ويكون حمدان بهذا قد أدرك مركبات الحضارة وتطويرها من جهة،ويعد في مصاف الذين اهتموا ودعوا إلى العمل بهذا الجانب الفكري من جهة ثانية. لأن ذلك منطلق للتفتح،ووسيلة للقضاء على التعصب الذي ضرب أطنابه في العالم الإسلامي.

وتعجب حمدان من هؤلاء المتعصبين الذين أضربوا عن الأخذ بمعالم الحضارة الأوروبية بل قالوا بتحريم ذلك،فيستنكر حمدان ويقول: «ويا للعجب كيف يتهجم هؤلاء على مثل هذا التحريم والتكفير، بغير سند ولا نص ولا إجماع. ويطيلون ألسنتهم فيما هم فيه مخطئون. ويتعامون عن شيوع الربى في بلاد الاسلام»(٥٥). ومن الآراء الاصلاحية التي تنبه إليها نقده لسلوك المرابطين في بلاد المغرب العربي بعامة والجزائر بوجه خاص، حيث كان المرابطون يمثلون السلطة الروحية صاحبة الأمر والنهي،فامتد نفوذهم وعم جميع أنحاء البلاد. وقد بالغ السكان في تقديسهم لهم إلى درجة الاغراق في الخرافة ، فأكثروا الزيارات وتقديم القرابين لهم أحياء كانوا أم أمواتا. وصارت سعادة أو شقاء تلك المنطقة موقوفة على رضاء أو غضب المرابطين القاطنين بتلك الناحية.

والاعتقاد الشعبي ازاء المرابطين أساسه الجهل والتعصب والمبادئ الخاطئة، وهذا ليس معقولا لأن مبادئ الدين الاسلامي لا تسمح بتأليه الآدميين، وليس من

---

(67) قال حمدان: «لا مجال لانكار كون الفرنج في زماننا وقبله قد تمهروا العلوم الرياضية والطبيعية والصناعية، مع عدم تقيدهم بما يتعلق بأمر اعراضهم. وخصوصا الطب والنجوم، والهندسة وكثير من العمليات، حتى صار ذلك كالمختص بهم، مع اقرارهم بأن ما أخذهم لذلك كان من كتب الاسلام. ثم زادوا عليها ما صح عندهم بالتجربة والمشاهدة». اتحاف المنصفين، ص.ص. 72 ـ 73.

(68) نفس المصدر ص.ص. 155 ـ 156.

تسهيل اصلاح هذا. الا أن المتعلمين ورؤساء الحكومة العثمانية يدركون مساوئ ذلك حق الادراك إلا أنه لأغراض سياسية جعلتهم يقفون على هذه المبادئ الخاطئة ويشجعون استمرارها. لأن في ذلك بقاء للنظام العثماني ووسيلة محكمة للسيطرة على البلاد وخيراتها، وبالتالي منعا لقيام الثورات الشعبية ضد النظام لأن معظم سكان الجزائر كانوا ملتفين بالمرابطين أكثر من التفافهم حتى بشيوخ القبائل والعشائر. لذلك في اكتساب المرابطين اكتساب لهؤلاء السكان الذين هم مصدر البلاد. ومن جهة أخرى يعتبر المرابطون نعمة كبيرة في شمال افريقيا اذ لهم الفضل في تأمين طرق المواصلات الصعبة، وفي فض الخلافات التي كثيرا ما كانت تحدث بين القبائل والأسر(٦٩).

ومن أفكاره الأصلاحية التي دعا إلى الأخذ بها هي ارتداء اللباس الأوروبي، سواء كان لغرض الجهاد أو لغرض التزين. وقد علل حمدان جواز ذلك بقوله: «كل ما يلبسه أهل زماننا، لم تعرف في زمانه ـ صلى الله عليه وسلم ـ ولا في زمان الخلفاء الراشدين بل هي من جملة المباحات على ما هو الأصل في الأشياء .. إن قصد (بهذه الملابس) خفتها لأجل الجهاد، أو لطاعة خليفة الله في أرضه، فانه يثاب بلا شك.. فان كانت لزيادة حسنها وحسن منظرها فهو مباح، بمنزلة أكل لذائذ الأطعمة التي اخترعها الكفار»(٧٠). ويمكن اختصار القول أن حمدان بهذا الرأي يعتبر أول من أفتى بجواز اللباس الأوروبي.

ويعتبر حمدان بهذا التحليل والتركيب لدقائق الأمور شخصية على جانب كبير من التفتح، والمعرفة العميقة للعوامل المحركة للمجتمعات وأجهزتها الحاكمة. كما كان إلى حد كبير مصيبا في طرق أهم المواضيع في عصره، اذ كثيرا ما دعا إلى تطبيق نظريات اصلاحية. الا أن دعواته لم تتعد حدود الكلمة المكتوبة، ولم تحظ بتأييد أو

---

(69) Hamdan, *Le Miroir*, pp.. 8–10.

(70) اتحاف المنصفين. ص.ص. 172 ـ 173.

تطبيق في المجتمع الاسلامي آنذاك، خلافا لما كان لجانب السياسي من شخصيته التي كان لها تأثير واضح في هذا الجانب سواء وهو في الجزائر أو في فرنسا أو في اسطنبول مثلما سنعرف في الفصول الثلاثة القادمة.

وكيفما كان الحال، اذ لا نحسب اننا نبالغ ان قلنا يمكن للجزائر وللعالم الاسلامي العربي الافتخار بحمدان خوجة وبأمثاله. كالمفتي ابن العنابي[71] الذين سبقوا علماء مسلمين كثيرين في طرح قضية التجديد والاصلاح السياسي والاجتماعي قبل أن يطرحها كل من رفاقه رفاعة الطهطاوي والأفغاني ومحمد عبده وخير الدين باشا[72]، في وقت ضرب فيه الجمود الفكري أطنابه في العالم الاسلامي.

---

(71) محمد بن محمود بن محمد بن حسين الجزائري (1775 ـ 1851) يعتبر من الأوائل الذين طرحوا قضية التجديد والاجتهاد في العالم الاسلامي عاش حياته في الجزائر، وتونس ومصر، ولعب في كل منها أدوارا هامة. للمزيد من المعلومات راجع: أبي القاسم سعد الله ابن العنابي ش.و.ن.ت.. الجزائر. 1967.

(72) ولد خير الدين حوالي 1819، أصله شركسي، اختطف وهو صغير وبيع الى باي تونس، فعمل على رعايته، فتلقى تعليما رفيعا في مبادئ اللغة وأصول الشريعة، وعلم الكلام، ثم تولى قيادة الجيش التونسي، وأولى اهتماما كبيرا للدفاع عن تونس سياسيا، وللنهوض بها، ولهذا الغرض أسس مجلسا نيابيا تحت رئاسته، رغبته من وراء ذلك، تطبيق الديمقراطية في البلاد، لتظهر بوجه جديد يجعلها في مصاف الدول المتقدمة، الا انه فشل في مسعاه بسبب موقف رجال الدين المحافظين، وموقف كل من الباي ووزيره مصطفى خزندار، فقدم استقالته، وعاد إلى دفة الحكم مرة أخرى، الا انه فشل في تحقيق اصلاحاته، فرحل إلى اسطنبول وتولى منصب رئاسة الوزراء في عهد السلطان عبد الحميد، وتوفي بها سنة 1889. من مؤلفاته: (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) وجاء كتقييم لتخلف العالم الاسلامي وتقدم العالم الغربي، للمزيد من المعلومات راجع: أحمد أمين، زعماء الاصلاح مكتبة النهضة المصرية، 1949، ص ص. 146ـ183. وضيف الله محمد الأخضر، محاضرات في النهضة العربية الحديثة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1980 ص ص. 47ـ52.

الفصل الثالث

حمدان خوجة وتطور القضية الجزائرية (1830 - 1834)

ردود الفعل لدى الباب العالي وبريطانيا

- دور الجزائريين في القضية الجزائرية

- مهمة حمدان خوجة الى قسنطينة

حمدان خوجة وتطور القضية الجزائرية
(1830 - 1834)

تمكنت الحملة الفرنسية من تحقيق هدفها باحتلال الجزائر العاصمة ولم يجد الداي على الرغم من استعداداته بدا من الاستسلام حفاظا على نفسه وعلى مصالح أسرته[1].

فلجأ إلى نابلي برفقة حاشيته[2].

فسقط نظام الحكم القائم بعد أن كان مصدر رعب للدول الأوروبية ومركز قوة للدولة الاسلامية.

---

(1) كان الداي يعلم بتفاصيل الحملة من عدة مصادر منها أن قائد السفينة الجزائرية مصطفى بعث من الاسكندرية رسالة بتاريخ 16 جانفي 1830 تحتوي تفاصيل الحملة الفرنسية. راجع DOUIN, doct. No. 39. وأكد أحمد باي ان الداي حسين يعلم بمشاريع فرنسا، ولم يكن قلقا لا على نفسه ولا على مدينة الجزائر، وطلب من الباي أن يحصن عنابة. انظر: مذكرات أحمد باي ترجمة الزبيري محمد العربي، ص. 11. وقال سيمون بفايفر: وكان الداي قد خصص مرتبات لعدد من الجواسيس في كل من ايطاليا ومرسيليا وطولون وباريس فنقلوا له ذات يوم خبرا مفاجئا وهو أن فرنسا تعد أسطولا رهيبا لارساله ضد الجزائر. راجع مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ترجمة أبي العيد دودو، ش.و.ن.ت. الجزائر، 1974 ص. 63. وبناء على هذه المعلومات من المخبرين كلف الداي الشيوخ والمرابطين مسؤولية الجهاد وحماية الشواطئ. لمعرفة مسرح العمليات الحربية من نقطة النزول إلى مدينة الجزائر، انظر: ملحق 1.

(2) طلب الداي اللجوء الى مالطا لكن القائد العام رفض. قد يكون أنه تخوف من أن يقترب من قوة بريطانيا المتواجدة هناك فيجدد المقاومة، فعين له نابلي التي أبحر اليها يوم 15 جويلية 1830 ومنها الى ليفورون ثم الى باريس وعاد الى القاهرة فغادرها إلى الاسكندرية حيث توفي بها سنة 1838.

وبانهيار هذا النظام حدث فراغ اداري بالجزائر العاصمة، كان على السلطة الفرنسية أن تملأه كان تؤسس نظاما جديدا، اما أن يكون حكومة فرنسية واما أن يكون حكومة أهلية تحت وصاية فرنسا، أو تسلم الولاية إلى السلطان العثماني وفقا لمعاهدة تبرم بين الطرفين.

الا أن السلطة الفرنسية لم تحدد موقفها بوضوح من القضية الجزائرية،فقد غلب عليها التردد حتى إلى سنة 1834 حيث قررت بعدها أن تكون الجزائر امتدادا طبيعيا لفرنسا. لهذا استمرت المناقشات (من سنة 1830 إلى 1834) حادة بين الفرنسيين، خاصة داخل مجلسي النواب والشيوخ إلى درجة أن ذهب بها التفكير إلى تسليم الجزائر إلى الباب العالي على أن تكتفي هي بالمدن الساحلية، الا أن ثورة جويلية 1830 في فرنسا[3]، أوجدت أهدافا أخرى للحملة لم تكن مسطرة من قبل بوضوح، لأنه باعتلاء لويس فيليب العرش طرأت ظروف جديدة أوجبت على الحكومة الفرنسية أن تعيد النظر في سياستها الخارجية وفي مقدمتها القضية الجزائرية.

ومهما يكن فقد ظهرت ردود فعل قوية يمكن حصرها في:

- الرأي العام الفرنسي.
- الباب العالي وبريطانيا.
- السكان الجزائريين.

أما فيما يخص الرأي العام الفرنسي فانه بمجرد أن سقطت العاصمة ساد الاعتقاد على الأقل – في أوساط القادة الفرنسيين على انه بالامكان الاستيلاء على بقية الجزائر دون عناء. اذ صرح دي بورمون بعد دخول العاصمة، أن جميع المملكة الجزائرية ستخضع إلينا دون أية طلقة واحدة خلال مدة خمسة عشر يوما[4]، ثم

(3) حدثت هذه الثورة نتيجة لموقف الجمهوريين، الذين وقفوا ضد عودة الملكية الى فرنسا، وضد الدول الأوروبية الحافظة التي فرضت قيودا على فرنسا، خلال مؤتمر فيينا، للمزيد من المعلومات راجع: فيشر، تاريخ أوروبا الحديث، الفصل العاشر.

(4) لوتسكي، المرجع السابق، ص. 105.

بعث إلى ديبولبنياك رسالة بتاريخ 13 جويلية 1830 يلح فيها على ضرورة الاحتفاظ بالعاصمة حتى الشلف وكذلك ببيايلك قسنطينة، والعدول عن التفاوض مع الباب العالي قصد تسليمه الجزائر(٥). ويبدو أن موقف ديبورمون هذا جاء نتيجة لاعتقاده أن السكان الجزائريين سينضمون إلى الصف الفرنسي، لأنهم كانوا مستائين من النظام العثماني. هذا في الوقت الذي شاطره في الاعتقاد وزير البحرية دوسي الذي وجه أوامره لاحتلال كل الموانئ الجزائرية(٥).

وقد لقي هذان القائدان تأييدا كبيرا من أوساط فرنسية متعددة وفي مقدمتها البرلمان. وبذلك يكون قد ظهر تيار قوي عمل بكل ما يسعى لإقرار فكرة الاحتلال الكلي للجزائر، والاحتفاظ بها. وقد تزعم هذا التيار قادة الجيش الكبار. اذ راح دي بورمون يستقبل ممثلي الدول الأوروبية بالعاصمة، وكذلك كبار البلاد مثل باي التيطري وممثل باي تونس(٦). ثم انكب على تنظيم المدينة، وألغى أهم الوظائف في المدينة مثل الخزناجي وقائد الشرطة، ونفى العزاب من الانكشاريين خارج البلاد. ويكون دي بورمون قد خالف ما جاء في المعاهدة التي أمضاها بنفسه مع الداي حسين، اذ تنص المادة الرابعة منها على أن يضمن دي بورمون الحماية لامتيازات كل أفراد الجيش الانكشاري(٥). ثم شكل لجنة خاصة لضبط الأمور المالية وخاصة ميزانية الداي(٥).

---

(5) SERRES, pp. 61-62.

(6) راجع الفصل الأول.

(7) SERRES, p. 71

(8) راجع بنود هذه المعاهدة في *Collection des actes du gouvernement depuis l'occupation jusqu'au 1ere octobre 1834.* Royale Paris, 1843.

ESQUER, G., *Les Commencements.*, p. 408.

(9) يلاحظ ان الادارة الفرنسية استبقت الوظائف التي تخدم الاحتلال، وألغت الوظائف التي رأتها تشكل خطرا عليها.

ولا نحسب اننا على خطإ ان قلنا ان الهدف من تصرف دي بورمون هذا هو القضاء على بقايا النظام العثماني، والتمهيد لنظام فرنسي جديد. والذي يزيد من تأكيد هذا انشاؤه لجنة الحكومة يوم 6 جويلية عام 1830، كان هدفها دراسة امكانات البلاد والسبل للتحكم في شؤونها، ثم تفرعت عن هذه اللجنة الهيئة المركزية وتكونت من ألمع العناصر في المدينة برئاسة أحمد بوضربة [10]، مهمتها اقرار ادارة فرنسية جديدة، وتهيئة الظروف للفرنسيين كي يتكيفوا في حياتهم الجديدة[11]. وأصدر قرارا يوم 13 جويلية 1830 أسس بموجبه مصلحة الشرطة برئاسة دوبينوسك (d'Aubignosc) [12].

ويحل كلوزال CLAUZEL محل دي بورمون [13]، فيتبع سياسة مغايرة لما سبقه حيث أدخل تعديلات على لجنة الحكومة بأن وسع من مهامها لتشمل ثلاثة محاور: الأول يتعلق بالشؤون المالية، والثاني ينظم الأحوال الداخلية. والثالث يختص بالأمور القضائية. ثم ألغى المحكمة الحنفية وعوضها بالمحكمة الإسرائيلية، فيكون بذلك قد زاد في نفور الجزائريين خاصة من كان منهم على المذهب الحنفي، من جهة. وقرب

---

(10) أحمد بوضربة من الشخصيات التي لعبت دورا هاما في القضية الجزائرية، وعلى رأي جانتي دي بيسي يكون ولد حوالي سنة 1794، تولى والده منصب الخزنجي، وكان تاجرا بالمدينة. راجع : GENTY, de BUSSEY de *l'établissement française dans la régence d'Alger*, T1, F., Paris, 1835.
وسيأتي الحديث عنه في هذا الفصل، والفصل الرابع.

(11) أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ... ص ص. 57ـ58 وكذلك CARETTE, p. 225

(12) تكونت هذه اللجنة من رئيس ومفتش عام ومحافظين وفرقة من 20 فردا، بالاضافة الى ثلاثة مترجمين، راجع: CARETTE, p. 265 وكذلك نص هذا القرار في: *Collection des actes*.. pp. 3-4.

(13) إثر قيام ثورة جويلية 1830، حاول دي بورمون انقاذ اسرة البوربون، الا انه لقي معارضة من طرف ضباط الجيش، فرحل الى ايطاليا ثم الى البرتغال. وحل محله كلوزال قائدا عاما يوم 1830/9/2 بمرسوم 1830/8/12.

إليه بهود مدينة العاصمة [14]. وكان هدف كلوزال من ذلك تثبيت الأقدام الفرنسية على قاعدة سليمة. ولم يخف نواياه، اذ صرح في أوائل نوفمبر 1830 أن فرنسا ستحتفظ بالجزائر [15].

وبتولي برتهزن Berthezen [16] القيادة العامة في البلاد اتسمت الأوضاع الداخلية بشيء من الهدوء. وان كان الاستاذ يحي بوعزيز وصف برتهزن بالضعف في التفكير، ولم يقدم الأستاذ ما يقنع على أنه ضعيف، سوى أنه لم يقم الا بعمليات محدودة[17]. لا نشارك الاستاذ فيا ذهب إليه، لأن هذا يدل على أن برتهزن كان بعيد النظر، لأنه أدرك خطورة الوضع والنتائج الخطيرة التي ستنجر عن القيام بعمليات حربية، فهو بهذا يكون قد اتبع سياسة قريبة من النزاهة، فرضها الواقع، بأن حاول أن يكسب إلى صفه الحضر والبدو، الأمر الذي جعله يكبر بعض الشيء في عين مجموعة من الجزائريين ويثنون عليه، وفي مقدمتهم حمدان خوجة[18]

واستلم القيادة الدوق دوروفيكو (DE ROVIGO) [19]. فحاول أن يطبق سياسة جديدة، أقل ما يقال عنها سياسة المسيحي المتعصب، العسكري السفاح،

---

(14) اصدر قرارا يوم 1830/10/22 نص على أن: القضايا بمختلف أنواعها بين المسلمين، تكون من اختصاصات قاض مسلم، والتي بين الاسرائيليين تكون من اختصاص ثلاثة أحبار، والتي بين المسيحيين والاسرائلين تكون من اختصاص القاضي المسلم، وفرنسيين. راجع نص القرار في : *Collection des actes.*, pp. 24--26

(15) SERRES, p. 66.

(16) برتهزن (1775 ـ 1847) من ضباط الحملة. تولى القيادة من فبراير الى ديسمبر 1831.

(17) يحيي بو عزيز ثورات الجزائر ط 1، دار البعث ـ قسنطينة ص 12.

(18) روبر أجرون، **الأصالة**، العدد 4، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، البعث، قسنطينة، اكتوبر 1971، ص. 102.

(19) هو صافاري دوروفيكو (1774 ـ 1833)، تولى القيادة العامة في 17 ديسمبر 1831 الى 4 مارس 1833.

حيث حول المساجد إلى كنائس، واعتبر ذلك مطلب المسيحيين منذ عهد سابق، وحاول أن يقنع الجزائريين بقبول ذلك بأن قال: لا خطر من أن تكون الكنيسة مكان المسجد لأن الله واحد[20]. ثم قام بسلسلة من هجومات الابادة للأعراش والقبائل، ومنهم قبيلة العوفية[21]. ثم خلفه في القيادة بالنيابة أفيزار (AVIZARD) وفوارول (VOIROL)[22].

مما تقدم يمكن أن نستخلص، أمورا كثيرة، منها أن الجزائر كانت حقلا خصبا لتجارب أساليب سياسية مختلفة قام بها هؤلاء القادة، من جهة، وأن القادة لم يطبقوا سياسة واحدة بل اختلفت حدتها من قائد إلى آخر وكانت على حساب الجزائريين، من جهة ثانية. ومن جهة ثالثة يتأكد أن نية القادة الفرنسيين كانت ترمي إلى الاحتفاظ بالجزائر. ويتضح ذلك من كثرة الأعمال التي أنجزتها السلطة الفرنسية المحلية، ومن هذه الأعمال ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ تنظيم حركة التجارة في كل من الجزائر ووهران وعنابة، وربطها بالشبكة التجارية الفرنسية. فتح مدارس لتعليم أبناء الجزائريين اللغة الفرنسية، انشاء مطبعة لاصدار صحيفة باللغتين الفرنسية والعربية، تكون خدمة للاستعمار، على أن تعمم لتشمل وهران وعنابة[23]. كثرة المقالات على مختلف المستويات والداعية إلى ضرورة الاحتفاظ بالجزائر. ومما جاء في أحد المقالات: أن فرنسا ستحتفظ بالجزائر لأنها تمكنت من احتلالها ونشر الحضارة بكامل سواحلها. وهي تنوي توسيع رقعة الحضارة الى ما وراء الأطلس[24]. زيادة

---

(20) *Moniteur Algérien*, No. 24, 14 juillet, 1832. No. 26. 28 juillet, 1832. No. 49, 29 décembre 1832.

(21) تكلمت مراجع كثيرة عن ابادة هذه القبيلة، راجع:

Moniteur Algérien. No. 10, 10, 4 ,1832.

راجع كذلك اضافات أوردناها وفقا للتسلسل الزمني، والربط المنطقي في هذا الفصل.

(22) أفيزار من الضباط الذين لعبوا دورا هاما لصالح الاحتلال، تولى القيادة العامة بالنيابة من مارس الى ماي سنة 1833. وكذلك فوارول، تولى القيادة العامة من ماي 1833 الى جويلية 1834.

(23) *Moniteur Algérien*, No. 15, 14 mai 1832, No. 43, 17 Nov., 1832, No. 52, 13 janvier 1833, No. 58 2 mars., 1833, No. 71, 31, mai 1833, et No. 44, 24 nov., 1832.

(24) *Moniteur Algerien*. *NNo. 28 11 août 1832.*

عن المصاريف التي أنفقت على مدينة العاصمة قصد تهيئة العمران بها لتكون مركزا لادارة فرنسية، ويكفي أن نذكر مقدار ما أنفقته وزارتا الحربية والبحرية على ذلك، والذي بلغ 43 مليون فرنك من جويلية إلى اكتوبر من سنة 1830 [25]. بالإضافة إلى هذا تم انشاء مجالس ادارية وعسكرية في كل من العاصمة ووهران وعنابة [26]. كما شجعت الهجرة الأوروبية بعامة والفرنسية بوجه خاص، حيث بلغ عدد المهاجرين من أوروبا الى مدينة الجزائر وحدها حوالي 4.140، حسب احصاء 3 جوان سنة 1832 [27].

وإذا كان الكثير من الفرنسيين وفي مقدمتهم القادة قد بذلوا جهودا من أجل الاحتفاظ بالجزائر، فان فريقا آخر من الفرنسيين قد عارضوا بشدة فكرة الاحتلال والاحتفاظ بالجزائر،حجتهم أن ذلك سيحمل فرنسا أعباء مالية وارهاقا بشريا . وزاد موقفهم صلابة شدة المقاومة الجزائرية التي سنتحدث عنها بعد حين). وكان من أقوى المعارضين النائب السيد ألار (ALLAR) الذي نشر مقالا في أول سبتمبر عام 1830، عبر فيه عن رأيه بوضوح، ومما جاء فيه: ان مصيرنا بالجزائر سيكون مثلما كان في المستعمرات السابقة، اننا نضيع وقتنا واقتصادنا من أجل أسباب لا نهاية لها [28]. وناصره نواب كثيرون ومنهم دي صاد Dé SAD الذي قدم للحكومة الفرنسية اقتراحا عمليا دلّ على بعد نظره. ومحتواه: ان فرنسا لا يمكن لها بأي حال من الأحوال أن تستفيد من الاحتلال، انما يمكن لها أن تستفيد لو انها سلمت البلاد لأهلها وعقدت معهم معاهدة ذات مصالح اقتصادية،ان ذلك سيعود على الأمة الفرنسية بالفائدة أكثر مما يعود عليها من الاحتلال [29].

---

(25) *Nettement, A., p. 470.*

(26) *Moniteur Algérien*, No. 12, 24 avril 1832.

(27) *Moniteur Algérien*, No. 23, 10 juillet 1832, No. 68, 9 mai., 1833.

(28) *Considération sur la défficulté de coloniser la régence d'Alger et sur les résultats probables de cette colonisation*, SELLGUE, Paris, 1830.

(29) VALET, R., p. 76.
نلاحظ ان مثل هذه الأفكار نادى بها حمدان خوجة، وسنبين هذا في الفصل الرابع.

ونتيجة لتعارض وجهتي النظر الفرنسيتين انتقلت القضية الجزائرية من قضية وزارية فرنسية الى قضية وطنية، من قضية القضاء على القرصنة والاسترقاق الى قضية الجلاء أم البقاء. لهذا استمرت المناقشات حادة داخل غرفة النواب (Chambre des députés) وغـــرفـــة الأعـــيـــان (Chambre des Pairs)، ولعل هذا ما جعل الحكومة الفرنسية تخفض من قوة جيشها إلى 10.000 جندي من جهة. وتحاول تسليم مقاطعتي قسنطينة ووهران إلى باي تونس مقابل مبلغ من المال، من جهة ثانية (30). وتفتح باب التفاوض مع الباب العالي على نية تسليم الولاية له، من جهة ثالثة فضلا عما اتسم به حكمها في الجزائر بالضعف والتردد، وما حدث من تغيرات في صفوف القادة الحاكمين، اذ تعاقب على الحكم 6 قادة خلال 4 سنوات.

وهذا ما يدفع الباحث على الاحتمال، إلى أن الحكومة الفرنسية كانت تتردد في أي شكل من الحكم يمكن أن تطبقه في الجزائر، وان نيتها كانت الاحتفاظ بالجزائر لكنها كانت غير مرتاحة للظروف الدولية، لهذا التزمت السكوت ولم تصدر أي شيء رسمي يوضح موقفها من القضية الجزائرية الا في جويلية عام 1834. باستثناء تعليمات وجهها لويس فيليب إلى سفير بلاده في لندن في سبتمبر 1830، ذكر فيها أن بريطانيا تعمل جاهدة للسيادة على أهم المضائق خاصة الجزر الأيونية ومالطة.. وعليه فالجزائر يمكن أن تمثل المستقبل الزاهر للقوة البحرية الفرنسية، لأن وضع الجزائر تغير منذ ثورة جويلية 1830، وأنه بالامكان التفاوض مع الباب العالي من أجل الولاية (31).

وبناء على ما تقدم يمكن الوصول الى نتيجة وهي: أنه حتى الى سنة 1834 ظهرت ثلاث اتجاهات. الأول عمل على ضرورة الاحتفاظ بالجزائر كمنطقة

---

(30) راجع: أبو القاسم محاضرات في تاريخ الجزائر، ص 139. حيث نقلت ما بين 1700 الى 1800 قطعة حربية الى فرنسا راجع: Krabbeh.

(31) SERRES, pp. 64-66. POULLE Emmanuel, *considérations générales sur la régence d'Alger*, Paris, 1840, p. 130.

استراتيجية ودعم اقتصادي. والثاني عارض بشدة الاحتلال ودعا إلى الجلاء النهائي. والثالث حبذ لو أن فرنسا تكتفي باحتلال المدن الساحلية فقط، وتسلم بقية البلاد للجزائريين. وبذلك تكون القضية الجزائرية تطورت من حملة ذات هدف محدود يخص الوزارة إلى احتلال واسع يهم الشعب الفرنسي.

ردود الفعل لدى الباب العالي وبريطانيا:

مر معنا في الفصل الأول أن الدولة العثمانية كانت مشغولة بحروب ضد دول كبيرة، ومع ذلك أولت للقضية الجزائرية نوعا من الاهتمام كأن أرسلت طاهر باشا إلى الجزائر وعلقت عليه آمالا كبيرة، إلى أن علمت في أوائل أوت بسقوط مدينة الجزائر بيد الفرنسيين، وذلك عن طريق سفير فرنسا باسطنبول أثناء تقديم شروط بلاده مقابل تسليم الولاية للباب العالي، الا أن هذا الأخير رفض هذه الشروط لأنها لصالح فرنسا بالدرجة الأولى، ولا تخدم مصالحه[32] ومن ثم تاكد له أن فرنسا تصنعت جهل مهمة طاهر باشا.

---

(32) SERRES, p. 51 لأن مصالح الباب العالي كانت كثيرة من تبعة الجزائر، لها، ولأن الروابط توثقت في نهاية القرن الثامن عشر، بين الجزائر والباب العالي أكثر مما كانت عليه، خلال فترات سابقة، على عكس ما ذهب اليه معظم المؤرخين أمثال أرجمند كوران الذي قال: «ان الروابط بين أوجاق الجزائر والباب العالي قد ضعفت، وصارت التبعة عبارة عن تصديق السلطان على تولية الداي فقط». راجع: السياسة العثمانية. المرجع السابق ص ص. 15ـ16. والأدل على أن الروابط توثقت هو انه لما احتل نابليون بونابرت مصر عام 1798 ضغط السلطان في انذار شديد اللهجة على أوجاق الجزائر ليقاطع فرنسا، ونفذ الداي ذلك على الرغم من ان علاقات ودية كانت تربطه بفرنسا. وبعد أن تصالحت الحكومة الفرنسية مع الباب العالي عادت العلاقات من جديد بين الجزائر وفرنسا وتم عقد معاهدة في هذا الشأن سنة 1801 هذا من جهة. ومن جهة أخرى فانه على الرغم من وجود قانون يمنع التجنيد من تركيا وفقا لالغاء الجيش الانكشاري في عهد السلطان محمود الثاني (عام 1826) الا أنه سمح بتجنيد عساكر من أزمير كاستثناء للالتحاق بالجزائر بناء على رغبة الداي حسين، ولأن الجزائر كانت تعيش ظروف الحصار. ومن جهته أرسل الداي حسين سفنا حربية لتحارب بجانب الأسطول العثماني. كل هذا وغيره يدل على متانة الصلة التي كانت تربط الوجاق بالباب العالي. لهذا بمجرد ما قدمت له تلك الشروط رفضها.

وقامت الحكومة العثمانية بالاحتجاج ، الا أن هجوم والي مصر على سوريا في أوائل نوفبر 1831 حال دون القيام بأي عمل عسكري ضد فرنسا،ومع ذلك كتبت ولاية الجزائر بمناسبة عيد الفطر سنة 1832 في دفتر «التوجيهات». وترك مكان شاغر لاسم الداي. وفي 7 مارس 1832 جاء في جريدة «تقويم وقائع»: «لما كانت ولاية الجزائر موعودا بردها لطرف الدولة العلية عندما طلبناها، فسينظر بمقتضاه عند التنظيم»[33].

ولم يجدد الباب العالي اهتمامه الا بعد أن تصالح مع والي مصر وبعض الدول المجاورة له عام 1833[34]. وفي هذا الوقت وفدت على وزارة البحرية العثمانية عريضة من طرف حمدان خوجة ونوقشت في مجلس الشورى تقرر على أثرها ارسال مصطفى رشيد باي في سبتمبر 1834 سفيرا الى باريس، لغرض تذكير الحكومة الفرنسية بحق الباب العالي في ولاية الجزائر، كما أرسل لنفس الغرض نامق باي سفيرا بلندن.

الا ان مساعي السفيرين باءت بالفشل،لأن الحكومة الفرنسية أعلنت بصفة رسمية عن اعتبار الجزائر من ممتلكات فرنسا.

ويمكن القول أن فرنسا لم تجد معارضة قوية من طرف الباب العالي سوى اللوم، على أساس أن هناك صداقة كانت تربطها.

أما فيما يخص بريطانيا فانها لم تجد مطلبا شرعيا يحول دون تصميم فرنسا على القيام بالحملة، لهذا اكتفت بالطلب من الحكومة الفرنسية توضيح الهدف الحقيقي من الحملة من جهة. ومارست نوعا من الضغط لإخراج فرنسا كأن وقفت بجانب

---

(33) أرجمند كوران، ص. 47 (نقلا عن تقويم وقايع رقم 17).
(34) أرجمند كوران، ص. 48. بموجب صلح كوتاهية 1833 بين السلطان العثماني ومحمد علي.

الباب العالي تناصره دبلوماسيا. ويوحي لنا موقفها هذا بأنها كانت تهدف إلى الحد من التوسع الفرنسي خارج الجزائر. والحقيقة أنه لو أولينا شيئا من التأمل لاتضح لنا أنه من الطبيعي أن يكون موقف بريطانيا كذلك، لأن المعارضة لم تكن قوية من طرف البرلمان والعامة، اذ لم يكن الرأي العام مهيئا لثورة ضد فرنسا من أجل الجزائر،زيادة عن انشغالاته بالإصلاحات الانتخابية الجارية حول من يتولى العرش بعد وفاة الملك جورج الرابع في جوان 1830.

ومع ذلك لم تستمر الحكومة البريطانية في موقفها المعادي لفرنسا بخصوص القضية الجزائرية بل عدلت عن ذلك بعد أن تغير نظام الحكم الذي صار من نصيب الأحرار واعترفت بلويس فيليب ملكا على فرنسا[35].

وقد أشاد الملك الويس فيليب في خطاب له بهذا التقارب الذي حدث بين فرنسا وبريطانيا، وفسر ذلك على أنه ضرورة لإقامة وحدة ستساهم في اقرار السلم بأوروبا، ومن ثم شرع أسطولا الدولتين يمخران عباب البحر المتوسط جنبا إلى جنب في وفاق[36].

وبناء على هذا تكون بريطانيا قد كشفت اللثام عن حقيقة وجهها تجاه القضية الجزائرية. ويتأكد هذا من رد السفير البريطاني على وزير الخارجية العثماني من بريطانيا كي تساعد الباب العالي للضغط على فرنسا للخروج من الجزائر،فكان رد السفير يوم 29 جانفي 1831، أن بريطانيا ليست مستعدة للخوض في حرب ضد فرنسا من أجل استعادة الجزائر[37].

---

(35) مالت بريطانيا الى فرنسا لمصلحة اقتضتها الظروف، حيث مالت بعد أن تكون حلف مقدس ضم الروسيا، النمسا، وبروسيا، من أجل صيانة الأنظمة المحافظة ضد الثورات، فاحست بريطانيا بعزلتها، فاقتربت من فرنسا، ولتحمي مصالحها من الخطر الذي كان يأتيها من البرتغال بسبب النزاع القائم حول نظام الحكم، هناك، لمزيد من المعلومات راجع: كوران ، ص. 45،و51.

(36) *Moniteur Algérien*, No. 45, 1 Décembre 1832.

(37) كوران، ص. 44.

بالاستيلاء على كامل البلاد، وفرض الضرائب بقوانين ثابتة ومعقولة على القبائل، على أن يعين آغا فرنسي عليهم لأنه يخدم فرنسا بإخلاص، خلاف ما أن يكون الآغا مسلما. شرط أن تعاد المساجد لما كانت عليه في العهد العثماني، لأن ذلك سيضعف من نفور المسلمين تجاه الفرنسيين. ومن جهة أخرى استحسن لو أن فرنسا تصدر جريدة تتحدث فقط عن الصناعة والزراعة والفنون الأخرى الهامة، لأن الجزائريين محبين للاطلاع. ويمكن لفرنسا أن تشجع السكان بمنح خاصة لغرس الأشجار المثمرة، وأن تعمل على بناء المساكن. وأن تطلق حرية التجارة المتعلقة بالمواد الفلاحية خاصة الزيت وغيره (43).

وعبر بوضربة عن استعداده للتعامل مع السلطة الفرنسية منذ الوهلة الأولى من نزول القوات الفرنسية، فهو الذي تفاوض برفقة حسن بن حمدان خوجة مع دي بورمون باسم الداي قصد تسليم المدينة. ونتيجة لما أبداه من استعداد لخدمة الفرنسيين عينه دي بورمون رئيسا لمجلس البلدية، وأوكل له كلوزال ادارة أملاك مكة والمدينة، وأولاه برتهزن ثقة فائقة. لكن دوروفيكو عامله على أساس أنه دساس خطير، مثله مثل «لجنة الأعيان» التي كانت تعمل من أجل عودة النظام الاسلامي، ونفاه الى باريس.

ومن أقوى الاحتمالات التي دفعت بوضربة إلى الرغبة في إحداث حكم فرنسي هو أمله في أن تنتعش تجارته من جديد، وخشيته من عودة النظام العثماني إلى البلاد، الذي يعتبره السبب في كساد تجارته، وإلحاق الضرر بأفراد أسرته (44) واقتناعه بأن الجزائر ستظهر في ظل الحكم الفرنسي بوجه حضاري مشرق، فهو بهذا الموقف يعد أول من دعا إلى فكرة الإدماج.

---

(43) راجع جلسة 12 بتاريخ 1834/1/17 في:
PROCES *verbaux et rapports de la commission d'afrique en 1833*, Royale, Paris, 1834.

(44) وللمزيد من التعرف عن أفكار بوضربة انظر: الفصل الرابع، من هذا البحث.
BERTHEZEN, dix-mois., 2eme partie, p. 194.

بورمون الذي كان يوهم السكان من خلالها على أن فرنسا ستترك الجزائر إلى أهلها في مدة أقصاها ستة أشهر(٤٠).

ويمكن الحديث على ثلاث قوى من السكان لعبت أدوارا متعددة:
الأولى: تزعمت التيار السياسي.
الثانية: تولت المقاومة الشعبية.
الثالثة: قادت المقاومة المنظمة.

القوة الأولى: وتمثلت في ألمع العناصر من أكابر العاصمة الذين مال أغلبهم إلى الفرنسيين في البداية، وفي مقدمتهم حمدان خوجة وأحمد بوضربة(٤١) وحمدان ابن أمين السكة(٤٢). وقد اختلفت وجهات نظرهم حول الفرنسيين، ويمكن أن يقال عن أحمد بوضربة كان ناقدا لأوضاع الادارة الفرنسية،متمنيا التعاون معها، تدفعه الرغبة في أن يندمج الجزائريون في الحضارة الأوروبية،وتكوين نظام فرنسي بالجزائر على غرار الأنظمة الأروبية القوية. وذلك حسب رأي بوضربة ـ لا يكون الا

---

(40) Hamdan, *Le Miroir*, pp. 206--207

(41) أحمد بوضربة في حاجة إلى أكثر من دراسة (راجع بداية هذا الفصل)، فشخصيته على جانب كبير من الأهمية، خلاف ما قال عنه الدارسون ومنهم محمد العربي الزبيري، الذي ذكر: فإن مجرد المقارنة بين الرجلين (حمدان وبوضربة) اجحاف في حق حمدان. مذكرات أحمد باي، ص. 143. ويبني الزبيري رأيه هذا على أساس ان حمدان ترك آثارا مكتوبة، بجانب أنه مثقف، ومحب لوطنه، خلاف بوضربة.

لا تكفي هذه الأسباب لادانة أحمد بوضربة، على الرغم من انه قدم خدمات الى الادارة الفرنسية، منذ أن وطأت أقدام جيش الاحتلال، وعلى الرغم من المادة القليلة التي بين أيدينا، والتي توضح شيئا من مواقفه، كالمذكرات وغيرها، راجع: الملحقين رقم 12 و13 على الرغم من ذلك فان له وجها مشرقا في الوطنية، فهو الذي بارك ظهور الأمير عبد القادر، ودعا إلى مساعدته، وعارض عودة النظام العثماني الى الجزائر. ولمزيد من المعلومات راجع:

Géorges Yver, *R.A., 1913*, pp. 218--244. Berthzen, 18 mois à Alger juin 1830-- dec., 1831, Aust-Ricard, Paris 1834, 2è partie, p. 194.

(42) لا نعرف الكثير عن حمدان بن أمين السكة قبل الاحتلال، وحتى عن مولده،ففي عهد الاحتلال تولى منصب آغا، وعلى قول Georges, Yver, Y. R.A. 1913 p. 96. يكون توفي 1834 وهو من تجار مدينة العاصمة.

وبهذا الموقف تأخذ القضية الجزائرية بعدا آخر، وتتخلص فرنسا من أكبر منافس لها، فتتفرغ لتثبيت أقدامها في الجزائر.

دور الجزائريين في القضية الجزائرية:

بعد أن استعرضنا بشيء من الاختصار وجهات النظر الفرنسية وردود الفعل لكل من الباب العالي وبريطانيا حول القضية الجزائرية، نحاول الآن أن نتحدث عن دور الجزائريين في تطور القضية الجزائرية من سنة 1830 حتى 1834، على أن نركز أكثر على دور حمدان خوجة، وذلك نظرا لما لهذا الدور من أهمية، وحتى يكون هذا وفقا لعنوان الموضوع.

يبدو أن فئات من سكان العاصمة مالوا إلى الفرنسيين بادئ الأمر، ظنا منهم أن بعد القضاء على النظام القائم تتحسن أوضاعهم وتزداد حرياتهم، وحدث تطابق بين ذلك الظن وسلوك السلطة الفرنسية لما عينت البعض منهم في مناصب هامة. فعرض بعض الأغنياء والأعيان ولاءهم، وساهموا في تموين جيش الاحتلال[38]. ومما لا شك فيه أن سبب ذلك يعود إلى تأثير البيانات التي وزعت على السكان، ومضمونها أن الهدف من الحملة إنقاذ الجزائريين من ظلم الأتراك[39]. وكذلك تصريحات دي

---

(38) أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان، ص. 27. وكذلك شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تعريب أبي القاسم سعد الله، ط 1 الدار التونسية للنشر، ش.و.ن.ت.، 1974، ص. 50.

(39) أرسلت الحكومة الفرنسية وفدا إلى تونس في أفريل 1830، مكونا من دوبنوسك الذي تعين فيما بعد محافظا للشرطة بمدينة الجزائر، وجراردان (Girardain) الذي تعين مترجما في لجنة الحكومة، ورامبار (Reimbert) أرسلوا من أجل تهيئة العوامل وتوظيفها لصالح الحملة، وبالفعل أرسلوا في نهاية افريل 1830 تقريرا الى الحكومة، يمكن تلخيصه في ثلاث نقاط:

- تقرير الى قائد الحملة العام، يوضح الأحوال السياسية والاقتصادية والاستراتيجية المتعلقة بالحملة.
- حصلوا على ضمانات من باي تونس، كي يساهم في تموين الحملة بما يلزم من لحوم.
- كتبوا مناشير بالعربية ووزعوها على الجزائريين، للتعريف بالحملة، وتمويه هدفها وكان شارل زكار CH. ZACCAR (1789 – 1852) المولود بدمشق، هو الذي حرر تلك المناشير. راجع: كلا من: Nettement, A., p. 250. CHARLES. Féraud, *Les intreprétes..*, pp. 161-162, 182.

وفيما يخص حمدان بن أمين السكة فهو يمثل الجناح المعتدل اذ جمع بين السكون والثورة. وقد ولاه الفرنسيون منصب «آغا العرب» على سهل متيجة(٤٥) وعزله كلوزال من هذا المنصب، فأرغم على الذهاب إلى باريس. ولم يتضح لنا ما اذا كان متواطئا مع الفرنسيين ضد السكان، والا ما كان كلوزال تشكك فيه واتهمه بالتقصير في القيام بالواجب. وحسبما جاء في محاضر اللجنة الافريقية، انه متفق مع بوضربة في نقاط كثيرة حول احداث نظام فرنسي بالبلاد، الا انه يختلف معه في نقاط هامة، وفي مقدمتها أن يكون آغا العرب مسلما وليس فرنسيا(٤٦).

وأما عن حمدان خوجة فانه في أغلب مواقفه كان ثائرا على الادارة الفرنسية بالجزائر، متمنيا احداث نظام اسلامي متطور. وحمدان من الذين كانوا يحملون أفكارا، محتواها أن فرنسا أمة عظمية، من الأفيد التقرب إليها والتعامل معها، وحدثت المنافسة بين مجموعة من حضر الجزائر العاصمة، من أجل نيل الحظوة عند القائد العام، فمنحوه ثقتهم وقدموا له مساعداتهم،منها مساكنهم لتكون مقرا لأفراد جيش الاحتلال، وذلك حفاظا على مراكزهم الاجتماعية والاقتصادية، وطموحا منهم لتولي ادارة البلاد بعد جلاء الفرنسيين منها. ونتيجة لذلك ولت السلطة الفرنسية عددا منهم وظائف خدمت الاحتلال الفرنسي بالدرجة الأولى.

ويلاحظ على مواقف حمدان بعض الغموض، خلال السنوات الثلاث الأولى من الاحتلال، ولعل ذلك يعود إلى غموض الفترة نفسها، وإلى غموض السياسة الفرنسية واختلاف وجهات نظر مسؤوليها.

وهذا أدى بدوره إلى تضارب أقوال الكتاب حول شخصية حمدان خوجة. فنجده بيشون«اعتبره من خيرة أعيان المدينة»وأنه من الذين قدموا خدمات جليلة إلى

---

(45) أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ص 71.
(46) راجع الجلسة 12 في: *procés verbaux et rapports de la commission d'Afrique.* المصدر السابق.

الادارة الفرنسية بالجزائر، اذ بفضل الأعيان تمكن الجيش الفرنسي من تحقيق الانتصارات[47]. وشاركه دوروفيكو الاعتبار، حين قال: يعد حمدان أكثر أعيان العاصمة حذقا ومهارة ونبجيلا[48]. وأعده الأستاذ أبو القاسم سعد الله زعيما للحركة الوطنية التي ظهرت في الجزائر[49].

وذهب جوليان (Julien) إلى حد أن اعتبر مواقف الحضر تتغير حسب الظروف، وهو ما يمكن أن يقال عن حمدان خوجة وأحمد بوضربة الأكثر تعاونا مع القادة الفرنسيين[50]. ويرى دي بيليسي (Pellissier, R.) أن حمدان أخطر شخصية من بين أعيان البلدية التي لعبت دوراً كبيرا لحساب الحاج أحمد باي، واتهمه بخيانة الأمانة، لأنه أخذ مبلغا ضخما من أرملة يحي آغا قائد جيش الوجاق سابقا، من أجل أن يتوسط لها لدى القائد العام كلوزال حتى لا يسافر ابنها إلى فرنسا ليتعلم هناك بأمر من هذا القائد[51]، وقال عنه جورج ايفار: انه لعب دورا كبيرا لصالح الجزائريين[52]. وكان في نظر الاستاذ عبد الجليل التميمي الشخصية الجزائرية الوحيدة التي تمتعت بثقافة واطلاع واسعين[53].

واختلاف كبار الكتاب المهتمين بتاريخ الجزائر الحديث، حول شخصية حمدان دلالة الى أن للرجل وزنا كبيرا من جهة. وانه لعب دورا هاما في تطور القضية الجزائرية، من جهة أخرى. فهو من المعجبين بالنظم السياسية الأوروبية المتنورة، وبحضارتها المتطورة. واستقى ذلك من رحلاته ومن محيطه الاجتماعي، كما سبق وأن

---

(47)
(48) PICHON, B., *Alger sous la dominition, F.*, pp. 20, 323--325.
(49) ESQUES, G., *correspondance du duc de Rovigo (1831--1833)* T2, Alger, 1920, p. 192, 359.
(50) راجع: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ط 1، بيروت 1969، ص. 37.
(51) JULIEN, CH., ANDRE, *HISTOIRE DE L'Algérie contemporaine* P.U.F., Paris, 1964, pp. 73--74.
(52) PELLISSIER, de REYNAUD, *ANNALES Algériennes*, T1, nouvelle édition, Paris, 1854, pp. 259, 155--156.
راجع: Géorges Yver, *R.A.*, *1913*, p. 107.
(53) التميمي، بحوث ووثائق، ص. 133.

ذكرنا في الفصل الثاني - الا ان هذا من المستبعد أن يغري حمدان ويجعله يفضل الغزو أو الاحتلال الفرنسي، لأن ذلك - على الأقل - يسيء إلى مركزه الاجتماعي، ويفقده ثروته. واذا اعتمدنا قوله من أنه رجا من الداي أن يسرع في تقديم الاعتذار الى الحكومة الفرنسية أثر قصف وحدات من جيشه للسفينة دلا بروفنس والتي كان على متنها النائب دلا بروتنيار (de la Protiniaire) وانه نقل أوامر الداي إلى قائد الجيش ابراهيم آغا في جبهة القتال رغبة في مواصلة الدفاع. وانه رفض أن يعمل بنداء المفتي للجهاد،على الرغم من الصلة التي كانت تربطه به، حجته في ذلك أن لا جدوى من مواصلة الدفاع، ولأن ذلك يعني دمارا كاملا للمدينة، لهذا قال وهو راجع من جبهة القتال: واعتبرت وقتها أن الولاية قد ضاعت ثم رجعت حزينا إلى المدينة لأنه لم يبق إلا تسليم المدينة للفرنسيين(٥٤). وإذا اعتمدنا ذلك فإنه كان يحافظ على المصلحة، ولإنقاذ البلاد من التدمير.

ولا نتفق مع محمد بن عبد الكريم فيما ذهب إليه: من أن حمدان كان واضحا في سعيه غير المباشر، من أجل استقلال بلاده وتحريرها من النفوذين التركي والفرنسي(٥٦).

وجدلا لو سلمنا بهذا الرأي،فاستنادا على أية قوة تفتك الجزائر من الفرنسيين بعد قضائهم على النظام العثماني؟ أعلى ما يتبقى من قوات الداي المنهارة، أم على قوة القبائل التي لم يكن لحمدان سلطة عليها ولم يكن يثق بها لأنه وصف بعضها بالخبث والنذالة والكسل(٥٥). أم على قوة أخرى كالباب العالي الذي لم يكن يتمنى انفصال الولاية عن السلطنة، وظل مرتبط الشعور بها. وقد يكون متأثرا بالوعود التي تظاهر

(54) Hamdan, *Le Miroir*, p. 188. من المحتمل أن يكون هذا المفتي هو محمد بن محمود الشهير بابن العنابي، انظر: آخر الفصل الثاني.

(55) محمد بن عبد الكريم، حمدان خوجة الجزائري ومذكراته، ص. 192.

(56) Hamdan, *le Miroir*, p.

لسعادة وطني، رأيت من واجبي أن أبلغ إلى الجنرال بوايي (BOYER) المبادئ التي طبقها العثمانيون،والتي على غرارها أمكن اخضاع قبائل الداخل،وقد رجوت منه أن يبلغ الى الجنرال كلوزال أن يلتزم بهذه المبادئ، اذا كانت فرنسا تنوي حقيقة الاستفادة من الجزائر ونشر العلم والحضارة بها[62].

ويمكن التأمل أو الاعتقاد ان هدف حمدان من وراء ذلك هو ألا تمارس الادارة الفرنسية الإبادة ضد السكان، فيكون بذلك قد خدم الجزائريين بدافع العاطفة الوطنية والشهامة الإسلامية من جهة. وخدم الفرنسيين بدافع المصلحة، وحذرهم بطريقة غير مباشرة، من أن السكان وخاصة القبائل ستقابل العنف بالعنف، من جهة ثانية. وانه في نظر حمدان لا يمكن أن يتم الاحتلال إلا بوسائل لينة كالوفاق مع السكان بإشراكهم في الحكم،ونشر العلم والحضارة بينهم.

وعلى ما يبدو أن حمدان حتى سنة 1833 كان يرغب في أن يعم الهدوء البلاد ليظهر نظام حكم متطور، يخدم البلاد ومصالحه معا، وذلك بحكم ما كان يحمله من انطباعات تجاه الحضارة الأوروبية، وبحكم ما حظي به من ثقة القادة،ومنهم كلوزال الذي عينه عضوا بلجنة التعويضات عن الأملاك المهدمة من طرف الادراة الفرنسية، كما كلفه بدراسة مطالب اليهود من فرنسا لدفع تعويضات عن القروض التي كانوا قد دفعوها إلى الكراغلة،كما تولى مهمة المراسلة بين باي التيطري بومزراق والسلطة الفرنسية[63].

الا أن أسهم حمدان هبطت في عهد كلوزال الذي لم يعد يعيره اهتماما فعزله وبقية زملائه من مجلس البلدية، لاختلافات بين أعضاء المجلس خاصة بينه وبين

---

(62) بوايي أحد القادة الفرنسيين الذين لعبوا دورا هاما في توسيع رقعة الاحتلال، خاصة في ناحية الغرب. والحضارة في رأي حمدان، اتباع الاخلاق، وتطبيق العدالة بين مختلف المستويات ، راجع: 83-82.
HAMDAN, *le Miroir*, préface et pp. 82--83.

(63) أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص. 80.

مثلا: كان عُرض على أعضاء المجلس مشروع يقضي بتحويل المساجد إلى مستشفيات،فاعترض الأعضاء الجزائريون على ذلك،إلا أن السلطة الفرنسية استولت عليها عنوة وحولت منها لما يصلح لخدمة الدين المسيحي، والاحتلال [59].

وفي عهد كلوزال الذي أحاط به مجموعة من اليهود كما ـ سبق أن ذكرنا ـ تعين حمدان عضوا في لجنة التعويضات عن الأملاك التي هدمتها الادارة الفرنسية ، قصد إحداث عمران بالمدينة [60].

ونسجل على حمدان موقفا غريبا آخر، وتمثل في أنه خلف أحد العضوين بمجلس البلدية بعد انسحابهما احتجاجا على تعسفات الادارة الفرنسية.ولنا أن نتساءل: لماذا تولى حمدان هذا المنصب على الرغم من رفض الكثير حسب قوله [61]. ومن الصعوبة بمكان الإجابة على هذا السؤال، وان كان من المحتمل أن طموحه هو الدافع ليتولى هذا المنصب ، وليثبت ولاءه للسلطة الفرنسية وحتى يبعد عنه التهم التي كانت توجه إليه، والتي محتواها أنه كان يعمل لصالح عودة (الأتراك)، وكذا ليسترد امتيازاته التي انتزعت منه، وليحافظ على ما تبقى منها.

ويسجل حمدان موقفا آخر يبعث الباحث على التأمل، وهو ما هدفه لما زود الادارة الفرنسية بمعلومات على أساسها يمكن لها أن تسلك نفس الطريق الذي اتبعه العثمانيون من لين وعاطفة بدل العنف ، وبذلك يمكن للادارة الفرنسية أن تتوسع بسهولة وتسيطر على القبائل، وقال في هذا الصدد: وبما أنني كنت أرغب بصدق

---

(59) نفس المصدر، ص ص. 258، 291ـ292.

(60) تكونت هذه اللجنة من موثقين عموميين لدى المحكمة الفرنسية، ومن بعض أكابر المدينة، منهم محمد بن ابراهيم رايس، سيدي الحاج العربي بن الرايس انظر: نفس المصدر، ص ص. 295ـ296. والحقيقة ان غرض الادارة الفرنسية من اشراك هؤلاء بمجلس البلدية كان ترضية للجزائريين، من جهة. وتثبيتا لاقدامها، من جهة أخرى، لأن السلطة التنفيذية كانت بيد لجنة الحكومة.

(61) HAMDAN, *le Miroir*, p. 257.

بها قادة الادارة الفرنسية، من أنهم جاءوا للانتقام من النظام (التركي) فقط، وسيتركون البلاد لأهلها. ولكن لا يعني هذا أنه بلغ به الأمر إلى العمل على طرد الفرنسيين بعد الأتراك لأن شيئا كهذا لا ينطلي على حمدان لأنه ليس من النوع الذي يغتر، فضلا على العلاقة التي كانت تربطه بالداي كمستشار له.

ومهما يكن فحمدان لم يقف على الحياد، ولم يعلن ثورة ضد الفرنسيين، وهو في الجزائر، على الرغم من أنه قال: وفي وسط جميع الاحتيالات للحكومة الفرنسية كان يمكن أن أنحيز إلى حزب معين، وأنا الذي كنت أحد الموظفين في النظام العثماني، وبقيت على الحياد، وهذا ما يتطلبه تقدم سني ومطامح عائلتي الكثيرة العدد(57).

ونذهب إلى أنه لم يقف على الحياد، لأن ذلك يتنافى وطموحه، ولأنه من ألمع العناصر بالبلد فكرا وثراء، لهذا نراه يسلك طريق الحذر حينا، والتعامل مع القادة الفرنسيين أحيانا أخرى بتوليه وظائف في بداية الاحتلال.

ومما لا شك فيه أن عوامل دفعته إلى أن يدير بعض الوظائف، قد تكون من هذه العوامل: رغبته في الحصول على مثل هذه الوظائف، سواء في عهد الادارة الفرنسية أو بعد جلائها. وأمله من التقرب إلى القادة الفرنسيين أن يحافظ على مركزه الاجتماعي والمادي. وعسى أن تسدد له الادارة الفرنسية قيمة الورق التي اشتراها منه الداي لصناعة الذخيرة الحربية لمواجهة جيش الغزو(58). الا ان دي بورمون لم يعوض له ذلك. ولعله التزم بهذا الموقف حتى لا يفتح الباب لتعويض مثل هذه الحالات، وحتى يخفف على ميزانية بلاده أعباء هي في ظرف لا تستطيع حملها.

وتفطن حمدان إلى أن وجوده وزملاءه بمجلس البلدية صوري لايهام السكان بعدالة فرنسا، لأن القضايا الهامة كانت الادارة الفرنسية تبت فيها رغم اعتراضاتهم

---

(57) المصدر السابق.
Hamdan, réponce à la refutation de l'ovrage de Hamdan. Extrait de l'observateur des tribunaux.

(58) قدرت قيمة ما أخذ منه الداي من الورق بـ 10.000 فرنك راجع:
Hamdan, Le Miroir, p. 201.

أحمد بوضربة، ولمعارضة المجلس لبعض المشاريع الفرنسية[64]، ولتآمر اليهود والفرنسيين عليه. ولعدم ارتياح كلوزال له،إذ اتهمه بأنه يعمل لصالح (الأتراك) ويتمنى عودة نظامهم. وصادف هذا انه تدخل لدى كلوزال لصالح المفتي محمد بن العنابي حينما تقرر نفيه عقابا له لتدخلاته ضد مشاريع الادراة الفرنسية،ومنها المشروع الخاص بإرسال أبناء خيرة الأسر إلى فرنسا[65]، وذلك لهدف مزدوج، ليتزودوا بالثقافة الأوروبية، من جهة. وليكونوا كرهائن حتى يتمكن النظام الفرنسي من تثبيت أقدامه من جهة أخرى.

تدخل حمدان والتمس من كلوزال أعفاء المفتي من النفي، الا انه لم يحصل الا على تأجيل مدته عشرين يوما وتحت كفالته[66].

ويبدو أن أعمال كلوزال مثل: مصادرته لأملاك مكة والمدينة ووضعها تحت اشراف ادارة مباشرة، الدومين (DOMAINE) [67]. وانشاء مزرعة نموذجية (La ferme experèmentale d'Afrique) بسهول متيجة على

---

(64) قال حمدان في هذا الصدد: وقد طلب منا كلوزال ان نسلم له مسجد العاصمة، فلم نرض، قائلين له ليس هذا من اختصاصنا. وفيما يتصل بالنزاع بين حمدان وبوضربة أضاف حمدان يقول: كان أحد أعضاء المجلس وهو بوضربة في نزاع مستمر معي، فلم أكن أرغب في لقائه، وكان كل واحد منا يشتكي بالآخر الى القائد العام، الى ان انتهى هذا النزاع بعزل أربعة منا واستبدالهم بآخرين HAMDAN, *le Miroir*, pp. 257--258. وعلى ما يبدو استمرت هذه العداوة بينهما الى غاية ماي 1836، وهو التاريخ الذي رحل فيه حمدان إلى اسطنبول، حيث بعث اليه رسالة بشتمه، انظر ملحق رقم 5.

(65) راجع كلا من: HAMDAN, *le Miroir*, p. 266, PELLISSIER, *ANNALES*, T1, pp. 155--156.

(66) HAMDAN, *LE Miroir*, pp. 264--265.

(67) وذلك بقرار 8 سبتمبر 1830، راجع: *Collection des actes*, pp. 9--10.

مساحة 1000 هكتار[68]. وأسر بومزراق[69]. وتفضيله لليهود على الجزائريين، وعزل حمدان من مجلس البلدية، وتجديد الأعضاء به[70]. وتحويل بعض المساجد الى مرافق عامة للحياة. كل ذلك قد أثر بعمق على حمدان أكثر من تأثير أعمال أي قائد آخر. لهذا كانت انتقادات حمدان لكلوزال شديدة، حيث شهر به في مؤلفه المرآة. الذي كان من الدلالات القوية التي مارستها المعارضة الفرنسية للضغط على الحكومة. ومما قال حمدان في هذا القائد: استولى الجنرال كلوزال بدون حق على ضيعة جميلة وأملاك أخرى، فجمع ثروة هائلة بمدينة الجزائر، ما أعظم أخطاءه، على الرغم من أنه عضو في مجلس النواب، يدعي أنه تحرري ، من جهة. لكنه رائد للحكم المطلق، من جهة أخرى. انه اغتنى على حساب الشعب الجزائري وعلى حساب شرف الأمة الفرنسية[71]. وقال فيه على سبيل السخرية: فان أولى تقارير هذا القائد لطمأنة الجزائريين هو الغاء المحكمة الحنفية واقرار محكمة الاسرائيليين[72].

أما علاقته بخليفة كلوزال الجنرال برتهزن[73]. فيبدو أنها عرفت نوعا من التعاطف. وان كان الاستاذ أبو القاسم يذهب الى أن حمدان كان ناقما على

---

(68) وذلك بقرار 30 اكتوبر 1830، راجع نص هذا القرار بنفس المصدر ص ص. 30ـ32.، حيث خصصت ضيعات بحوش حسن باشا، واستثمرت على شكل مستعمرات، وحث كلوزال الضباط على الاقتداء به الا ان برتهزن لم يتشجع الى هذه الفكرة، للمزيد راجع: JULIEN, CH., A., p. 77.

(69) ثار بو مزراق ضد الادارة الفرنسية، فخرج كلوزال على رأس حملة ضده إلى المدية يوم 1830/11/23، فأسر بومزراق ونفاه الى الاسكندرية، راجع أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر**، ص.ص 68ـ69.

(70) بقرار 1831/1/9، للمزيد من المعلومات نعرض اسماء الأعضاء : مصطفى بن مرابط، محمد بن حاج عمار، ابراهيم بن مولا محمد، حاج علي رايس، علي بن البحر ، مصطفي باشا، محمد بن قندورة، باكري الابن الأكبر، ودران الابن الأكبر. راجع: *Collection des actes du gouver*. pp..75ـ76

(71) *HAMDAN*, le Miroir, pp. 314--319.

(72) يضيف حمدان قائلا: ان لليهود مسؤولية كبيرة في ادارة بلدي المسكين، حيث يتم اغتصاب الأملاك ، وتسفك الدماء ، وترتكب الجرائم بقوانين منافية ، للنظم ، وللمساواة ، والسلام، HAMDAN, *le Miroir*, pp. 239--240.

(73) راجع تعليق 16 من الفصل الثالث.

برتهزن[74]. وان كان الاستاذ لم يتفضل بتوضيح بواعث هذه النقمة.في حين قال أجرون: راسل حمدان برتهزن منوها بسياسته: حيث ذكر: ترك اشرافه القصير على الإدارة بالجزائر أسفا شديدا في نفوس الجزائريين.. وان كنت لم أتحدث عنك ولا عن ادارتك المعتدلة والمستحقة للشكر في كتابي المرآة ـ وذلك من الواجب ـ فلأن الحوادث التي أوردتها تتبع التسلسل الزمني. ولن يفوتني الكلام عنها في الجزء الثاني الذي سيصدر بعد قليل[75].

ونذهب إلى أن علاقته عرفت نوعا من التعاطف. نتيجة للسياسة التي اتبعها برتهزن نفسه. (مثلما سيأتي من حديث).

والدارس لمؤلف الجنرال برتهزن، لا يجد تفصيلا عن حمدان بالقدر ما يجده عن أحمد بوضربة الذي قال عنه: بأنه أظهر صداقة دائمة لنا[76]. على الرغم من اتصال حمدان بهذا الجنرال لصالح صهره الذي اعتقله الآغا، ولصالح الداي حسين وخاله الحاج محمد[77]، وحسبما توفر لنا من مادة فان دور حمدان لم يكن متعدد النشاط في عهد برتهزن، وانحصر في الوساطة لصالح بعض الجزائريين، ولعله يكون التزم الحذر بعد أن عزل من مجلس البلدية، وأيضا لقصر مدة حكم برتهزن وللظروف التي سادت البلاد والتي اتسمت بشيء من الهدوء.

وما كاد يتولى الجنرال دوروفيكو(de ROVIGO)[78] القيادة العامة حتى جدد حمدان نشاطه الذي يعد من أكثر وأطول النشاطات التي مارسها في ظل الاحتلال. اذ اتصل بهذا القائد منذ الأيام الأولى من توليه أمور السلطة في البلاد.

---

(74) راجع أبا القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص. 81.

(75) شارل روبر أجرون، في الأصالة، العدد 4، ص. 102.

(76) انظر: **BERTHEZEN**, *dix-huit mois à Alger*, p. 194.

(77) **PICHON**, *Alger sous la domination.*, pp. 237--238.

(78) ارجع الى تعليق رقم 19 من الفصل الثالث.

بأن بعث له رسالة عبر له فيها عن حسن مشاعره نحوه، ونحو الحكومة الفرنسية، والتمس منه أن يؤكد للملك ولوزارته خضوعه وتعلقه بفرنسا. وأبدى استعداده للاستجابة هو وأعيان العاصمة لتلبية طلبه في تقديم ما يلزم للجيش من صوف، على أن يجمعوه وفقا لقدرة كل واحد منهم، مضيفا بأنهم اذ يفعلون ذلك فلأنهم مدينون للجيش لما يتمتعون به من استقرار وراحة [79].

ويفهم من هذا الموقف ان حمدان كان يسعى إلى تحقيق هدفين الأول: زيادة في الربح من صفقة تجارية. والثاني التقرب من هذا الحاكم للفوز بقدر من الحظوة.

والملاحظ أنه منذ أن تولى دوروفيكو القيادة العامة تغيرت أمور كثيرة (مثلما سبقت الاشارة اليه في هذا الفصل)، كان لحمدان دور فيها، فقد هدم هذا القائد ما كان سابقه أنجزه، مثلا كان في عهد برتهزن يتم الاتصال بين الادارة الفرنسية والسكان بضواحي العاصمة بواسطة الآغا الحاج محي الدين بن سيدي علي مرابط القليعة، فقلت هجومات هؤلاء السكان ضد الفرنسيين، فغير دوروفيكو هذا النظام بأن أقام حكما مباشرا مع السكان، وأقصى الآغا محي الدين، ووضعه تحت رقابة لأنه أصبح موضع شبهة دائمة. ومن أقوى الاحتمالات ان الأعمال التعسفية ضد السكان وضد مقدساتهم، وعدم تسديد الادارة الفرنسية له المبلغ المقدر بـ 70 ألف فرنك مقابل توليه المنصب [80]. هي التي جعلته ينقلب ضد السلطة الفرنسية بعد أن كان

---

(79) رسالة حمدان، ESQUER, G., *correspondance du duc de rovigo.* T3,. ودران بتاريخ 1832/3/20، ص ص. 159ـ160. كان هذا القائد قد أعلن عن رغبته في شراء 4500 قنطار من الصوف. راجع: *Moniteur Algérien*. No. 1, 2, 3, du 27 janvier 1832. وسبق لبوضربة أن راسل الدوق دي روفيكو بتاريخ 1832/2/12 يقر له بأنه خدم السلطة الفرنسية منذ الأيام الأولى من الاحتلال، آملا في نوال الحظوة منه ESQUER G., *correspondance* ROVIGO, T3, p. 73. الا ان حظوظه هبطت، راجع ملحق رقم 12 وهذا الفصل.

(80) تعين بقرار 1831/7/24 انظر: *Collection des Actes*, pp. 121--122. وقد انتقد الضابط كاريط في كتابه (الجزائر) CARETTE, Alger, pp. 273--274. سياسة برتهزن حين عين هذا الآغا، واعتبر ذلك ضعفا في الادارة الفرنسية ومن اكبر أخطائها.

يتعاون معها، على الرغم من أنه يعرف أن ذلك سيحرمه من مركزه ومن مرتبه.، خلاف حمدان خوجة الذي لم نعثر على أثر له يدل على أنه ثار ضد السياسة الفرنسية بالجزائر، وبالعكس ففي الوقت الذي شعر فيه القائد دوروفيكو بسخط الآغا الذي قد يكون جاء نتيجة لإبادة قبيلة العوفي[81]. ولاشتباهه الدائم في أن موقفه قد يكون تغير حيال فرنسا، في هذا الوقت فضل دوروفيكو حمدان على الآغا كي يكون واسطة بين السكان خارج المدينة وسلطات الاحتلال[82]. فضلا على توليه المراسلة بين دوروفيكو وبين علي العنتري[83].

وبذلك يكون حمدان قد تقرب من دوروفيكو أكثر من أي حضري آخر الأمر الذي جعل هذا القائد يشيد بمركز حمدان، ويتدخل لصالحه ضد الضابط فوشير (FAUCHERS) الذي استولى على مسكن حمدان بالضيعة ورفض اعادتها له. وكان غرض هذا القائد كما أكد هو بنفسه: كسب حمدان واستخدامه كوسيلة للتأثير على السكان ودفعهم إلى الاقبال على النظام الفرنسي، وذلك بحكم ما له من تأثير في أوساط الأعيان[84]. وقد يكون لخلاف بين هذا الضابط ودوروفيكو.

---

(81) تضاربت الأقوال حول الدافع الذي أدى الى ابادة هذه القبيلة، اذ أرجع جوليان، ص. 92، حمدان خوجة (المرآة) ص. 41، سبب ذلك الى قتل مرسول فرحات بن سعيد الى دوروفيكو، بينما ذهب برتهزن في كتابه: *Aix huit-mois*, p. 210.

وبليسي: *Annale Algérienne*, T1, p. 104.

ان ذلك المرسول كان من قبيلة الخشنة وقد قدر بيشون خسائر القبيلة ب: 80ـ100 قتيل، 1500ـ2000 رأس غنم، 600ـ700 رأس بقر و25ـ30 جمل. *Alger sous la domination française*, p. 135.

(82) Pellissier, T1, 250.

(83) لم نتمكن من معرفة هذه الشخصية. راجع: TEMIMI, *le Beylik de Constantine*, p. 120

(84) ESQUER, G., *correspondance du duc de Rivigo, T2,* *rapport duc de Rovigo au Ministre de la Guerre, du 26.6.1832, pp. 582-583.*

مهمة حمدان خوجة إلى قسنطينة:

والدارس لدور حمدان خوجة في الجزائر لا يجد ـ حسبما توفر لنا من مادة ـ الا مواقف كان خلالها مترددا حينا، وساعيا لاثبات ولائه للفرنسيين قصد اكتساب الحظوة من القادة العامين، أحيانا أخرى، فمن المواقف التي خدمت التوسع الفرنسي بالجزائر، هي انه تقدم باقتراح عملي إلى دوروفيكو في جويلية 1832 كي يتصل بالمرابط علي بن عيسى صاحب النفوذ الواسع الممتد من الشرق إلى الغرب، ليعمل على تفرقة تلك التجمعات التي عزم السكان من ورائها على الجهاد في سبيل الله، وفي سبيل الوطن، ضد خطر الفرنسيين.

ولم يتوان القائد العام بأن اتصل بهذا المرابط. وبمجرد الاتصال حدثت تطورات جديدة كانت لها انعكاسات على الوضع العام بمنطقة الشرق، حيث جاء رد هذا المرابط ذا أبعاد أخرى كأن أعلم القائد العام بأن الحاج أحمد باي مغتاظ جدا من عدم رد السلطات الفرنسية على رسائله التي كان قد بعثها من أجل التفاوض مع الفرنسيين. الا ان تلك الرسائل لم تصل القائد الذي اعتقد انها أخفيت من طرف ما أسماه «بلجنة الحضر»، فاغتنم القائد هذه الفرصة وفوض حمدان كي يراسل الحاج أحمد باي سراً، فرد عليه هذا الأخير وتمنى رؤيته في قسنطينة[85].

وعلى ما يبدو ان حمدان خوجة كان على اتصال بالحاج أحمد باي قبل تولي دوروفيكو القيادة العامة، ويستنتج هذا من رسالة أحمد باي الذي بعثها إلى السيد

---

(85) نفس المصدر: ، ص 359، تقرير من نفس المرسل، الى نفس المرسل اليه، بتاريخ 1832/12/26: لجنة الأعيان أو الحضر هي اللجنة التي أطلق عليها الأستاذ أبو القاسم سعد الله «لجنة المغاربة». وعن أحمد باي فهو من مواليد سنة 1784، من أم جزائرية، هي الحاجة رقية من اسرة ابن قانة، لمعرفة شيء من التفاصيل عن شخصية أحمد باي، راجع:

TEMIMI, le BEYLIK de Constantine et Hadj Ahmed Bey (1830--1837) P.S.T.A.G., Tunis, 1978, et, BONNAFONT, *Reflexion sur l'Algérie, particulièrement de la province de Constantine*, Paris, 1846.

«كروليل». فيؤكد فيها عدم تلقيه أي رد من السلطة الفرنسية باستثناء رسالة واحدة بعثها حمدان خوجة[86].

ومهما يكن فقد ظهرت عوامل جديدة ساعدت على الاتصال بأحمد باي والتفاوض معه. فاختار القائد العام لهذه المهمة الخطيرة حمدان، الذي صار موضع حظوة لديه، فأشاد به وعلق عليه أملا لخدمة القضية الفرنسية بالجزائر، حيث قال في أحد تقاريره لوزارة الحربية الفرنسية: حمدان هو الرجل الأكثر أمانة واخلاصا ومهارة في هذا البلد، وهذا نادر جدا[87].

وقد يكون تفويض القائد العام لحمدان جاء بناء على اعتقاد منه بأن حمدان صديق أحمد باي، بالامكان التأثير عليه. وقد يكون القائد العام على حق، لأن الباي أحمد نفسه قال في احدى رسائله: ارسل لي من الجزائر (القائد العام) أحد أصدقائي من أعيان الجزائر (حمدان) وطلب مني الصلح[88]. وان كان المؤكد أكثر، أن اختيار حمدان بالذات من بين كبار الأعيان هو ما عبر عنه دوروفيكو بقوله: لقد اخترت مبعوثي من بين حضرية الجزائر الأكثر مهارة، واحتراما وتبجيلا[89].

---

(86) لم نتوصل الى معرفة الوظيفة التي كان يشغلها السيد كروليل ، وان اسكي ذكره باسم كروليس Kourolis *Correspond de duc de Rovigo*, T 1, p. 47

ولعل اسمه الحقيقي خليل الذي كان قاضيا بعنابة، وكان على صلة قوية بأحمد باي، المهم وصلت تلك الرسالة يوم 1831/11/18، ومن المؤكد ان المقصود من اسم حمدان هو حمدان خوجة، المذكور في هذه الرسالة لأن بيشون نفسه علق على هذا الاسم بأنه اسم حمدان خوجة، راجع:

PICHON, *Alger sous la domination F.*, pp. 455--458.

(87) ESQUER, G., *Correspondance duc de Rovigo*, T2, p. 359.

(88) TEMIMI, A., *Le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey*, doc. No. 5

رسالة أحمد باي الى الباب العالي بتاريخ 2 جمادى 1249 هـ ـ 16 أوت 1833 (ونقلا عن B.A.(Dossier 78) ويؤكد هذا من جهة أخرى، ان حمدان لم يكن صهرا لأحمد باي، خلاف ما ذهب إليه محمد بن عبد الكريم في مؤلفه: **حمدان بن عثمان خوجة**، ص ص 177ـ178.

(89) *ESQUER, G., Correspondance de Rovigo, T2, p. 192.*

وعلى كل فقد أوفد حمدان إلى باي قسنطينة مزودا بتعليمات محورها أن يتعهد القائد العام بتعيين أحمد باي حاكما على منطقة الشرق، مقابل أن يعلن ولاءه لفرنسا، وأوصاه ألا يتباحث مع حاكم قسنطينة في أي موضوع آخر. ومن المحتمل ان سفر حمدان إلى قسنطينة عن طريق البر[90] كان لغرض تحقيق ثلاثة أهداف:

- تهدئة خاطر ابن عيسى الذي سبق وأن وجه لومه الشديد إلى السلطة الفرنسية على ما ألحقته من ضرر بمساجد العاصمة[91].

- لكسب هذا المرابط ودفعه بما له من نفوذ ليصرف أنظار السكان عن التجمع الرامي إلى محاربة الفرنسيين، وعسى أن يدفع بواسطته الحاج أحمد باي إلى التنازل وعقد الصلح مع الفرنسيين[92]. الظاهر أن المرابط هذا قدم خدمات إلى السلطة الفرنسية، والدال على ذلك قول حمدان: عرض المرابط وساطته بين الفرنسيين والقبائل قصد اقرار سلام شامل، وان دوروفيكو عمل على ضمه إلى الصف الفرنسي ليجعل منه صديقا، وليعترف له ببعض الجميل[93]. وحسبما جاء في تصريح دوروفيكو فقد عمل هذا المرابط على فض تلك التجمعات[94].

- التعرف على تحصينات أحمد باي واستعدادات السكان وأوضاعهم المختلفة.

---

(90) دامت رحلة حمدان الى قسنطينة حوالي 20 يوما.

ESQUER, G., Correspondance de Rovigo., T2, pp. 480--481.

رسالة دوروفيكو الى ابن عيسى بتاريخ 1832/10/8، وتحتوي هذه الرسالة على استعطاف من القائد العام لهذا المرابط، بأن عرض عليه الزيارة الى مدينة الجزائر، وأكد له، بأنه سيستقبله بحفاوة، ويبرر له من جهة أخرى، سبب أخذه للمساجد، وقال بأن ذلك لضرورة اقتضتها الظروف. وقد بعث له رسالة أخرى يوم 1833/2/5 يستلطفه فيها، ويطلب منه التدخل لدى ابن زعمون ليدفعه الى المجيء الى مدينة الجزائر، ويتعهد بشرفه الا يمسه بسوء. نفس المصدر ص ص. 449_450. راجع الحديث عن لجوء ابن زعمون الى هذه الجبال. تعليق 124 من هذا الفصل.

(92) *HAMDAN, LE Miroir, p. 13.*

(93) نفس المصدر، ص ص. 12_13.

(94) *ESQUER, G., Correspondance de Rovigo, T2, p. 561.*

وبالفعل سافر حمدان في منتصف أوت 1832 وجهته الأولى المرابط. ومما لا يدع مجالا للشك أن حمدان استطاع أن يؤثر على هذا المرابط ولصالح السلطة الفرنسية، ونستخلص ذلك من أمرين أولهما: الحفاوة البالغة التي لقيها حمدان لدى هذا المرابط، من مظاهر تلك الحفاوة أن حماه من مخاطر الطريق،فزوده بحرس كي يصل إلى قسنطينة بأمان خوفا عليه من جناح المعارضة الجزائرية الذي أعلن رفضه لفكرة التفاهم وعقد صلح مع أحمد باي(٩٥).

وثاني الأمرين: قول حمدان نفسه: واجتمعت بهذا المرابط الذي وجدت فيه البساطة والوداعة، فكلفني ببيع جنان له لحسابه الخاص بالعاصمة، لكنني جعلته يعدل عن هذا الموقف حتى يتمكن،بما له من نفوذ،أن يخدم القضية الفرنسية، وعسى أن يدفع الحاج أحمد باي إلى عقد صلح مع الادارة الفرنسية(٩٦).

وللباحث أن يتساءل عن العوامل التي ألزمت هذا المرابط على التصرف هكذا. على الرغم من أنه يعلم ما ألحقته الادارة الفرنسية من أضرار بمساجد العاصمة وبالسكان من جهة، ويدرك هدف حمدان ومن ورائه القائد العام من التفاوض مع أحمد باي من جهة أخرى. وعلى الرغم من بذل الجهد لم نعثر على ما يوضح لنا تلك العوامل. الا انه من المحتمل أن يكون سبب ذلك يعود إلى رغبة منه في الحفاظ على مصالحه المادية،اذ يمكن عدّه من الطبقة الميسورة في البلاد،بحكم أنه كان يملك بستانا في العاصمة من جهة، وانه قد تكون علاقته بالنظام العثماني كانت سيئة من جهة ثانية. ومن غاياتنا أن نتوصل إلى معرفة ذلك...

وصل حمدان بعد رحلة دامت عشرين يوما، فأحسن أحمد باي استقباله نظرا لمكانته المرموقة التي كان يتمتع بها من جهة. ومراعاة للقائد العام من جهة

---

(95) نفس المصدر، ص. 309، تقرير دوروفيكو الى وزير الحربية بتاريخ 1832/12/4.

(96) HAMDAN, le Miroir, pp. 12--13.

ثانية[97]. ومكث هناك مدة خمسة عشر يوما تفاوض خلالها مع أحمد باي ومع أعيانها. فتكونت لديه فكرة واضحة عن أوضاع قسنطينة، خاصة فيما يتصل بقوة دفاعها ومدى دعم السكان وقت الحاجة. فنقل حمدان تلك الملاحظات بأمانة إلى القائد العام الذي قال: ولقد ربحت لحد الآن من سفر حمدان التعرف على الحالة السياسية لهذه المنطقة، واتضح لي أن الحاج أحمد باي لا يسير وحده المقاطعة، بل هناك كبار الأعيان الذين يشكلون الديوان(•). انما عين الحاج أحمد باي رئيسا له، وكلهم يتمنون الصلح معي، الا ان الشروط لا تجعل كلامنا يوافق. وكانت من تلك الشروط التي قدمها القائد العام، أن يعين أحمد باي قائدا على المنطقة مقابل ضريبة يدفعها ابتداء من آخر عهد النظام العثماني، وأن يترك حرية التجارة ما بين بسكرة وعنابة[98].

في حين كانت أهم شروط أحمد باي والديوان: ألا تفاوض الا اذا تخلى الفرنسيون عن مدينة عنابة، ونستدل على هذا من رسالة لأحمد باي بعثها الى حمدان في هذا الشأن، قائلا: أؤكد أنه بدون جلاء الفرنسيين عن مدينة عنابة، لا يمكن إجراء أي تفاوض بخصوص الوضعية الداخلية للشرق. لأن كل المنطقة من الشرق الى الغرب تحت سلطتي، وأنا المسؤول عنها. وعدا هذا الشرط لا أستطيع أن أستمع منك الى كلمة، وهذه كلمتي الأخيرة[99].

---

(97) ESQUER. G., *Correspondance de Rovigo., T2. p. 192.*

(•) وهو ما يسمى بأهل العقد والحل، ومما يضم المفتين القضاة، العلماء، الفقهاء، وشيخ البلد. للاطلاع على أعيان الجزائر راجع: MORLET. *les MAURES de Constantine (S.D)? Paris, 1840.*

(98) ESQUER. *Correspondance du Rovigo., T2, pp. 192--196.*

(99) لا تحمل هذه الرسالة تاريخا، انما المحتمل انها أرسلت في أوائل اكتوبر 1832، راجع: نفس المصدر، ص ص. 557ـ558، للمزيد من التفاصيل حول الشروط، راجع: نفس المصدر، ص ص. 200ـ210. وراجع أصلها بالعربية، التي تفضل بنشرها التميمي في أطروحته (بايلك الشرق الجزائري والحاج أحمد باي) لوحة رقم 10

والحقيقة ان مدينة عنابة على جانب كبير من الأهمية بالنسبة للشرق الجزائري وأكثر من عامل قوة للطرفين، نظام أحمد باي، والادارة الفرنسية. لهذا حاول الفرنسيون أكثر من مرة احتلالها. حيث نزلت قوات بها بقيادة دامريمون(D'AMREMONT) في عهدد بورمون ، لكن أحمد باي بدافع الوطنية والذود عن حرمة الاسلام أرسل قائد جيشه الحاج عمار بن زقوطة(*) فافتك المدينة بعد انسحاب القوات الفرنسية منها يوم 1830/8/25. ثم أعادت السلطة الفرنسية الكرة يوم 1830/9/13 من نفس السنة بفيلق من الزواف (ZOUAVES) يتشكل من 125 محاربا بقيادة هودر (HUDUR) الذي قتل على أسوار المدينة، وتم الانسحاب منها يوم 1831/10/11[100].

الا أن عوامل كثيرة ومنها عاملا التجارة والاستراتيجية، دفعت السلطة الفرنسية إلى العمل على احتلال المدينة، فجهزت حملة بقيادة كل من أرمندي (ARMANDY) ويوسف المملوك[101]. وبعد معارك تم الاستيلاء على المدينة في أواخر مارس 1832. ثم تعززت هذه الحملة بجيش قوته 3000 محارب، وقدم من طولون بقيادة مونك ديزر (Monc d'uzer) وبذلك تمت السيطرة على المدينة

(*) ولما كان عمار بن زقوطة يعاني من مرض عضال عين مكانه بن عيسى، قائدا لجيش أحمد باي، ومال الى الفرنسيين بعد نزوح أحمد باي الى الصحراء

(100) تكلمت مصادر كثيرة عن احتلال عنابة، بالامكان مراجعة

BERTHZEN, pp. 257--258

CORNULIER, L., La prise de bone et bougie., Paris, 1898.

انشئت فرقة الزواف في اكتوبر 1830 بقيادة كل من: دبفيي *(DIVIDIE)* ومومي *(MOMET)* وأرجع رشاد الامام في اطروحته سياسة حمودة باشا، ص. 203 أصل الزواف الى قبيلة زواوة بالقرب من الحدود الجزائرية ـ التونسية. الا انهم من قبيلة زواوة القاطنة بضواحي تيزي وزو وقد وظف النظام العثماني البعض منهم كجيش مرتزق.

(101) لعب يوسف المملوك دورا هاما لصالح الاحتلال، للتعرف عن حياته راجع :

MAURICE, Constantin-Wyer, La vie du général Yussuf, 4eme édition, gallimard, Paris, 1930.

وأحدث نظام اداري بها، تشكل من نائب المقتصد المدني العام، يساعده محافظ عام للشرطة، وقاضي مالكي، وكاتب ضبط (102)..

فتضايق أحمد باي وسكان الشرق من التوسع الفرنسي في المنطقة. لهذا أكد أحمد باي على ان الشرط الأساسي لعقد صلح هو الجلاء.

لكن القائد العام أصر على اقرار السلم الذي يعني إخضاع أحمد باي واستيلاء الفرنسيين على المنطقة. وتفطن هذا القائد إلى أن ذلك لا يتم - حسبما صرح به هو نفسه - الا ببطء «لأن السكان على جانب كبير من الذكاء والقوة، لهذا فمن مصلحة فرنسا أن تسخر كافة الوسائل للتقرب اليهم والتعامل معهم» وهو أفضل سلاح يمكن استعماله في الجزائر، مثلما سبق لنا في مصر، ولأن السكان هنا أكثر ميلا للحرب بفعل تواجد وانتشار المرابطين، بالإضافة إلى صعوبة الحرب في جبال وعرة المسالك، تفتقر إلى ممرات (103).

ويظهر دور دوروفيكو بوجه جديد حيث عدل عن سياسة العنف التي سلكها في البداية من أجل السيطرة على البلاد وتفطن إلى طرق أخرى، أقل ما يقال عنها، سياسة الدهاء، وقامت على أساس التقرب من السكان لإخضاعهم.

ولما كان حمدان لا يملك صلاحيات من القائد العام يوافق بمقتضاها على شروط أحمد باي، باستثناء أن يعين حاكما على منطقة الشرق. لهذا رجع حمدان من عاصمة الشرق مزودا بانطباعات الباي، منها أنه أبدى استعدادا للتسوية خلال زيارة ثانية يقوم بها حمدان إلى قسنطينة، وحتى إلى ذلك الوقت طلب من هذا

---

(102) *Moniteur Algérien, No. 12, 24 avril 1832.*

(103) *ESQUER, G.. Correspondance duc de Rovigo, T2, pp. 195--196.*
دام غزو فرنسا لمصر من سنة 1978 الى 1801.

الأخير التريث، وهذا من العوامل التي دفعت الحاكم العام أن يبعث حمدان مرة ثانية إلى قسنطينة(١٠٤).

والمتتبع لسياسة دوروفيكو من خلال مراسلاته وأعماله، يدرك أن عوامل أخرى دفعته إلى أن يرسل حمدان مرة ثانية، منها : تأكده من أن الحرب ضد السكان في هذا الاقليم غير مجدية، من جهة. وانه بدون احتلال قسنطينة لا يمكن لفرنسا تأسيس قاعدة قوية بافريقيا، من جهة ثانية. وان التجارة من وإلى عنابة مهددة، من جهة ثالثة(١٠٥).

وبناء على هذه العوامل أوفد دوروفيكو حمدان خوجة، قائلا له: اعبر لكم عن رضاي وارتياحي للأسلوب الذي استخدمتموه في القيام بالمهمة التي كلفتكم بها.. وانكم سوف تبحرون إلى مدينة عنابة.. واني اريد أن يكون التفاوض مع أحمد باي فقط لا مع الديوان الذي ليس له عندي أدنى اعتراف(١٠٦). ووصل حمدان فوجد تحولا في مواقف أحمد باي تجاهه، وتزعزعت ثقته فيه، نتيجة الأنباء التي بلغت أحمد باي والقائلة أن حمدان ورجال الاحتلال يريدون مغالطته، لأن الجيش الفرنسي سيخضع مدينة قسنطينة سلما أو عنوة(١٠٧). وهذا ما دفع أحمد باي

---

(104) *ESQUER, G., Correspondance de Rovigo, T2, p. 193, 309.*
من المحتمل أن يكون طلب أحمد باي التريث، ربحا للوقت واملا في وصول مساعدات من الباب العالي.

(105) نفس المصدر، ص. 224، 323.
(106) نفس المصدر، رسالة دوروفيكو الى حمدان خوجة بتاريخ 1832/10/24، ص ص. 197ـ198.
على ما يبدو ان دوروفيكو تخوف من هذا الديوان الرافض، لعقد الصلح مع الفرنسيين، هذا الصلح الذي يعني خضوع مسلمي هذا الاقليم الى سلطة مسيحية. وقد يكون دوروفيكو أراد التفاوض مع أحمد باي فقط من باب الدهاء، حتى يستفز الديوان ويحدث انشقاقا بينه وبين الحاج أحمد باي، فتضعف قوة المسلمين في هذا الاقليم.
(107) كان من الذين شككوا أحمد باي في نوايا الفرنسيين، الشيخ يعقوب، القاطن بالقرب من عنابة، وقد يكون قاسم بن يعقوب الذي تحدث عنه الحاكم العام، راجع الفصل الرابع، لأن يوسف المملوك اتصل بيعقوب وأخبره بعزم الفرنسيين على أخذ مقاطعة قسنطينة. راجع:
ESQUER, G., Correspondance, de Rovigo, T2., p. 313.

أن يرد على حمدان ، يتشكك فيه وفي نوايا فرنسا قائلا: اتصلت برسالتك التي كتبتها إلي من عنابة، وأخذت بعين الاعتبار لرجوعك قصد التفاوض من جديد. كيف تحاول اقناعي ودفعي إلى اقرار سلم مع الفرنسي، بينما غيرك كتب لي خلاف ذلك.. انني أؤكد لك انه بدون جلاء الفرنسيين عن مدينة عنابة لا أستمع منك إلى أية كلمة[108].

ويتساءل الباحث عما اذا كانت أسباب عميقة أخرى دفعت أحمد باي إلى الارتياب من مهمة حمدان هذه. ان موقف أحمد باي هذا، هو وجه من تطور القضية الجزائرية من جهة. كما انه عامل كشف بعداً لم تفصله الكتابات التي تناولت بالدراسة الحركة الوطنية، ويتمثل البعد في نقطتين الأولى: دور القنصلية الأنجليزية بالجزائر، والتي كانت تتبع الأحداث أول بأول، واعتمادا على قول دوروفيكو فهي التي كانت وراء تحول أحمد باي، اذ ارسلت له مبعوثا تحذره من خطر الفرنسيين الذين يضمرون له سوء النية من هذا التفاوض[109]. الثانية: دور الفئة الوطنية التي عملت منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين ارض الجزائر على سلامة البلاد وتخليصها من براثن الاستعمار، فهي التي حاولت اجهاض مهمة حمدان إلى قسنطينة، وهي التي أسماها دوروفيكو مرة بلجنة الأعيان (commité de maures) ومرة أخرى بلجنة الدسائس (commité d'intrigue) . فهذه اللجنة لم تكن على

---

(108) نفس المصدر، ص. ص 557ـ558. وكان أحمد باي بعث رسالة الى حمدان بتاريخ 1832/12/14 ، ردا على رسالة هذا الأخير، فعبر له عن حسن مشاعره ووعده بحسن الاستقبال ان زاره مرة أخرى. ويفهم من رسالة أحمد باي، ان حمدان جدد طلبه لأحمد باي حول عقد الصلح مع الفرنسيين، الا ان هذا الأخير اعتذر له، وأبدى احراجه من الديوان. راجع نفس المصدر، ص. 563. رسالة دوروفيكو الى مونك ديزر بتاريخ 1832/12/10.

(109) يقول دوروفيكو: قد وصل مرسول من طرف نائب القنصل الانجليزي الى أحمد باي يحذره من أن القائد يريد مغالطته. وان هذا المرسول هو نفسه الذي سبق وان أخبر الرسائل الثلاث التي بعثها أحمد باي والتي يطلب في احداها الصلح، وعليه سوف لا يندهش حمدان من تغير أحمد باي، وتزعزع ثقته فيه. راجع: نفس المصدر، دوروفيكو الى وزير الحربية بتاريخ 1832/11/20 ص ص. 274ـ275.

جانب كبير من التنظيم بقدر ما كانت على قدر كبير من الغيرة على سلامة البلاد والدين الاسلامي، وبناء على قول دوروفيكو فانه بمجرد أن علمت اللجنة بسفر حمدان الى قسنطينة بعث وراءه من يتربص له ويغتاله حتى لا يتم الوفاق بين أحمد باي والقائد العام[110].

ثم حررت عريضة يوم 1832/12/26، ورفعتها إلى الحكومة الفرنسية تطالب فيها ألا يتم التفاوض لا مع أحمد باي ولا مع الداي، انما يجب أن يتم معهم فقط وعلى رأي دوروفيكو فان بيشون المقتصد المدني كان يشاطر اللجنة الفكرة، اذ أنه كان يدعو إلى أن يتولى الأعيان نظام الحكم في البلاد. وهذه اللجنة هي التي انتدبت أحمد بو ضربة الى باريس لتدعيم مطالبها. ويرجع دوروفيكو موقف أعضاء اللجنة الى عامل سوء العلاقات بينهم وبين كل من الداي حسين وأحمد باي[111].

ونذكر من بين أعضاء هذه اللجنة مصطفى بن عمر الذي عينته السلطة الفرنسية بايا على التيطري[112]، وابن المرابط أحد كبار التجار بالجزائر، ومن عائلة كانت تملك تجارة واسعة بالشرق الجزائري تمتد إلى تونس، الذي عمل على تجميد المفاوضات بين أحمد باي والادارة الفرنسية، اذ بعث رسالة إلى أحمد باي من العاصمة يخبره فيها أن القصد من مهمة حمدان مغالطته للسيطرة عليه. ولقد فسر دوروفيكو عمل ابن مرابط هذا بدافع مصلحته الشخصية حتى لا تتدهور تجارته

---

(110) قال دوروفيكو في هذا الشأن: ان عائلة حمدان أشعرتني بعزم لجنة الأعيان على قتل حمدان وهو في طريقه الى قسنطينة، فما كان مني الا أن أرسلت أحد أعوانه ليلتحق به عند ابن عيسى الذي زوده بحرس خاص، أثناء توجهه الى قسنطينة. *ESQUER, G., Correspondance de Rovigo, T2, p. 303, 364.*

(111) نفس المصدر، دوروفيكو الى وزير الحربية بتاريخ 1832/12/26، ص.ص 363ـ364.

(112) كان سافر الى باريس يوم 1832/10/6، وهو الذي حمل العريضة الى الحكومة الفرنسية، وقد طلب دوروفيكو من وزير الحربية يوم 1832/12/27 أن يأمر مصطفى هذا كي يعود الى الجزائر قصد التحقيق معه، راجع: نفس المصدر، ص 364. ووقع دوروفيكو في تناقض حين قال: حررت اللجنة عريضة يوم 1832/12/26 انظر: نفس المصدر، ص ص. 363ـ364.

الواسعة[113]. ومن غير المستبعد أن يكون عمل ابن المرابط جاء بدافع المصلحة الشخصية فقط، بل كان أيضا بوازع الغيرة على الدين الاسلامي والبلاد، ولإدراكه لنوايا الفرنسيين من السيطرة على الشرق الجزائري.

ومن المحتمل جدا أن تكون هذه اللجنة هي التي أخفت الرسائل التي بعثها أحمد باي الى القائد الفرنسي والتي يطلب في احداها الصلح (مثلما سبقت اليه الاشارة في هذا الفصل). كما فسر دوروفيكو نشاط هذه اللجنة بأنه من وحي رجال القنصلية الانجليزية، حيث قال: ومما لا يدعو للشك أن الرسائل هذه وقعت بأيدي أعداءنا الذين يشكلون لجنة الأعيان (الحضر) المسيرة من طرف نائب القنصل الانجليزي. وقال في موضع آخر: ان حمدان لا يشك في وجود لجنة الدسائس وانه على خلاف معها، ومع أفراد القنصلية[114].

ومما تقدم يمكن القول بأنه منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين أرض الجزائر ظهرت في العاصمة حركة وطنية غير مكتملة الحلقات، وذلك بحكم انها وليدة العهد من جهة، وبحكم الظروف التي كانت تعيشها البلاد، من جهة ثانية. ولا نعتقد أننا نبالغ ان قلنا، تعتبر هذه اللجنة أول حركة وطنية جابهت الاحتلال الفرنسي.

وبالمقارنة بين دور هذه اللجنة، ودور حمدان، فالأول اتسم بالشجاعة والاستعانة بالقنصلية الانجليزية من أجل تأسيس نظام جزائري. في حين كان الدور الثاني التزم صاحبه بالحذر حينا وبالتعامل مع الفرنسيين أحيانا أخرى من أجل اقامة نظام فرنسي عادل ومتطور في البلاد. ولعل هذا من أكبر العوامل التي دفعته إلى أن يقوم بأعمال خدمت الفرنسيين. ومن بينها تلك المهمتان اللتان قام بهما الى قسنطينة، حاول خلالهما اقناع أحمد باي أن يقبل الشروط التي جاء بها، خاصة خلال الرحلة

---

(113) نفس المصدر، ص ص. 310ـ311، 542. ولا نعرف تفصيلا عن ابن مرابط هذا وان كان جاء في: *PELLISSIER, ANNALE Algérienne, T1, pp. 251--262.* هو مصطفى بن مرابط.

(114) *ESQUER, G., Correspondance de Rovigo, T2., p. 275, 308, 311.*

الثانية. ونستخلص هذا من رد أحمد باي عليه: «انني لا أستطيع قبول هذه الشروط.. ان هذا التفاوض لا ينبغي أن يكون معنا، انما يجب أن يكون مع الباب العالي» في الوقت الذي كان فيه تعليق حمدان على هذا الرد: «من الخطأ أن تواجهوا الفرنسيين بهذا الرفض المطلق»(115).

والتزم حمدان الأمانة، وسجل رأيه تجاه موقف الحاج أحمد باي، فيقول: «ويحق لي أن أذكر انني كلما حاولت اقناع الحاج أحمد باي بالتخلي عن الفكرة التي تكونت لديه عن الفرنسيين وحاولت أن أؤكد له بأن نية الحكومة الفرنسية حسنة، وان الأعمال التعسفية التي قام بها قادتها فنصفها مبالغ فيه، والربع لم يؤول تأويلا صحيحا، والباقي تدينه الأمة الفرنسية ولم تأمر به حكومتها»(116).

ترى لحساب من كان يعمل حمدان؟ ومقابل ماذا أراد ابرام صلح. ولماذا حاول ـ باصرار ـ تمويه الحقائق، خاصة التي ساقها أحمد باي وبأدلة تثبت ادانة الفرنسيين؟ لماذا حاول ذلك على الرغم من تحمله المخاطر ـ لأنه كان يعلم جيدا محاولة اغتياله ـ وصرف أمواله الخاصة في سبيل تحقيق هذه المهمة؟

فيبدو حمدان هنا على غير حقيقته، الأمر الذي يدفع الباحث إلى القول: ان قول حمدان بأنه على سابق علم بفشل المفاوضات مع أحمد باي(117)، انما جاء لتبرير موقف قد يؤخذ عليه. لأن القرائن تدل على ان حمدان قام بذلك العمل وهو

---

(115) مذكرات الحاج أحمد باي، ص. 36. راجع تفاصيل هذه الشروط في أطروحة التميمي عبد الجليل (بايلك الشرق الجزائري والحاج أحمد باي) لوحة رقم 11. ويفهم من هذا الرد أن أحمد باي دائم الارتباط بالباب العالي، كما انه يكون على علم بالمحادثات الجارية بين الباب العالي وفرنسا حول الجزائر.

(116) راجع: HAMDAN, le Miroir, p.p. 40--41. لم يخف أحمد باي استغرابه من سياسة الادارة الفرنسية، بقيامها بأعمال تعسفية ضد الجزائريين، واستشهد بالابادة ضد قبيلة العوفية، وبعدم احترامها للذين أعلنوا ميلهم للفرنسيين.

(117) TEMIMI. A.. Le Beylik de Constantine et Hadj.. p. 121.

مفعم بالأمل وكأنه قام بذلك من أجل الحصول علىأهداف قد تكون وعودا بمنصب هام، أو لأمر آخر، كأن يحصل على الأموال التي خسرها أثناء دخول الفرنسيين الى الجزائر، وربما للحصول على امتيازات،كالحماية الدائمة لما تبقى من أملاكه، أو لتوسيع مصالحه التي تمتد إلى الولايات الايطالية، وهو ما نستخلصه من رسالة بعثها إليه أحد التجار اليهود من ليفورن الذي يعلق عليه أهمية كبيرة ويتمنى مستقبلا تجاريا زاهرا بعد التوصل إلى عقد صلح بين الطرفين (118).

فلهذه الاعتبارات يكون حمدان قدم وساطته خدمة للسلطة الفرنسية أولا، ومن ورائها الحفاظ على مصالحه الشخصية ثانيا. ولدرء الخطر من حروب مدمرة قد تدور بين الجزائريين والفرنسيين ثالثا. ولانتشار الحضارة والعدل في أرجاء البلاد، رابعا. وهذا كله يتطابق مع شخصيته المحبة للسلام والانسانية. ويتأكد هذا من أقواله الكثيرة منها: فأنا عشت في أوروبا وتذوقت ثمار الحضارة بها، واني من الذين يتمنون سيادة النظام السياسي الذي تمارسه دول كثيرة، واني سأهني نفسي عندما تكون بلدي تحت الحكم الفرنسي (119). وكذلك من أقواله في وقت كانت فيه القبائل تحارب الفرنسيين، وفي وقت كانت فيه الطرق مقطوعة، في ذلك الوقت كان دوروفيكو يدرك ما لدي من قوة التأثير والنفوذ في البلاد كلفني بمهمة الى قسنطينة فقمت بها حتى أبرهن على ولائي لفرنسا فأنا لم ولن أتردد في أن أضحي بكل ما أملك من أجل المصلحة الفرنسية والانسانية (120).

---

(118) اسم هذا التاجر داود كوهان صولال. بعث الى حمدان رسالة بتاريخ 1832/11/11. قال له فيها: ان سكوتك يزيد من قلقي سواء فيما يتصل بالأحوال الخاصة أو فيما يتعلق بالأوضاع السياسية. الأمر الذي جعلني أجهل. تماما ما آلت اليه المفاوضات بين فرنسا وباي قسنطينة بفضل وساطتك. مما يشوقني الى المزيد من المعرفة والتفاصيل. خاصة منك. لأن في هذه العملية ما يبعث على السرور. لأن ذلك يجعل مستقبلنا مشرقا. وهذا يتوقف على نجاعة التوصل الى اقرار علاقات حسنة. انظر:
ESQUER, G., Corres., de Rovigo. T2. pd 542.

(119) رسالة حمدان الى مقرر مجلس الدولة الفرنسية، بتاريخ ماي 1833. راجع:
HAMDAN, le Miroir, pièce No. 5, pp. 373--374.

(120) نفس المصدر، رسالة حمدان الى مقرر مجلس الدولة بتاريخ ماي 1833 وثيقة رقم 5. ص.ص. 372 - 374.

الا أن هناك من قال: قام حمدان بالمهمة إلى قسنطينة لصالح أحمد باي وانه كان مبعوثه لا مبعوث دوروفيكو. وأكد هذا كل من بيليس والدوق ديكاز رئيس اللجنة الافريقية وحمدان نفسه[121]. الا ان المادة التي توفرت لدينا تؤكد لنا أنه كان مبعوث دوروفيكو (وهو ما سبقت الاشارة اليه في هذا الفصل).

ومها يكن فقد عاد حمدان من قسنطينة دون أن يحقق ما كان يصبو إليه ومنوطا به، نتيجة لموقف أحمد باي الذي أدرك ان السلم لا يمكن مع الفرنسيين الذين يختلفون عن الجزائريين في الدين والعادات والتقاليد، فضلا عن اخلالهم بوعود الصلح التي أبرمت بين قائد الحملة والداي علاوة على أن قادة الحملة أحاطوا بهم من ليسوا أهلا للصدق كاليهود.

وعلى الرغم من فشل حمدان فقد بقي دائم الاتصال بأحمد باي، يترجى منه الاقبال على الصلح. فرد عليه أحمد باي قائلا: اتصلت برسالتك ... واني دائم الثقة فيك لأنك الرجل المخلص الذي لا يتغير. وبالنسبة الى ما طلبت مني في رسالتك الأخيرة لا أستطيع اجابتك لصعوبة الأمر ولو حضرت هنا لعرفت موقف كل واحد (من الديوان) ولأدركت سر رفضي[122].

وعلى أية حال استطاع حمدان أن يوفق بين أطراف ثلاثة، دوروفيكو، أحمد باي، ولجنة الأعيان. فتمكن من الفوز بثقة الأول ونوال الحظوة لديه. في حين اكتسب عطف أحمد باي. وتخلص من مضايقات لجنة الأعيان.

إلا أن النتيجة كانت هبوط حظوظ حمدان بسبب عوامل كثيرة، أهمها: اتهام أرمل يحي آغا له، وخلافه مع أحمد بوضربة، وعدم انضمامه إلى لجنة الأعيان،وتآمر

---

(121) *PELLISSIER, Annales Algériennes, T1., p. 259.*
وكذلك الجلسة الـ 14 في: *Procés verbaux et rapport de la commission d'Afrique.*

(122) *ESQUER, G., Correspondance de Rovigo, T2, p. 563.*
رسالة أحمد باي الى حمدان خوجة بتاريخ 1832/12/14.

اليهود عليه، واتهامه بنشر ... في ... بالعمل لصالح عودة الحكم الاسلامي. مغادرة بعض الشخصيات من المسؤولين الفرنسيين الجزائر، الذين كان يعتمد عليهم، أمثال: دوروفيكو وبيشون. نهب أملاكه وأملاك أقاربه، بجانب الملاحقات القضائية. فشله في الوصول إلى أهداف كان يتوق للوصول إليها.

القوة الثانية والمتمثلة في المقاومة الشعبية:

بعد أن تحدثنا عن دور القوة الأولى ، والذي كان دورا سياسيا، اتسم بالضعف حينا والقوة أحيانا. نحاول الآن أن نستعرض دوراً آخر ويتمثل في المقاومة الشعبية، والتي ظهرت بقوة وتصدت لقوات الاحتلال أينما وجدت، سواء في ضواحي العاصمة أو في الشرق والغرب. وسنتحدث عن هذه المقاومة بشيء من الاختصار، خاصة فيما يتصل بالمقاومة في ضواحي العاصمة(123). وذلك من باب التقسيم، أكثر من العرض.

وبمجرد ان استولت القوات الفرنسية على العاصمة، وجه القائد العام قوات من جيشه إلى الشرق والغرب لاحتلال مدن الساحل على غرار العاصمة. ثم راح يتوسع في ضواحي العاصمة، هدفه السيطرة على البلاد وتكوين نظام فرنسي بها. فهب السكان بزعامة المرابطين والشيوخ للدفاع عن البلاد.

وجاء هذا الدفاع نتيجة عوامل كثيرة منها: ؛ ان السلطة الفرنسية لم تف بما تعهدت به من احترام السكان واحترام دينهم، وأملاكهم،وفقا لما جاء في المعاهدة التي أبرمت بين الداي والقائد العام. وغيرة على الدين الاسلامي، خاصة لما راحت السلطة الفرنسية تتصرف على انها سيدة البلاد، وان واجبا دينيا يقتضي منها تأديته.

---

(123) وذلك لوجود بحث قيم عن المقاومة بهذه الصداقة، بعنوان: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، لأبي القاسم سعد الله. وفضلنا أن نتحدث بشيء من التركيز عن بداية المقاومة في الشمال الشرقي القسنطيني. أما المقاومة في الغرب الجزائري اتسمت بطابع التنظيم بفضل شخصية الأمير.

وهو نشر المسيحية،فحولت بعض المساجد إلى كنائس، وساقت حجة لتبرير موقفها، فقالت: لا فرق بين أن تكون الكنيسة مكان المسجد ما دام الله واحدا، وذهب الأمر بها الى اعتبار انشاء كنيسة بالعاصمة مطلب تاريخي للمسيحيين (مثلما سبق ذكره في هذا الفصل). ومن العوامل التي دفعت الجزائريين إلى المقاومة، مصادرة الفرنسيين لأملاكهم وأراضيهم، وفرض الضرائب عليهم، ودفعها لغير مسلم ، ودون حماية للطرقات والمظالم. كل ذلك ضاعف من سخط السكان ورؤسائهم الذين تزعموا لواء المقاومة الشعبية ؛ ففي ضواحي العاصمة كان الشيخ ابن زعمون، الحاج سيدي السعدي،ومحي الدين بن المبارك[124].

ومن مظاهر المقاومة التي قادها ابن زعمون انه اتصل ببورمون وطلب منه عقد معاهدة على ضوئها تكون العلاقات بين الفرنسيين والجزائريين[125]! ثم تصدى وبعنف إلى التوسع الفرنسي، وانضم إلى صفه كل من سيدي السعدي والحاج محي الدين على رأس قبائل كثيرة. ومن ثم توالت الهجومات على الجيش الفرنسي، ونذكر من هذه الهجومات على سبيل المثال لا الحصر - هجوم قبيلة الخشنة على البليدة يوم 1832/10/2. وهجوم سكان الدار البيضاء على جيش الاحتلال[126].

وقد أحدثت هذه المقاومة ردود فعل في الأوساط الفرنسية،وخاصة الادارة المحلية والحكومة، وصار لزاما عليها أن تعمل بأحد الأمرين، اما ان تنسحب وتترك

---

(124) لا نعرف شيئا عن ابن زعمون أكثر من انه ينتمي الى قبيلة فليسة، وقد يكون على صلة بالمرابط ابن عيسى. وعن السعدي فهو من أسرة مرابطة، سكنت العاصمة، خرج منها بعد احتلالها، واحتمى بالقبائل. وعن محي الدين قد سبقت الاشارة اليه في هذا الفصل.

(125) *PELLISSIER, Annales Algériennes., T1., pp. 100--101.*

(126) وقعت هجومات كثيرة ضد أهداف عسكرية ومدنية فرنسية. للتعرف عن بعضها راجع: أبو القاسم سعد الله. **محاضرات في تاريخ الجزائر**، ص ص. 85ـ87. و

CARETTE, P. 273 Moniteur Algérien., No. 28 du 11.8.1832. No. du 17.11.1832.

علما وانه كانت تسكن سهل متيجة عدة أوطان منها: وطن بني خليل، وطن الخشنة، وطن بني موسى ووطن السبت.

البلاد لأهلها، واما أن تفرض حكمها بقوة السلاح. وقد عملت بهذا الأخير، بأن شنت حرب إبادة ضد السكان انتهت بانتصارات القوات الفرنسية، لعدة أسباب منها: عدم تكافؤ الطرفين في القوة، والتحكم في الميدان، فانسحب ابن زعمون وانعزل من ميدان المقاومة.

أما عن المقاومة في الغرب الجزائري فانها تكاد منذ البداية تكون منظمة وذلك بفضل تنظيمات الأمير عبد القادر، الذي سنتحدث عنه.

وعن المقاومة في الشمال القسنطيني فالحديث يطول، اذ أنه حسب ما توفر لنا من مادة، فان المقاومة ظهرت منذ الأيام الأولى من التوسع الفرنسي بهذه المنطقة، من ذلك هجوم ولاد عطية على القبائل الموالية للفرنسيين وأخذ لهم خمسة أحصنة، وعتاد تابع لسلاح الهندسة العسكرية الفرنسية(١٢٧).

وكانت تقطن الشمال القسنطيني أعراش كثيرة، منها: بني مهنة، زردازة، زرامنة الحجاجمة، بني صبح، رجانة، ولاد عطية، بني ولبان، اولاد الحاج، بني صالح، وبني توفوت. وكانت معظم هذه الأعراش لا تخضع خضوعا مطلقا للنظام العثماني، لهذا اتسم النظام العام بالطابع القبلي في هذه المنطقة التي هي على جانب كبير من الأهمية من كافة النواحي؛ من حيث الموقع البري والبحري، أو من حيث التركيب الاجتماعي المتكون من أعراش وقبائل ذات المنعة والتأثير، أو من

---

(127) وتخوفت السلطة الفرنسية من استفحال المقاومة، لهذا حاولت اجهاضها بأن قام قائد مقاطعة عنابة مونك ديرير حملة في ليلة 21 أفريل 1832 على عرش اولاد عطية. تمكن من الاستيلاء على أجزاء من ممتلكاتهم، منها 450 رأس بقر، وعدد كبير من الأغنام، سيقت الى عنابة، ووزعت على الذين أعلنوا ولاءهم للفرنسيين راجع: *Moniteur Algérienne, No. 69 du 16.5.1832.*

الناحية الاقتصادية كتوفر ثروة حيوانية هائلة بجانب الفلاحة والصوف والزيت والأخشاب إلى غير ذلك[128].

وهذا ما دفع السلطة الفرنسية إلى احتلال هذه المنطقة، التي سبق للشركة الملكية الفرنسية أن استوردت خلال الفترة 1816 ـ 1827 كميات هائلة من الحبوب والجلد والصوف والزيوت من موانئ كل من عنابة وسطورة (سكيكدة)، وبجاية[129].

ويعود اهتمام السلطة الفرنسية بمدينة بجاية إلى الأيام الأولى من الاحتلال، اذ كانت تعتبرها مضيق جبل طارق بالنسبة لفرنسا. وعلى رأي شارل فيرو فإن شابا واسمه مراد قدم نفسه يوم 3 أوت 1830 إلى بورمون بصفة أنه قائد تلك الناحية وعرض مساعدته، فوجهت السلطة الفرنسية معه سفينة حربية قصد احتلال المدينة، لكن السكان قتلوه وأرغموا السفينة على العودة، ونفس الشيء قام به شخص اسمه بوسنة، فرافقه النقيب لامورسيار (Lamorciaire) من أجل التعرف على الامكانات الدفاعية للمدينة، وعاد بفكرة مفادها انه بامكان حملة قوامها ألف محارب احتلال المدينة. وبالفعل أرسلت حملة إلى بجاية يوم 14 سبتمبر 1833، ويوم 23 من نفس الشهر تعززت هذه الحملة بجيش قوامه 2000 رجل جاءوا من طولون بقيادة تريزال (Trizel) . وبذلك تم الاحتلال، وتأسيس إدارة بقيادة لوازي (LOISIER) وبعدها تسلم رئاسة الادارة 5 أكتوبر 1833 ديفيني (divivier)

---

(128) للمزيد من المعلومات راجع : EDOUARD, Solal, PHILIPPE-VILLE, et sa région (1847--1870), la maison des livres, Alger (S.D) pp. 23--34.
et, CHARLES, Féraud, Histoire des villes de la province de constantine (PHILIPPE-VILLE) Jourdan, Alger, 1875.

(129) EDOUARD, SOLAL, p. 36.

الذي حاول ابرام صلح مع الشيخ سعد زعيم عرش اولاد رابح، الذي أبدى مقاومة عنيفة (١٣٠).

مما تقدم يتضح أن السكان بهذه المنطقة أعلنوا الثورة منذ أن وطأت أقدام الجيش الفرنسي أرض أوطانهم، الا انه على الرغم مما تحظى به هذه الأعراش والقبائل من الكثرة، والمنعة، الا انها لم تعمل على مواجهة التوسع الفرنسي موحدة تحت قيادة واحدة، الأمر الذي سهل للفرنسيين عملية الاحتلال والتوسع. ولعل ذلك يعود إلى أسباب ، وأهمها استفحال الروح القبلية والأنفة العشائرية التي جعلت القبيلة لا تنضم إلى زعيم من قبيلة أخرى، وتعمل تحت لوائه. وان كان هذا العامل سيضعف وتظهر الأعراش صفا واحدا على نطاق أوسع خاصة تحت لواء الأمير وأحمد باي، وبعض الشخصيات الأخرى، كالمرابطين، وستتحدث عن هذا بشيء من التركيز في الفصلين الرابع والخامس وذلك وفقا لما يتطلبه التسلسل الزمني.

القوة الثالثة: المقاومة المنظمة:

ان الحديث عن المقاومة المنظمة يطول، نظرا لخصوبة الموضوع، من جهة، ولتوفر المادة، من جهة ثانية. ولكثرة الأحداث خلال فترة المقاومة هذه، من جهة ثالثة. ومهما يكن ستتحدث بشيء من الاختصار غير المخل عن هذه المقاومة خلال الأربع السنوات الأولى من الاحتلال، والتي تزعمها كل من أحمد باي والأمير عبد القادر.

وعن مقاومة أحمد باي فبدايتها منذ الأيام الأولى من احتلال العاصمة، ساعة تأدية الدنوش للداي. وحسبما جاء في مذكراته ان دي بورمون عرض عليه الصلح

(130) CHARLES, Féraud, Hist., des Villes de la province de Constantine (Bougie), Arnolet, Constantine, 1869, pp. 236--255.

وهو في طريقه إلى مركز قيادته، قسنطينة، الا أن أحمد باي رفض ذلك. ونفس الشيء عرضه كلوزال، ان يعترف به بايا على قسنطينة مقابل أن يعترف بالسيادة الفرنسية ويدفع لها اللزمة كما كان يفعل في العهد العثماني، الا ان أحمد باي رفض ذلك بشدة[131].

والدارس لمراحل المقاومة التي تزعمها أحمد باي يعرف أنه حارب على جبهات متعددة، ويمكن عرضها باختصار على الوجه التالي: بعد سقوط العاصمة ركب الغرور رأس مصطفى بومرزاق باي التيطري، فلقب نفسه باشا وطلب من أحمد باي الطاعة ودفع اللزمة، رفض أحمد باي العمل بذلك. غضب مصطفى وادعى عزله وعين مكانه ابراهيم الذي سبق له أن كان بايا على قسنطينة وعزله الداي حسين، فتحالف ابراهيم مع فرحات ابن سعيد ضد أحمد باي الذي اشتبك معها مرات كثيرة، وعلى الرغم من ان الانتصار كان حليفه،الا أن قوته أصيبت بالهوان، وصارت الضرائب لا تدفع له الا قهرا بفعل تحريض فرحات بن سعيد للأعراش والقبائل[132].

ومن الجبهات القوية التي حارب على طولها أحمد باي الجبهة التي ظهر عليها يوسف المملوك ـ الذي سبقت الاشارة اليه ـ الذي استطاع أن يكسب

---

(131) للمزيد من الاطلاع راجع: **مذكرات الحاج أحمد باي**، ص ص. 17، 20.

(132) كان رد أحمد باي على رسول مصطفى باي: «كيف؟ بالأمس، كان مصطفى بابا مثلي، واليوم ينصب باشا من تلقاء نفسه فما عليه الا أن يأتي ليأخذ الاعتراف، فليس عندي له اجابة، والبارود وحده الذي يفصل بيننا» **مذكرات الحاج أحمد باي**، ص. 25.

ان دافع ابراهيم باي للانتقام مئ أحمد باي، بالاضافة الى حنينه الى حكم قسنطينة هو ان احمد باي أعلن عداءه له، ولفرحات بن سعيد، حيث انتزع من هذا الأخير مشيخة الصحراء ومنحها الى صهره بو عزيز بن قانة. راجع **نفس المصدر** ص ص. 24ـ26، 40. و *HAMDAN, le Miroir, pp. 37--39.*

واستعمل فرحات وسائل مختلفة للانتقام، منها تحالفه مع يوسف المملوك، والاتصال بالقائد العام قصد الهجوم على أحمد باي، راجع: **رسالة فرحات** بتاريخ 1832/11/23 ، في *ESQUER, G., Correspondance de Rovigo, T1., p. 47.*

مناصرة الكثير من السكان، ويؤثر على قوة احمد باي. بالاضافة إلى ذلك مضايقة نظام الحكم في تونس له، الذي حاول أكثر من مرة وبوسائل مختلفة ضم مقاطعة قسنطينة إلى ملكه، منها محاولته شراء المقاطعة من السلطة الفرنسية - سبق الحديث عن هذا.

وعلى الرغم من هذا لم ينشغل أحمد باي عن محاربة الفرنسيين، فقد تمكن من صد هجومين على مدينة عنابة في أوت 1830، واكتوبر 1831. ثم انكب على اعداد نفسه لمواجهة الهجوم الفرنسي على عاصمته. زيادة على هذا فكان للنزاع بينه وبين الأمير عبد القادر أثر كبير على قوته واستمراره في المقاومة.

على الرغم من هذه العوامل التي واجهت أحمد باي،الا أنه صمد وكتب صفحة مشرقة في الكفاح والوطنية(133).

وأما المقاومة التي رفع لواءها الأمير عبد القادر، فهي لا تقل أهمية في الكفاح والوطنية. فبعد أن أعلن حسن باي ولاءه للفرنسيين، وسلم لهم مفاتيح المدينة حدث فراغ اداري بالغرب الجزائري، فكان على السلطة الفرنسية، أو الأسر الجزائرية العريقة ملء هذا الفراغ(134). فحاول القائد الفرنسي بوايي (Boyer) تنظيم ادارة ابتداء من أوت 1831، من أجل السيطرة على المنطقة تجاريا، واجتماعيا. الا أن الأمير تمكن وفي أقصر مدة أن يؤسس دولة قوية، عرفت مراحل هامة: بعد البيعة انكب على تنظيم هذه الدولة بأن وزع المهام على رجال أكفاء ومحل ثقة(135). ثم وجه نداء الى القبائل قصد توحيد الصف، وتابع هذا النداء بعمل حازم بأن حارب

---

(133) على الرغم مما قدم من أبحاث عن هذه الشخصية، الا أنه لا يزال في حاجة الى المزيد.

(134) تبدو عوامل كثيرة أقنعت باي وهران كي يسلم المدينة ، منها تقدم سنه، قلقه على أمواله، اعتقاده ان قوة فرنسا لا تقهر، بالاضافة إلى وضعه المهتز لعدم مساندة السكان له، نتيجة للسياسة العثمانية في العهد الأخير ، تجاه سكان المنطقة.

(135) الأمير محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر، ج 1، المطبعة التجارية الاسكندرية، 1903. ص ص. 103_104.

كل من خرج عن طاعته، ومنهم بنو عامر ذوي القوة والاعتداد الذاتي[136]. وبعد أن تمكن من القبائل تفرغ لمحاربة الفرنسيين، واستطاع أن يحقق انتصارات أحدثت ردود فعل قوية من طرف الجزائريين أو الفرنسيين، من ذلك انضمام مرابطين وشيوخ وقبائل إلى قوة الأمير ، وبذلك التزموا الشعور الوطني أكثر. واتساع حدة المناقشات داخل البرلمان الفرنسي، حيث طالب فريق قوي بالانسحاب الفوري من الجزائر، فكتب دي صاد يوم 1834/4/28 يقول: يوجد بالغرب الجزائري 100 ألف محارب يمكن للأمير أن يتولاها بنفسه فيشكل بها خطرا علينا ، لأنه الشخص الوحيد المناهض لوجودنا[137].

وتفطن الأمير إلى نقطة هامة وهي أن أعطى لدولته بعدا دوليا، بأن أرسل وفودا إلى المغرب وإلى تونس والى فرنسا قصد تدويل القضية الجزائرية ، والحصول على مساعدات. وقد سبق لوالد الأمير أن أرسل وفدا مكونا من 10 شيوخ إلى سلطان المغرب وصادف أن كان موروناي (*Morny*) مبعوثا من طرف القائد دوروفيكو إلى سلطان المغرب من أجل الحصول على المزيد من النفوذ، خاصة في تلمسان. وأحسن السلطان الاستقبال لكلا الطرفين ، ولبى رغبتيهما بأن أمر خليفته بلحمري أن ينسحب من تلمسان، وهو ما كان يرغب فيه دوروفيكو. وفي نفس الوقت سلم أمر المدينة إلى محيي الدين[138].

---

(136) تشرشل، **حياة الأمير**، المرجع السابق، ص ص. 59_61، 82، 85. وكذلك **تحفة الزائر**، ج 1 ، ص. 136.

(137) دفعت مقاومة الأمير السلطة الفرنسية الى استبدال بواتي بديمشال يوم 1833/2/28.

(138) راجع: تشرشل، **حياة الأمير**، ص. 53.

الفصل الرابع

تطور القضية الجزائرية ونشاط حمدان خوجة
(1834 - 1836)

- علاقات حمدان برجال الدولة العثمانية
- مراسلات حمدان من فرنسا

تطور القضية الجزائرية ونشاط حمدان خوجة (1834 ـ 1836)

هبطت حظوظ حمدان خوجة في الجزائر بسبب جملة من العوامل سبق ذكرها (راجع الفصل الثالث) وان كان لعامل الملاحقات القضائية، ومظالم الادراة الفرنسية، أثر كبير في أن يقرر حمدان الرحيل إلى فرنسا[1].

وحسبما توفر لدينا من مادة، فان حمدان فكر في الرحيل إلى فرنسا منذ أن قام بالرحلة الثانية الى قسنطينة، ونستخلص هذا من قول الحاج أحمد باي: «عندئذ قال لي سي حمدان ... أعطوني 5 أو 6 آلاف دورو،وسأذهب إلى باريس وهناك أقوم بمساعي لصالحكم، وسوف أتمكن من تسوية قضيتكم بحيث يتركونكم في أمان... ألح سي حمدان على امكانية تنفيذ هذه الخطة[2].

ويتساءل الباحث عما اذا كانت أهداف أراد حمدان تحقيقها في باريس؟ بعد أن أحس باستبداد الادارة الفرنسية يزداد يوما بعد آخر، قوي عزمه على نقل القضية الجزائرية الى قلب العاصمة الفرنسية، بالقرب من المجلس الأعلى، حيث الحرية

---

(1) اذ استولت الادارة على قدر كبير من أملاكه، منها ضيعته التي انتزعها منه أحد الضباط انظر:
Esquer, g., Correspondance de Rovigo, T1., pp. 582--583.
كما فرض عليه دفع مقدار 59074.80 فرنك الى خزينة الادارة، راجع: **نفس المصدر**، ج 3، ص. 104. بالإضافة الى قضاياه المتعلقة لدى المحكمة ، والمتسبب فيها اليهودي باكري، وعن هذا الموضوع راجع:
A.O.M., 12X6, Dossier Hamdan-Baccri & collection des actes du gouvernement., p. 179

(2) مذكرات الحاج أحمد باي، ص. 36.

والنشاط السياسي أكثر مما هو في الجزائر وأيضا لوجود كبار المسؤولين الفرنسيين، الذين كان حمدان ينظر اليهم بقدر من الثقة، لوجود المعارضة الفرنسية التي لم تستهوها فكرة الاحتلال الفرنسي والبقاء في الجزائر، بجانب وجود السفارة العثمانية التي تكون استعانت بحمدان للتعرف على أوضاع الجزائر. وأن حمدان على قناعة في غير محلها، بأن للباب العالي قدرة لاسترجاع الجزائر. وبجانب هذه الأغراض كان هدفه التعريف بقضية أحمد باي والدفاع عنه، كأن يتم تعيينه حاكما على قسنطينة[3].

وان كان سبق لبعض الباحثين أمثال جورج إيفار أن قال: سافر حمدان إلى باريس من أجل الدفاع عن قضاياه الخاصة، فقط[4]. انما المؤكد أن هدف حمدان من السفر هو الدفاع عن قضاياه الخاصة وقضايا الجزائريين الذين تسلط عليهم ظلم المسيحيين واليهود،ويبدو أن لهذه المظالم الأثر القوي في دفع حمدان إلى الخروج من الجزائر، وقد أكد بنفسه هذا بقوله: ولم أستطع أن أحتمي من مناكر الفرنسيين واليهود ولم أتمكن من الخروج من الجزائر الا بصعوبة كبيرة، اذ سللت نفسي كما تسل الشعرة من العجين[5].

ومها يكن فقد وصل حمدان أواخر أفريل 1833[6]. ولم يصلها منفيا كما ذهب إلى القول العربي الزبيري، الذي اختلط عليه الأمر ولم يفرق بين خوجة وحمدان بن أمين السكة،هذا الأخير، الذي نفته السلطة الفرنسية[7].

---

(3) TEMIMI, A., IN R.H.M.N No. 7, 8, U.G.T.A.T., Tunis, 1977 p. 234.
نقلا عن Foreign office تقرير سان جوهن بتاريخ 1833/1/16).

(4) Georges, Yver, R.A., 1913, P. 120.

(5) رسالة حمدان خوجة الى زوجته بتاريخ 22 ماي 1836، A.O.M., I H I

(6) نقول أواخر أفريل، بناء على ما جاء في قول حمدان: ان لي ما يقارب ثلاثة أشهر وأنا مقيم في باريس، وكان رفع هذا التقرير الى مقرر مجلس الدولة بتاريخ 20 جويلية 1833، HAMDAN, Le Miroir, pièce No. 6 p. 372.

(7) مذكرات الحاج أحمد باي، ص. 138.

وقبل أن يسافر حمدان ألمّ بجوانب القضية الجزائرية، وأعطاها بعدا دوليا بأن حاول أن يربط نشاطه بالسياسة الأنجليزية، وهذا ما يفسر طلبه من قنصل انجلترا بالجزائر كي يمده برسالة تقربه من السفير الانجليزي كرانفيل (GRANVILLE) بباريس لتدعيم موقفه والرفع من صوته[8]، ولسنا ندري أكان استلم رسالة خاصة من هذا القنصل أم لا؟ وقد خفي على حمدان التقارب الذي حدث بين السياسة الفرنسية والانجليزية، باعتراف النظام الملكي الانجليزي بنظيره الفرنسي، مثلما سبق الحديث في الفصل الثالث.

وبوصول حمدان إلى باريس وجد الجو مناسبا للنشاط السياسي والثقافي، بعامة، والدفاع عن قضاياه وقضايا الجزائريين بوجه خاص. حيث حرية الكلمة والصحافة ووجود حزب المعارضة للحكومة الفرنسية، والسفارة العثمانية، وأحد أقطاب السياسيين المغاربة وهو حسونة الدغيس، بالإضافة إلى تجمع ألمع العناصر الجزائرية في باريس، أمثال مصطفى بن ابراهيم باشا(•). كل ذلك وجد في نفسية حمدان الثائرة مزيدا من الاستعداد للدفاع عن القضية الجزائرية. ومن ثم تكونت نخبة من الجزائريين وجدت تأييدا من الوسط الفرنسي المناهض لغزو واحتلال الجزائر، اذ رحب رجال هذا الوسط بمقدم هؤلاء واستغلوهم في الضغط على الحكومة ، الأمر الذي شجع حمدان وزملاءه على التعريف بوضعية الجزائر لدى الرأي العام الفرنسي.

فرفع حمدان شكايات إلى الحكومة الفرنسية، نذكر منها التي بعثها إلى وزير الحربية سولت (SOULT) بتاريخ 3 جوان 1833، والتي تضمنت ثماني عشرة شكاية، عدّد فيها المظالم التي ارتكبتها الادراة الفرنسية ضد الجزائريين. ولا بأس من

---

(8) *Temimi, A., in R.H.M., No. 7, 8, p. 234.*
(نقلا عن *Foreign office.* ، تقرير سان جوهن بتاريخ 1833/1/1).

(•) يفهم من رسالة محمد بن ابراهيم باشا من باريس: ان أغلب العناصر الجزائرية تجتمع في دار حمدان على صلاح العباد وأمر البلاد. انظر ملحق رقم 14.

ذكر مقتطفات من هذه الشكوى حتى يتبين عمق الطرح في الدفاع عن القضية الجزائرية. قال: «أول ما وقع من المخالفة بعد نفي القاضي والمفتي بغير حق ان استولوا على أوقاف مكة والمدينة.. نطلب ردها كما كانت.. هدموا جامع السيدة وأخذوا سارياته.. كما هدموا ثلاث أو أربع (كذا) مساجد حوله.. أخذوا جامع كجوة وصيروه كنيسة.. فنطلب رده.. من يوم دخول الفرنسويين للجزائر إلى يومنا هذا لم يزالوا يحفرون مقابر أبنائنا وأجدادنا.. وأما عظام آبائنا التي باعوها، فنطلب أن يحكم الشرع العيساوي أو الموسوي أو المحمدي فيها»[9].

فكان لهذه العريضة وقع كبير على مسامع الحكومة الفرنسية التي تنبهت إلى أمور هامة كانت خافية عنها، من جهة. واعترفت بأخطاء سلطة الاحتلال الفرنسي، من جهة ثانية. وبعدالة بعض الأقوال التي جاءت في هذه العريضة، من جهة ثالثة[10]. الا أنها لم ترد على شكوى حمدان وتعترف له رسميا بحقه، ولعلها التزمت السكوت حتى تشجع سلطة الاحتلال كي تستمر في عملية التوسع بعامة، وتجهيز مدينة الجزائر العاصمة لادارة مركزية فرنسية، بوجه خاص، من جهة. وحتى لا تفتح المجال أكثر للمعارضة الفرنسية للنيل من السياسة الفرنسية ازاء الجزائر، من جهة ثانية. وحتى لا يتطاول حمدان وأمثاله على الحكومة الفرنسية فيحرجونها، من جهة ثالثة. وذهبنا إلى هذا بناء على رد وزارة الحربية الذي جاء فيه: «هذا إذا أردنا

---

(9) *A.M.G., H 20-9* انظر صورة من هذه الشكوى في ملحق رقم 19.
علما وان هناك الكثير من الجزائريين قد رفعوا الى الحكومة الفرنسية شكايات منددين بما لحقهم من ظلم، ويطلبون من رجال السلطة الفرنسية التدخل وتطبيق العدالة. وتوجد بين أيدينا وثائق على غاية من الأهمية تؤكد هذا. انظر:
ملحق رقم 15 : عريضة بتاريخ 1832 ممضاة من طرف 21 شخصا جزائريا.
ملحق رقم 16 : عريضة بتاريخ جوان 1833 ممضاة من طرف 38 جزائري.
ملحق رقم 17 : عريضة بتاريخ جوان 1833 ممضاة من طرف 23 جزائري.
(10) سبق للتميمي عبد الجليل أن ترجم ردود وزارة الحربية الفرنسية على شكاوي حمدان، ونشرها في: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، ص ص. 148-166.

الا تعود الجزائريين على عدم احترام تلك السلطة بقدومهم إلى باريس لازعاج الحكومة بشكاياتهم العادلة في بعض الأحيان والمبالغ فيها دوماء[11].

وترجمت الحكومة اعترافها بعدالة ما جاء في هذه الشكوى بقولها: «ان مذكرة حمدان هامة،انها علامة على تكرار الانذارات التي وصلت إلى الحكومة... كما ان المذكرة دليل جديد على ضرورة تبني سياسة معينة للنظام الاداري الذي تريد الحكومة تطبيقه في الجزائر»[12].

وبناء على هذا الاعتراف يمكن الاستخلاص، ان لحمدان دورا كبيرا في دفع الحكومة الى تبني سياسة جديدة لإخضاع الجزائر، بأن مارست اللين المعزز بقوة السلاح، وتفطنت الى استعمال القوة وحده يكلف فرنسا ثمنا باهظا. كما تفطنت إلى تعلق الجزائريين بالدين وبالمساجد والمقدسات، التي طالب حمدان بصيانتها وحرمتها، والتي كانت موضع جدال بين الوزير والسلطة في الجزائر[13].

ولم يكتف حمدان برفع هذه العريضة، بل شهر بمظالم الادارة الفرنسية في لوائح أخرى، وفي مؤلفه المرآة خاصة. وبذلك لا نحسب أننا نبالغ ان قلنا أن حمدان يعد أول جزائري - في ذلك العهد - بل أول مغربي تجرأ وانتقد السياسة الفرنسية بحجج منطقية وقرائن ثابتة، مستخدما في ذلك أسلوبا تغلب عليه روح التفتح، وغزارة الاطلاع، فهو في معظم كتاباته يعرف بنفسه على انه ذو جاه عظيم ومحب للانسانية، ولم يتفان في خدمة فرنسا وفي الاشادة بعظمتها وبعدالة حكومة لويس فليب، ومن جهة أخرى يعرض بالسياسة الفرنسية في الجزائر، بعامة، وبسياسة كلوزال بوجه خاص، حيث أدانه في أكثر من موطن. ومما قال فيه: لقد هدم كلوزال محلات كثيرة كانت تؤدي خدمات اجتماعية وثقافية، على غاية من الأهمية،

---

(11) نفس المرجع، ص. 165.
(12) نفس المرجع والصفحة.
(13) نفس المرجع، ص. 150.

كتلك التي كانت تنسخ الكتب فيها، والتي تقوم بدور المطابع غير المعروفة بافريقيا. وكان من المفروض على هذا الحاكم أن يساعدنا ويزودنا بنور العلم والحضارة بدل أن يعمل على اغراقنا في الجهل والظلمات[14].

والدارس لمؤلف حمدان المرآة يتأكد له الانتقاد الشديد للادارة الفرنسية، وحكومتها. ولم يكتف بالنقد للمظالم، والمطالبة باسترجاع الحقوق إلى ذويهم فحسب، بل نقل القضية الجزائرية إلى جدال فكري بأن ربطها بأعمق القضايا التي حظيت بمناقشات واسعة وحادة، وهي قضية «القومية» التي عماذها الدين، وعلى أساسها فضح نوايا الحكومة الفرنسية، متسائلا: لو كانت الجزائر مسيحية هل تسمح فرنسا لنفسها أن تتصرف بمثل هذه الطريقة، من الجور والتعسف؟ والا كيف نفسر سلوكها ازاء الشعوب الأخرى كاليونانيين، التي هي على نفس الدين الذي تتدين به فرنسا، حيث أنجدتها بأموال الجزائريين، على الرغم من أن الجزائريين أناس لهم حق الحياة في أمن وعدالة. وكان من المفروض الا يكون الاختلاف في الدين سببا في سلب الحقوق العامة للمجتمعات[15].

بهذا الطرح يكون حمدان ذا ادراك واسع، ومتفطنا لأبعاد السياسة الفرنسية، والظروف الدولية من جهة. ولما يثيره عامل الدين من تفرقة عنصرية، من جهة ثانية.

ويتساءل الباحث عن التزام حمدان الشجاعة وفضحه للسياسة الفرنسية ولم يبال بالنتائج كالسجن مثلا، على الرغم من أنه التزم الحذر وهو في الجزائر، والتخوف وهو في فرنسا، اذ قال: فانه لو كان باستطاعتي أن أعرض للجميع ما أمكنني وصفه دون اضطهاد لتمكنت من تقديم أمور كثيرة،لكنني على أرض مجهولة لا أدري أين تختبئ المصائب. خاصة واني أخشى أن انال نفس المصير الذي ناله عدد من مواطني:

(14) HAMDAN, *Le Miroir*, pp. 287--288.

(15) HAMDAN, *Le Miroir*, pp. 249--250, 286, 325.

كأن أسجن ما بقي لي من الأيام أو أن أنفى وأبعد عن أسرتي وبلدي[15]. ان التزامه للشجاعة قد يكون بناء على ضمانات، أو يكون مدفوعا من جهة ما، وهو ما ذهب إليه سان جوهن قنصل انجلترا في الجزائر، الذي قال: ان حمدان لم يتجاسر على القيام بنشر كتابه الا بعد أن تلقى ضمانات مسبقة[16]. ولا يعني هذا الضعف في شجاعة وطبيعة حمدان الذي كانت نفسه تواقة إلى حل مشاكل بلده.

وعلى ذكر سان جوهن لا بأس من التعرض - باختصار - لعلاقة حمدان بالسياسة الانجليزية، وعلى ما يبدو أن جذور العلاقة تمتد إلى فترات سبقت الاحتلال كما انها قد تكون عرفت نوعا من التقارب والتعاطف خلال السنوات الأولى من الاحتلال، وان كنا لا نرى في صحة قول دوروفيكو: من أن حمدان له علاقة سيئة بأفراد القنصلية الانجليزية[18].

ومهما يكن لم يهمل حمدان وهو في فرنسا أهمية الاتصال برجال السياسة الانجليزية، فبعث إلى الوزير اللورد قراي GREY رسالة بتاريخ 29 جوان 1833 عرفه فيها بالوضعية التي يعيشها الجزائريون،وأحاطه علما بجانب من المخططات التي تسعى الحكومة الفرنسية الى تطبيقها في الجزائر، وأرفق هذه الرسالة بنسخة من المرآة[19]. وتكون الحكومة الانجليزية قد تزودت بما جاء في المرآة من حقائق حول الاحتلال، ونوايا الحكومة الفرنسية تجاه القضية الجزائرية، من جهة. وتعرفت على جوانب هامة تتعلق بالجزائر والجزائريين ، من جهة ثانية.

---

(16) نفس المصدر، ص. 300.

(17) التميمي عبد الجليل، بحوث ووثائق، ص 141 (نقلا عن Foreign office رسالة سان جوهن إلى وزارة الخارجية بتاريخ 1833/12/10).

(18) *ESQUER, G., Correspondance de Rovigo, T2, p. 275.*

(19) *TEMIMI, A., IN R.H.M., No. 7, 8, p. 235.*
(نقلا عن *Foreign office, 3--35.*)

ومن غير المستبعد أن يكون حمدان تقرب من رجال السياسة الانجليزية بناء على اعتقاده بأن انجلترا تناصر القضية الجزائرية، وستجبر فرنسا على الجلاء عن الجزائر، وجاء اعتقاده نتيجة لمواقف القنصلية الانجليزية من الاحتلال منذ أيامه الأولى، من جهة. ونتيجة للسياسة الانجليزية تجاه الرق، اذ عمل كبار ساستها على عتق العبيد من جهة أخرى. وقد دفعه هذا الاعتقاد إلى الإشادة بالسياسة الانجليزية والتعريض بالسياسة الفرنسية فقال: ان أعمال التعسف والجور التي تقوم بها السلطة الفرنسية ستدينها الدول المحبة للانسانية، وخاصة منها التي تعمل على عتق الرقيق، اذ يضحي البرلمان الانجليزي بنصف المليار من أجل العتق[20].

والمتتبع لأقوال حمدان وهوفي باريس، دون تحليلها والتعرف على بواعثها، يحكم عليه بأنه خدم فرنسا وهو في الجزائر باخلاص كبير، غامر بنفسه، ضحى بماله، وبوقته، ومن هذه الأقوال: كان التجار عشية الاحتلال يعتقدون أن الأمة الفرنسية شريفة لا تنكث بعهدها، وعليه لا خوف منها ما دمنا ستتمتع بحريتنا ونعامل بعدالة، بقطع النظر عن كون زيد أو عمر هو الذي يحكمنا[21]. وأما أنا فقد كنت وفيا للحكومة الفرنسية وحاولت أن أعرف بطبائع الأمة الفرنسية وبنبل مشاعرها... واني أهني نفسي عندما أرى وطني تحت حماية الحكومة الفرنسية... فأنا لم أتردد فيما قمت به، ولن أتردد في أن أضحي بما لديّ من جهد ومن أموال خدمة للمصالح الانسانية والفرنسية[22].

الا ان شيئا من التأمل والتحليل يدفع الباحث إلى أن يستبعد عن حمدان الحكم بأنه خدم فرنسا من أجل مصلحة فرنسية، انما قام بذلك لمصلحة الجزائر،

---

(20) HAMDAN, *Le Miroir*, préface & pp. 261--262.

(21) *«On pensait qu'une nation honorable ne violerait pas ses traités; que nous jouirions de* ... Hamdan, *Le Miroir*, p. 193. ويفهم من هذه ان البرجوازية لم تدافع عن المدينة، وتكون حددت مصير البلاد منذ الأيام الأولى من الاحتلال.

(22) Hamdan, *Le Miroir*, pp. 373--374 رسالة حمدان إلى مقرر مجلس الدولة، بتاريخ ماي 1833.

والجزائريين، ولتكوين نظام حكم بالجزائر يدبره أهل البلاد. وقد دعا بنفسه إلى تطبيق هذه الفكرة، ورآها أكثر من ضرورية. وقال في هذا الصدد: وأنا الذي أرى الأشياء على حقيقتها، فانني أتحدى كل من يزعم بأنه يستطيع ايجاد حل للقضية الجزائرية دون استخدام احدى الوسيلتين: ابادة السكان وبيع ممتلكاتهم لباي تونس أو لسلطان المغرب، أو الخروج من الجزائر والتخلي عن الاحتلال، لتكوين حكومة أهلية حرة، مثلما وقع في مصر، على أن تبرم معاهدة بين هذه الحكومة وفرنسا، تكون لصالح البلدين، علاوة على أن هذا العمل الليبرالي سيزيد من شهرة عصرنا[23].

ويكون حمدان بهذا الطرح ذا ايمان قوي بمبادئ الليبرالية، وبقضايا التحرر، من جهة، وذا رغبة في تأسيس نظام حكم جزائري متطور، من جهة أخرى. وتعد هذه النقطة من العوامل التي دفعت حمدان إلى النشاط والتقدم للحكومة الفرنسية باسم الجزائريين للدفاع عن قضاياهم، حيث سلم عريضة إلى الملك على انها ممضاة من طرف وجهاء الجزائر، وموكل (حمدان) بواسطتها أن يتحدث باسمهم أمام المحكمة العليا والملك، والدفاع عن حقوقهم[24].

ولهذا لم يتوان حمدان في أن يتصل بالملك بأن بعث له عدة عرائض يشتكيه من مظالم الادارة الفرنسية في الجزائر، ويناشده التدخل لرفع المظالم، ويترجاه أن يأمر بتعجيل البت في قضيته المتعلقة بالمحكمة العليا لدى مجلس الدولة[25].

(23) نفس المصدر، ص ص. 322_324. ومن هنا يكون عاب على حمدان أن فرنسا لم تكون حكومة أهلية في مصر ويبدو ذلك من وحي دوروفيكو. زيادة على هذا يكون قول حمدان من باب السياسة والدهاء خاصة وهو في باريس، بالقرب من الرقابة، ولكسب عطف المسؤولين. ولمعرفة المزيد عن رأي حمدان حول حكومة أهلية راجع ما سيأتي ذكره في هذا الفصل.

(24) *Hamdan, Le miroir, pièce No. 5, 10, 11.*
وقد شاطره الكثير من الفرنسيين، راجع الفصل الخامس.

(25) رفع حمدان مجموعة من العرائض، منها المؤرخة في 10 جويلية *Hamdan, Le Miroir, pièce No. 10* والمؤرخة في 19 جوان 1835. انظر ملحق رقم 4.

وحسبما ذكره حمدان فانه لم يتلق ردا، باستثناء رد واحد ومختصر جدا من ديوان الملك يوم 3 اكتوبر 1833 أشعر من خلاله بأن عريضته أحيلت إلى وزارة الحربية قصد الدراسة. ويعني ذلك أنها ستلقى نفس المصير الذي لقيته الشكايات الأخرى التي سبق وأن رفعت إلى الحكومة الفرنسية، سواء من طرف حمدان أو من طرف غيره من الجزائريين.

ومن جهة أخرى رفع عددا من العرائض إلى وزارة الحربية منها التي تضمنت 18 نقطة، وغيرها[26]. بالاضافة إلى عرائض أخرى لهيئات أخرى كتلك التي رفعها إلى مقرر المحكمة العليا لدى مجلس الدولة[27].

على الرغم من هذه المساعي المركزة، وعدالتها، وتجاوب أوساط من الرأي العام لها، الا أنها لم تحقق أية نتيجة لصالح حمدان والجزائريين، لكنها من جهة أخرى أثرت على السياسة الفرنسية، ودفعتها إلى تبني سياسة جديدة، اتضحت ملامحها في عدد من المراسيم والقرارات أهمها ارسال لجنتين لتقصي الحقائق في الجزائر، وتعديل النظام القائم، بأن تم تعيين حاكم عام بدل قائد عام على ادارة الجزائر. بمرسوم ملكي صادر يوم 22 جويلية 1834، أقرت من خلاله الحكومة الفرنسية رسميا تبعية الجزائر إلى فرنسا، قائلة: ان الجزائر فتحت بالقوة من طرف فرنسا ستبقى فرنسية[28].

وعلى ذكر اللجنة الافريقية فان الكثير من الدارسين يجهلون أو يتجاهلون الدور الذي لعبه حمدان خوجة في تعيينها فياكونو (Yacono, X) أرجع الفضل في ذلك إلى مساعي بعض السياسيين الفرنسيين أمثال موني (monet)[29]. والحقيقة أن

---

(26) انظر رسالة حمدان إلى رئيس الوزراء المارشال سولت بتاريخ 3 جوان 1833 Hamdan, Le Miroir, Pièce No. 1 وكذلك رسالته باللغة العربية الى الوزير الفرنسي. انظر ملحق رقم 18.

(27) هذه الرسالة بتاريخ ماي 1833. Hamdan, Le Miroir, pièce No. 5

(28) RENET, V., p. 15

(29) YACONO, XAVIER, revue historique, NNo. 508, PéUéFé. oct., déc., 1973, pp. 414-415.

عوامل كثيرة دفعت الحكومة الفرنسية الى ارسال لجنة تحقيق إلى الجزائر، ومن هذه العوامل رغبة الحكومة نفسها في السيطرة على الجزائر وتكوين مستعمرة بها. وحتى تتخلص من الضغط الأوروبي على الحكومة للإعلان عن موقفها الرسمي تجاه الجزائر. وحتى تجعل حدا للمناقشة الحادة داخل البرلمان منذ فترة الحصار، حول الميزانية المخصصة للاحتلال، وأيضا لتسكت صوت المعارضة من الفرنسيين خارج البرلمان، والداعي إلى عودة القوات الفرنسية. ومداراة للمعارضة الجزائرية بقيادة حمدان خوجة، الذي رفع عدة شكايات طالب من خلالها التدخل لرفع المظالم، ومن تلك الشكايات واحدة رفعها إلى المارشال سولت (SOULT) بتاريخ 3 جوان 1833 ناشده التدخل، وتعيين لجنة تحقيق ، حيث قال: «فالآن اما أن تعتمد كلامنا ونحن جماعة من أعيان أهل الجزائر، ونتقوى بما يذكره الفرنسيون... واما أن تعين كومسيون (Commission) ترسله إلى الجزائر ممن لا رغبة له في أخذ أموال الناس»[30].

ومهما يكن فقد تعينت اللجنة يوم 7 جويلية 1833 لهدف معاينة الوضع في الجزائر، وجمع المعلومات الكافية التي على ضوئها يتحدد مصير الجزائر. وزودت اللجنة بتعليمات من الحكومة، حددت بموجبها مسبقا مصير الجزائر. ومن هنا يمكن القول: ان الهدف من اللجنة ليس تقصي الحقائق بقدر ما هو محاولة لتنظيم حكم فرنسي دائم، وما تظاهرها بأنها جاءت للتحقيق الا لامتصاص واستنكار الرأي العام، وتوسيع قاعدة التأييد لسياستها.

---

(30) *M.G., H 20* عريضة حمدان الى المارشال سولت بتاريخ 15 محرم 1249 الموافق 3 جوان 1833. انظر صورة منها، ملحق رقم 19.
وكان حمدان خوجة يتتبع الأحداث أول بأول، اذ بمجرد أن تعينت اللجنة الافريقية الخاصة رفع الى الحكومة الفرنسية عن طريق وزيرها عريضة بتاريخ 25 اكتوبر 1833 ، يعرب له عن سروره . مقدما في نفس الوقت حججا دامغة أدان بها الادارة الفرنسية على ما تقوم به من تعسف تجاه الجزائريين، حيث قال في هذا الشأن: «وليس في شرع من الشرايع ان الانسان تقطع يده، ويعطى مصروف القطع ، وثمن السكين الذي قطع به يده التي كان يأكل بها» عريضة حمدان مدرجة ضمن الملاحق. رقم 20.

وبما جاء في هذه التعليمات، التي كانت على شكل برنامج عمل هل من صالح فرنسا أن تحتفظ بالجزائر، أم تكتفي بتكوين قاعدة عسكرية بها؟ وفي حالة ما اذا رأت اللجنة ضرورة الاحتفاظ ، ما هو النظام المناسب الذي يمكن تأسيسه؟ وهل من الضرورة طرد الجزائريين من المدن والاستعاضة عنهم بمعمرين أوروبيين، أم من الأفيد ادماجهم بالأوروبيين، وفي حالة الدمج ما هي المقاييس التي يتم على أساسها التغلب على الفروق بين السكان من أعيان و (أتراك) وقبائل، وجعلهم صفا واحدا مع الأوروبيين خدمة للمصالح الفرنسية؟ ما هي الأسس التي يمكن على غرارها تنظيم التجارة، وما هو أنسب نظام اداري، هل ادارة الدومين والجمارك كافيتان لتسيير شؤون البلاد حاليا؟ وهل لصالح فرنسا أن تعتمد نفس النظام الذي سلكه العثمانيون في الجزائر؟ وفيما يخص القضاء هل تترك الشريعة الاسلامية لدى الجزائريين؟ وبالنسبة للفرنسيين ما هو أنسب نظام قضائي يمكن تطبيقه في البلاد؟

بعد أن تنقلت اللجنة من العاصمة إلى ضواحيها: سهل متيجة والبليدة، والى عنابة ـ التي تمكن الفرنسيون من احتلالها ـ والى وهران وارزيو. وبعد أن عقدت حوالي 29 جلسة، توصلت إلى صياغة مجموعة من التقارير دارت حول: المهام الحربية، البحرية، التجارية، كيفية الاستعمار والشؤون العامة. بالإضافة إلى 7 تقارير حول أملاك مكة والمدينة وبيت المال. ومن ذلك توصلت إلى نتائج جد هامة بالنسبة لفرنسا، منها: أوصت بضرورة الاحتفاظ بالجزائر. وتركيز السلطة بمدينة الجزائر، واحداث منصب حكم جديد هو الحاكم العام يتولى ادارة شؤون الجزائر المدنية والعسكرية، على أن يؤسس مجلس اداري جديد، يساعده ويتشكل من قائد الأركان، والمتصرف المدني والمتصرف العسكري والقائم بشؤون القضاء. كما أوصت باشراك الجزائريين في ادارة المجلس البلدي. ومن جهة أخرى انتقدت بعض المظالم

وحملت المسؤولين مسؤولية ذلك، وقالت في الجلسة التاسعة: ان النظام القضائي لم يقم بالدور المنوط به[31].

وبمجرد أن تعينت هذه اللجنة حدثت ردود فعل من أوساط مختلفة فرنسية وجزائرية.

في الأوساط الفرنسية، أولئك الذين اتصلت بهم اللجنة واتصلوا بها. من العسكريين والمدنيين، وأعضاء الغرفة التجارية[32]. ووفود عن المستوطنين الفرنسيين، وعن التجار الأوروبيين. ومن غير المستبعد أن يكون هؤلاء قد ساهموا في تأكيد فكرة الاحتفاظ بالجزائر، واستعمارها.

وردود الفعل الجزائرية كانت من داخل الجزائر، ومن باريس. اعتمادا على ما جاء في جريدة (أخبار الجزائر) تكون شكايات ومطالب كثيرة قدمت الى اللجنة، التي أحجمت عن الرد، وأبعدت عنها المسؤولية في البت في القضايا الناتجة عن مظالم الادارة والجيش، وقالت على لسان كاتبها بيسكاتوري: تتمنى اللجنة أن تكون المهمة المنوطة بها واضحة للجميع وهي مهمة تحقيق في وضعية (المستعمرة) وفي القضايا الأساسية المتعلقة بمستقبلها، وعليه فليعلم سكان الجزائر (المستعمرة) ان

---

(31) وصلت هذه اللجنة الى مدينة الجزائر يوم 2 سبتمبر 1833 برئاسة الجنرال بوني(*BONNET*) وكاتبها العام بيسكاتوري(*BISKATORY*) وقسمت جدول أعمالها يوم 6 سبتمبر، فكانت على الوجه التالي، المسائل العسكرية من اختصاص بوني، الطرق والقناطر من مهام مونفور *MONFORT* وقام دغال دايي (*D. DAILLY*) بدراسة الشؤون البحرية، بالاضافة إلى مهام أخرى، كالصناعة والتجارة والقضاء والجمارك، كلها أسندت دراستها الى شخصيات هامة، وكانت آخر جلسة لها يوم 1833/9/22، انظر: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، الفصل السادس. وكذلك:

***BONNET** et autres, procès verbaux et rapports de la commission spécial 1833, imprimerie Royal, Paris, 1834.*

(32) تأسست هذه الغرفة بمدينة الجزائر بقرار 1830/12/7.

اللجنة لا يمكن أن ترد على هذه المطالب والشكايات المتعلقة بمصالح خاصة، وهي لا تتحمل مسؤولية في ذلك[33].

وباستثناء هذا لم نعثر على تدخلات أخرى لجزائريين، من داخل الجزائر، سوى رأي واحد للمفتي مصطفى بن الكبابطي والذي دار حول الأحوال الشخصية للجزائريين، فيما يتصل بأمور دينهم.

ويتساءل الدارس عن عدم وجود أسماء جزائرية أخرى استمعت إليها اللجنة، وذكرت في محاضرها؟ يرجع الاستاذ أبو القاسم سبب ذلك الى مكتب الشؤون العربية الذي كان همزة وصل بين السكان والادارة، وإلى احتمال أنه قد تكون ثمة تدخلات لكنها لا زالت محفوظة بدور الأرشيفات لم تنشر بعد[34].

وقد تكون استمعت إلى أقوال جزائريين آخرين، ولم تعرهم اهتماما واكتفت بما أدلى به ابن الكبابطي على أنه أكثر دراية من غيره بأمور الدين، لأنه مفتي على المذهب المالكي، وهو ما كانت تسعى اليه اللجنة للتعرف على الشؤون القضائية المتعلقة بأحوال الجزائريين، اما بقية الأمور لا يهمها آراء الجزائريين فيها ما دامت النية مبيتة، على الاحتفاظ بالجزائر. زيادة على هذا فان من ألمع العناصر الخبيرة بالسياسة وبأمور الجزائر كانت خارج الجزائر، أثناء التحقيق. علاوة على قصر المدة التي قضتها اللجنة بالجزائر (سبتمبر–نوفمبر) والظروف التي كانت عليها الجزائر، وهي ظروف حرب بين الفرنسيين وكل من الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي، وبعض القبائل الثائرة.

أما ردود الفعل الجزائرية من باريس، كانت أقواها من لدن حمدان خوجة وأحمد بوضربة. حيث بعث حمدان عريضة إلى الملك لويس فيليب يأمل فيها باسم

---

(33) نشر هذا القول على شكل نداء بتاريخ 1833/9/12 في *Moniteur Algérien No. 86, du 14 sept. 1833.*

(34) أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، الفصل السابع.

الجزائريين أن يولي الأعضاء اهتماما للشكاوي والمظالم التي تسببت فيها الادارة بالجزائر، ويأمل أن تكون النتيجة حسنة بالنسبة للشعب الجزائري(35).

وتعينت اللجنة الثانية المسماة بالافريقية يوم 12 ديسمبر 1833(36). واتخذت من باريس مقرا لها، واعتمدت أساسا على تقارير ومحاضر وتوصيات اللجنة الأولى، وعلى ما ادلت به شخصيات فرنسية، مدنية وعسكرية وشخصيات جزائرية، حمدان خوجة، وحمدان بن أمين السكة،وأحمد بوضربة. وممن استمعت اليهم اللجنة وزير البحرية الذي جلس على المنصة بجانب الرئيس ورد على مجموعة من الأسئلة والتدخلات المتعلقة بحالة الجيش والميزانية، ويعني هذا تدخل الحكومة في أعمال اللجنة، وبالتالي تعاونا بينهما، فهي من هذا الباب تعد لجنة حكومية، أكثر مما هي لجنة افريقية أو برلمانية. ومن ثمة كانت هذه اللجنة وسابقتها وسيلة وظفتها الحكومة لتنفيذ مشاريعها المتعلقة باستعمار الجزائر.

ومن الجزائريين الذين استمعت إليهم اللجنة حمدان خوجة الذي حضر الجلسة 14 (23 جانفي 1834)، طرحت عليه حوالي 13 نقطة،بدأها الرئيس باشعار حمدان بما جاء في مؤلفه المرآة، وطلب منه ان كانت له اضافات. ثم فتح حوارا (طرح ورد) دار حول مستقبل الجزائر، اداريا واجتماعيا وتجاريا، حيث طرح الرئيس عدة قضايا حول المساجد واعادة بعضها قصد احداث تقارب بين المواطنين الجزائريين والسلطة، وما اذا أعيد منصب الآغا إلى أحد الشيوخ هل تتوقف القبائل عن الهجومات ضد السلطة الفرنسية. وحول تنظيم التجارة بواسطة القوافل بين الجزائر والسودان. وهل من الممكن اخضاع الحاج أحمد باي بواسطة الوساطة

---

(35) تاريخ هذه العريضة 1833/9/16، راجع نصها في:

(36) جاء تعيين هذه اللجنة بناء على موافقة الملك، الذي أعلن عن تعيين لجنة أخرى موسعة، تباشر مهامها بعد أن تنتهي اللجنة الأولى من مهامها وترأس اللجنة الموسعة بيكاز *BICAZES* بينما كاتبها هو نفس كاتب اللجنة الأولى. وكان من المفروض أن يباشر 18 عضوا عملهم في هذه اللجنة، الا أن 10 أعضاء فقط حضروا الجلسة الافتتاحية، والتي كانت يوم 1883/12/22، وفي الجلسات الأخرى تضاعف العدد الى 16.

والسلم. فيرد حمدان بواسطة مترجمه، بأنه لا يعتقد في أن تتوصل فرنسا إلى نتائج مرجوة، لأن اعادة بعض المساجد خاص بالمدن،. ولأن القبائل كانت في العهد العثماني معزولة عن بعضها، أما الآن فهي متضامنة فيما بينها. وفيما يخص التجارة أكد على وجود مخاطر ليس من (البربر) فقط بل هناك شعوب متوحشة من الصعوبة بمكان اجتيازها، ووجه حمدان أعضاء اللجنة إلى المزيد من الاطلاع حول ما ضمنه من معلومات في المرآة تتعلق بهذا الموضوع. وعن أحمد باي قال: هو الآن في مركز قوة بفضل جيشه البالغ 10 آلاف ، وبفضل أنصاره[37].

وفي الختام طلب الرئيس من حمدان ان كانت له اضافات،فيرد حمدان بأن ليست له اضافات. انه من غير مستبعد أن تكون لحمدان اضافات، انما جاء امتناعه لادراكه ما جاء في المرآة والمذكرات ما يغني. وقد يكون التزم الحذر. لأن الدارس للمرآة والمذكرات، يدرك أكثر من اثبات وتوضيح.

وقد استمعت اللجنة في جلسة 12 (17 جانفي 1834) إلى كل من أحمد بوضربة وحمدان بن أمين السكة، وعبرا عن رأيهما بوضوح، كما سبق أو وضحنا ذلك في الفصل الثالث.

وقد سلم بوضربة بدوره مذكرة إلى اللجنة ، ولا بأس من عقد مقارنة موجزة بينها وبين مذكرة حمدان. فمذكرة بوضربة عبارة عن برنامج عمل، ينطبق محتواها وما أدلى به للجنة، حيث دعا الحكومة الفرنسية ان أرادت أن تحتفظ بالجزائر أن تطبق سياسة ثابتة وعادلة، بدل العنف. وعليها أن تعمم الضرائب على القبائل بالعدل. كما طالب باحداث شبكة عمرانية ليسكنها العرب والفرنسيون على حد السواء. وذلك ـ على رأي بوضربة ـ ليتم الاحتكاك. واقبال العرب على الأخذ

---

(37) للمزيد من الاطلاع راجع: أبو القاسم سعد الله، **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ص ص. 124ـ133. وكذلك: *Procès verbaux et rapports de la commission d'Afrique*. الجلسة 14.

بمعالم الحضارة الأوروبية، فيسهل بعدها الاندماج ، وبالتالي تتمكن فرنسا من تحقيق جملة من الأهداف، منها: نشر الحضارة في افريقيا، واخضاع الجزائر كلية واحداث نظام بها، خاصة اذا عملت على اصدار جريدة علمية تعمل على انارة المجتمع الجزائري المتعطش للمطالعة والمعرفة. وفيا يخص النظام الاداري ألحّ على الحكومة أن تنشئ إدارة في الجزائر يتولاها مجلس استعماري موسع يتشكل من الوالي العام وستة أعضاء، وكاتب ومسلم. يساعده مجلس بلدي يتكون من 5 مسلمين و3 من الفرنسيين و2 من الاسرائيليين. على أن يتأسس مجلس ملكي، صلاحياته ادارة الشؤون القضائية[38] . هذا في الأماكن الخاضعة للنفوذ الفرنسي.أما الداخل الذي لا يزال لم يخضع بعد، يعين مدير يساعده مسلمان وحاشية. وان تعين كذلك لجنة خبرية لادارة أملاك الأوقاف[39] . وفيا يتعلق بأحمد باي طمأن الحكومة بأنه لا يشكل أي خطر ، لأنه غير قادر أن يكسب ثقة السكان، وعليه لا توجد مقاومة يمكن أن تتصدى للتوسع الفرنسي. وبناء عليه في حالة ما اذا تم احتلال قسنطينة لا بد من تعيين حاكم فرنسي عليها. بالاضافة إلى قضايا أخرى كتنظيم التجارة وحث الحكومة على التوسع دون الاكتفاء بالمدن، والتدخل لجعل حد للمظالم التي ارتكبتها الادارة في حق المواطنين[40] .

---

(38) ويتكون من رئيس، قاضيين، قاضيين اضافيين، كاتب ضبط، حاجبين وثلاثة مترجمين: فرنسي، مسلم ويهودي.

(39) ويكون تحت امرة هذا المدير 1000 من الصبايحية، تعمل على تنظيم المواصلات وحماية القبائل الخاضعة للسلطة الفرنسية. وعلى كل قبيلة تعلن ولاءها أن ترسل أربعة من أبناء أعيانها كرهينة ولتربيتهم، وفيا يتصل بالأوقاف رغب في أن تتشكل لجنة من 10 أعضاء من الأعيان.

(40) سبق للعربي الزبيري أن ترجم هذه المذكرة ونشرتها ش.و.ن.ت. ضمن مذكرات الحاج أحمد باي. وفيا يتصل بنظرة بوضربة تجاه أحمد باي فهي عكس نظرة حمدان خوجة، اذ وصفه بالماجن، الفاجر، المناور وارجع قوته الى ثلاثة عوامل: التجاؤه الى خاله في الصحراء، وتسليحه بـ 22 مدفعا وفرقة الزواوة ، الثاني استفادته من أخطاء الادارة الفرنسية. والثالث استغلاله لمجيء حمدان مفوضا من قبل دوروفيكو بأن أظهر ذلك للسكان على انه تعيين من الفرنسيين له دايا على المنطقة، وان فرنسا عازمة على الجلاء، انظر: **مذكرات الحاج أحمد باي**، ص ص. 115_125.

ويستخلص من هذا أن أحمد بوضربة لم يكن يتمنى عودة النظام الاس[illegible] العثماني، وكان يرغب في احداث نظام فرنسي متطور.

أما مذكرة حمدان خوجة والتي سبقت الاشارة اليها (الفصل الثاني) هي [illegible] عن مشروع عملي لاستقصاء الحقائق والتوصل الى نتائج منطقية، حيث نبه أع[illegible] هذه اللجنة إلى أن اللجنة الأولى لم تتوصل الى معرفة حقائق كثيرة، على الرغم [illegible] زيارتها إلى مواطن تلك الحقائق. وحذر من استعمال العنف على أنه لا يجني [illegible] لفرنسا. ثم تفطن إلى المادة الخبرية التي ستعتمد عليها اللجنة في جدول عملها وقس[illegible] إلى خمسة أصناف، ثم نقدها وبين بأدلة لا تقبل نقاشا ان الاعتماد عليها فيه [illegible] وبعد عن الحقيقة. ثم عالج قضية على جانب كبير من الأهمية وهي أسباب [illegible] السكان من الفرنسيين فأرجعها إلى:

- شعورهم بالاستعباد من أمة أجنبية.
- الاختلاف في الدين.
- خشيتهم من المآل إلى الفقر.
- الحوادث التي قام بها الجيش الفرنسي ضد المواطنين في المدن.

ثم طرح 13 نقطة جاءت على أسئلة استنكر بواسطتها جور وتعسف الادارة الفرنسية. وحث الحكومة على تبني سياسة جديدة بأن تترك البلاد الى أهلها شرط أن تعين أميرا مسلما، حاكما، تعقد معه اتفاقية تكون خدمة لصالح الشعبين (كما سبقت الاشارة في هذا الفصل).

ومما تقدم يمكن استخلاص أمور كثيرة، أهمها: ان حمدان على طرف نقيض من أفكار بوضربة، فهو كان يرغب في احداث نظام حكم اسلامي متطور.

المهم توصلت اللجنة بعد حوالي 56 جلسة إلى نفس النتائج التي انتهت اليها اللجنة الأولى، خاصة فيما يتصل بالنظام الاداري مع شيء من الوضوح والدقة،

ويستخلص من هذا أن أحمد بوضربة لم يكن يتمنى عودة النظام الاسلامي العثماني، وكان يرغب في احداث نظام فرنسي متطور.

أما مذكرة حمدان خوجة والتي سبقت الاشارة اليها (الفصل الثاني) هي عبارة عن مشروع عملي لاستقصاء الحقائق والتوصل الى نتائج منطقية، حيث نبه أعضاء هذه اللجنة إلى أن اللجنة الأولى لم تتوصل الى معرفة حقائق كثيرة، على الرغم من زيارتها إلى مواطن تلك الحقائق. وحذر من استعمال العنف على أنه لا يجني فائدة لفرنسا. ثم تفطن إلى المادة الخبرية التي ستعتمد عليها اللجنة في جدول عملها وقسمها إلى خمسة أصناف، ثم نقدها وبين بأدلة لا تقبل نقاشا ان الاعتماد عليها فيه تحيز وبعد عن الحقيقة. ثم عالج قضية على جانب كبير من الأهمية وهي أسباب نفور السكان من الفرنسيين فأرجعها إلى:

- شعورهم بالاستعباد من أمة أجنبية.
- الاختلاف في الدين.
- خشيتهم من المآل إلى الفقر.
- الحوادث التي قام بها الجيش الفرنسي ضد المواطنين في المدن.

ثم طرح 13 نقطة جاءت على أسئلة استنكر بواسطتها جور وتعسف الادارة الفرنسية. وحث الحكومة على تبني سياسة جديدة بأن تترك البلاد الى أهلها شرط أن تعين أميرا مسلما، حاكما، تعقد معه اتفاقية تكون خدمة لصالح الشعبين (كما سبقت الاشارة في هذا الفصل).

ومما تقدم يمكن استخلاص أمور كثيرة، أهمها: ان حمدان على طرف نقيض من أفكار بوضربة، فهو كان يرغب في احداث نظام حكم اسلامي متطور.

المهم توصلت اللجنة بعد حوالي 56 جلسة إلى نفس النتائج التي انتهت اليها اللجنة الأولى، خاصة فيما يتصل بالنظام الاداري مع شيء من الوضوح والدقة،

ومن الطبيعي أن تكون النتائج واحدة لأن أعضاء كلا اللجنتين جمعتهم كلهم تقريبا رغبة الاحتفاظ بالجزائر واستعمارها، من جهة. ولتدخل الحكومة في شؤونها[41]. من جهة أخرى.

وجاءت هذه النتائج عكس ما كان يرجوه حمدان وأنصاره مثل حسونة الدغيس، كما ان عدوه اللدود كلوزال قد تعين مرة أخرى حاكما على الجزائر.

وعلى ذكر حسونة الدغيس (وقد سبقت الاشارة إليه في الهامش - الفصل الثاني) يستحسن توضيح جانب من نشاطاته، حيث لعب دورا متكاملا مع حمدان لصالح القضية الجزائرية، وكانت بداية هذا الدور - حسبما توفر لنا من مادة - منذ وصول حمدان إلى باريس، ولا ندري أكانت تربطهما علاقات قبل هذا التاريخ أم لا؟ وان كان الاستاذ التميمي يذهب إلى افتراض ذلك ويبنيه على أساس الوساطة التي قام بها حسونة بين الداي حسين ووزير خارجية فرنسا[42].

ومهما يكن فقد تكونت جبهة مغربية قوية، متقاربة الأفكار، أمام خطر مسيحي واحد. التزمت هذه الجبهة الدفاع عن القضية الجزائرية على الرغم من أن أصحابها لم يكونوا سياسيين محترفين. فتمكن حمدان وحسونة من توصيل أفكارهما، والتعريف بأوضاع الجزائر لدى الرأي العام والخاص وفضح جرائم الادارة الفرنسية، ونلمس ذلك في مظاهر متعددة منها: الشكايات التي رفعها حمدان وقد يكون ترجمها الدغيس إلى الفرنسية كما هو الشأن بالنسبة للمرآة. ومن غير المستبعد أن يكون الدغيس ساعد حمدان كي يستوعب أفكارا كثيرة من مؤلفات متعددة بالفرنسية.

---

(41) علما وان اللجنة قدمت تسعة تقارير، وحوالي 60 مادة لتنظيم القضاء، وأدانت في الجلسة 11 الوحشية التي قامت بها الادارة خاصة قبيلة العوفية.

(42) أوكله الداي ليدافع عنه ضد اتهامات الوزير الفرنسي، التي مفادها ان الداي حسين يعمل على تحريض سكان الشرق الجزائري للثورة. *PLANTET. EUGèNE. Corres.. de Deys d'Alger.. T2. pp. 578--579.*

انظر بحوث ووثائق، ص. 269.

ويكون حمدان بذلك قد وظف خبرة الدغيس في الدفاع عن القضية الجزائرية، في وقت كانت فيه اللغة الفرنسية أحسن أداة لافهام الرأي العام الأوروبي، بعامة، والفرنسي، بوجه خاص، بعدالة القضية الجزائرية ومظالم الجيش الفرنسي ، من جهة. ومن أنفع الوسائل التي ساعدت الجزائريين على معرفة ما يجري في المجالس وما يقال في الأندية وما يكتب في الصحف ، من جهة أخرى.

في هذا الوقت الذي أعلنت فيه الحكومة الفرنسية ان الجلاء عن الجزائر يعني المس بذاتية الأمة الفرنسية، واهانة لشرفها، حيث عين الحاكم العام دوري دارلون (Drouet d'rlon) جويلية 1834. في هذا الوقت كانت أحداث تجري بالجزائر، تركت بصمات في تطور القضية الجزائرية وتتمثل هذه الأحداث في اتساع مواطن الثورات ضد الادارة الفرنسية من جهة. وفي تصادم الوطنيين ومحاربة بعضهم البعض من جهة أخرى. ويمكن عرض هذا باختصار على الوجه التالي:

بعد أن تم التوقيع على معاهدة عرفت بمعاهدة ديمشال ، ظهرت ردود فعل قوية فرنسية وجزائرية. ومن الفرنسيين الذين استنكروا تلك المعاهدة واعتبروها هزيمة لفرنسا لا سيما التجار والرأسماليون الفرنسيون خاصة الشركة التجارية التي كانت تعلق آمالا كبيرة لازدهار التجارة في أرزيو ومستغانم، وغيرهما من المدن، الأمر الذي أثار جدلا حادا داخل غرفة النواب. وطالب الكثير بالغاء المعاهدة وتجديد الحرب ضد الأمير من أجل السيطرة على أهم المدن لتكون دعما تجاريا[43]. ولعل هذا كان من ضمن العوامل الذي تسبب في تأزم الموقف وعودة الطرفين الى الحرب من جديد (وستحدث عن هذا في حينه).

---

(43) عين ديمشال سنة 1833 قائدا على مقاطعة وهران، هدف الانتصار على قوة الأمير عبد القادر، الا أن الحنكة قادته الى ضرورة عقد صلح مع الأمير، ونستخلص هذا من المعاهدة التي عقدها مع الأمير، ومن مؤلفه.
Oran sous le commendement de général DESMICHELES. Anselm. Paris. 1835.
وجاءت هذه المعاهدة عكس ما كانت بعض الأوساط تنتظره، لهذا لقيت سياسة ديمشال نقدا شديدا خاصة من البرجوازية التجارية وغرفة النواب والادارة، ومن والامم، راجع:
KOKENPOT. pp. 103--104

انما الذي يمكن ذكره هو ان الأمير بعد أن عقد هذه المعاهدة تفرغ أكثر لتنظيم دولته وتأديب القبائل التي أعلنت عدم الامتثال لطاعته. والحديث يطول عن حملات التأديب هذه، ويمكن ذكر عينات منها، التي انتصر فيها على ابن العربي أحد الشيوخ الأقوياء، في جوان 1834، وعين مكانه ابو شاقور خليفة، وكذلك محي الدين على مليانة وأوكل له جمع كلمة المسلمين من شرشال الى التنس. ثم اتجه إلى تلمسان فانتصر على مصطفى بن اسماعيل(44).

بعد أن تمكن الأمير من اخضاع أوطان كثيرة في الشمال والغرب أولى اهتماما بالجنوب، فبعث خليفته محمد الصغير إلى بسكرة الذي تمكن منها. وبذلك يكون الأمير قد حقق أكثر من انتصار على جبهتين، أخذت من قوته الكثير، الأولى تمثلت في قوة فرنسا، بتوصله الى عقد صلح مع ديمشال. والثانية في القبائل الثائرة التي أخضعها.

ويتساءل الدارس عن الأساليب التي منعت شيوخ القبائل من الانضمام إلى صف الأمير وتكوين قوة وطنية ضد فرنسا.

أهم هذه الأسباب: التهرب من الالتزامات كدفع الضرائب للأمير ثم إن الكثير من هذه القبائل أعلنت ولاءها للسلطة الفرنسية اما خوفا منها أو طمعا فيها، ثم الأنفة القبلية والاعتداد الذاتي منع شيوخ هذه القبائل من الانضمام إلى الأمير، ولعل هذا يعد من العوامل التي لم تعمل على توحيد الجزائريين، كما انه يعد من العوامل التي ساعدت ـ سواء من بعيد أو من قريب السلطة الفرنسية أن تتوسع في البلاد. وأيضا لسبب روحاني، لأن من الشيوخ الذين ناهضوا الأمير كانوا مريدين لطريقة غير الطريقة التي كان عليها الأمير أيضا هناك من الشيوخ الذين ثاروا على الأمير بحجة أنه

---

(44) حصل الامير بموجب هذه المعاهدة على عتاد حربي من الادارة الفرنسية ساعدته في انتصاراته على القبائل الناهضة لدولته، ومنها قبيلة رياح القاطنة بنواحي تلمسان، والدوائر قرب التافنة، انتصر عليهم في جويلية 1834، للمزيد من المعلومات راجع: **تحفة الزائر**، للأمير محمد بن عبد القادر، المرجع السابق، ص. 136.

تصالح مع الفرنسيين (الكفار) في الوقت الذي كان فيه من الواجب ان يجاهد في سبيل الله، مثلما وقع مع الشيخ الحاج موسى بن حسن على الطريقة الشاذلية الذي أعلن الجهاد في سبيل الله، ضد الفرنسيين، وطلب من الأمير القيام بذلك واعلان الطاعة له[45]. ولتعلق بعض القبائل بالنظام العثماني مثل الدوائر والزمالة.

وقام الأمير بحركة ديلوماسية بأن بعث رسولا إلى أحمد باي حاكم تونس مرفوقا بهدية معتبرة، وعاد هذا الرسول ممنونا، الشيء الذي عبر عن التجاوب والاستعداد للتعاون[46].

ويكون الأمير برهن بهذا العمل على بعد نظره وقوة ايمانه في تكوين دولة معترفا بها خارج حدود الجزائر، ويكون أيضا قام بهذه الحركة حتى يضيق الخناق على الحاج أحمد باي الذي كان يشكل خطرا ثالثا بعد خطر الفرنسيين والقبائل، خاصة وانه كان على خلاف مع النظام الحاكم في تونس.

في هذا الوقت الذي انكب فيه الأمير على اعداء دولته، والصمود بها إلى مصاف الدول الأخرى، عن طريق تقوية الصف بين القبائل، والتقرب إلى بعض الدول وعقد علاقات متينة معها، وكذلك ببعض الشركات، التي كانت تتشكل من

(45) يعرف بأبي حمار لادمانه على ركوب الحمار، أثرت دعواه في الكثير من الجزائريين، منهم ولاد نايل، فكون منهم قوة وزحف بهم على المدية، فرفض الأمير النزول عند رغبته، بحجة انه ملتزم بمعاهدة مع الفرنسيين، من جهة، ومبايع بصفة شرعية، من جهة ثانية. وانتهى الأمر بينهما بانتصار الأمير وتعيين محمد البركاني خليفة للأمير على المدية. راجع: **تحفة الزائر**، ج 1، ص ص. 144-146. وانظر كذلك ما دار بين بعض الشيوخ القاطنين بالمدية والحاكم العام، وبين هذا الأخير ووزير الحربية، حول حركة الحاج موسى في

ESQUER, G., Correspondance du général Drouet d'Erlon (1834-1835) HONORÉ-EDOUARD, Paris, 1926, pp 308-309, 406-419.

(46) اسم هذا الرسول محمد الصغير، خليفة بسكرة، رفقة محمد بن كانون، وكانت الهدية عبارة عن سيف مرصع بالجواهر، خيول عليها سروج ذهبية، وآلة شاي من ذهب. وعاد الوفد محملا بهدايا. للمزيد راجع: **تحفة الزائر**، ج 1 ص 139.

تجار يهود وانجليز، والتي اتفقت مع الأمير أن تزوده بالأسلحة ومنتوجات صناعية، وزراعية كالقهوة والسكر والشاي والتوابل مقابل القمح والشعير والجلود والزيوت الخ.[47]. في هذا الوقت عين تريزل (TRIZEL) [48]. مكان ديمشال. ويعني هذا التعيين ـ في نظر فرنسا ـ تجديد القتال، وضرورة السيطرة على المنطقة، وهو ما كانت تنشده الغرفة التجارية الفرنسية، التي تخوفت من تدهور مصالحها التجارية أمام تزايد النفوذ الانجليزي.

حمّلت السلطة الفرنسية الأمير مسؤولية الخرق لبنود معاهدة ديمشال باستيلائه على المدية حين انتصر على الحاج موسى (أبي حمار) والمتاجرة مع الانجليز. فتجدد القتال بين الطرفين، وحقق الأمير انتصارا عظيما على القوات الفرنسية بقيادة تريزل في جويلية 1836 في مكان حملت المعركة اسمه وهو المقطع [49]. ثم أمر خلفاءه أن يضايقوا الوجود الفرنسي حيثما وجد، فوقعت هجومات من طرف هؤلاء على الجزائر ووهران.

وكان لهذا الانتصار صدى واسع، على الصعيدين الداخلي والخارجي؛ فعلى الصعيد الداخلي باركت الكثير من القبائل هذا الانتصار وانضمت إلى قوة الأمير[50]. بينما حدث العكس على الصعيد الخارجي، حيث استقال تريزل من منصبه كقائد

---

(47) اتخذت هذه الشركة جبل طارق مقرا لها، والسفن البريطانية وسيلة لنقل البضائع، راجع: اسماعيل العربي، **العلاقات الدبلوماسية الجزائرية في عهد الأمير عبد القادر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1982، ص ص. 52ـ53.

(48) حسبما يفهم من سياسة السلطة الفرنسية انها تشككت في نوايا ديمشال، وانه سيعتنق الاسلام، لهذا عزلته، وكان لضغط البرجوازية التجارية دور كبير في عزله.

(49) للمزيد من المعلومات راجع: **تحفة الزائر**، ج1، المرجع السابق، ص ص. 151ـ153.

(50) وحسبما جاء في رسالة أحد الموالين للفرنسيين، الى الحاكم العام بتاريخ 1835/7/12، فانه على الرغم من هذا الانتصار فان قبائل الزمالة والدوائر قد أعلنت انضمامها إلى الفرنسيين، انظر:
ESQUER, G., *Correspondance*, *DROUET d'ERLON*., pp. 527--528.

على منطقة وهران، وعين دارلانج (Delaronge) خلفا له، واستبدل دروي درلان بكلوزال الذي وصل الجزائر بصفته الحاكم العام، في 10 أوت 1835. وبوصوله تبدأ مرحلة حاسمة في تاريخ الجزائر خلال العهد الفرنسي.

هذا عن حالة الغرب، وما كان عليه الأمير من قوة، أما عن الوسط فيمكن عرض الحالة بها باختصار على الوجه التالي: كما قلنا أمر الأمير خلفاءه أن يشددوا الهجوم على الفرنسيين في الجزائر العاصمة ومليانة. ومن جهة أخرى التزمت الكثير من القبائل ومنهم الخشنة، الثورة ضد الفرنسيين. الا ان بمجموعات أخرى من السكان أعلنت ولاءها الى الادارة الفرنسية، مثلما وقع من بعض الشيوخ بالمدية الذين بعثوا إلى الحاكم العام يشعرونه بحركة الحاج موسى ضد الادارة[51].

وبناء على ما جاء في تقرير الحاكم العام إلى وزير الحربية بتاريخ 1835/4/24 من أن معارك شديدة مزقت قوة القبائل المنتشرة بجرجرة بين قبائل عمراوى ويسر وبين قبائل أخرى حيث يرابط الشيخ ابن زعمون[52].

---

(51) رسالة من شيوخ المدية إلى الحاكم العام بتاريخ 1835/2/24. انظر:
ESQUER, G., *Correspondance du général DROUET d'ERLON*., pp. 308--309.
وسبق للحاكم العام أن بعث إلى شيوخ وسكان المدية رسالة بتاريخ 1834/11/17 يطلب منهم تقديم شيخ منهم ليعين قائدا عليهم، ويؤكد لهم بأنه ليس له أدنى اعتراف بأحمد باي ولا بالأمير. وحاول الحاكم العام في هذه الرسالة ان يحرض سكان هذه المنطقة ضد هذين الزعيمين. بحجة انهما لا يأتيان الا لانتزاع الضرائب، خلاف فرنسا التي تعمل على ازدهار التجارة بهذه المنطقة. ثم بعث رسالة مفتوحة إلى كافة سكان وشيوخ الوسط الجزائري يشعرهم فيها بأنه عين المقدم مراي مونج MAREY MONGE آغا على العرب ابتداء من 1834/11/18، على منطقة الوسط، وطلب من سكان المدية، شرشال، القليعة، فليسة، قبيلة بني خليل، الخشنة، والخشوط، الامتثال الى هذا الآغا الفرنسي الجديد، راجع: نفس المصدر، ص ص. 115،114، 164-163.

(52) نفس المصدر، ص. 431. وقد سبق الحديث عن ابن زعمون، ولا ندري ان كانت لابن زعمون علاقات بالأمير أو بأحمد باي.

وفيما يخص الجنوب هناك شخصان ظلا يراسلان الحاكم العام يحرضانه على احتلال مدينة قسنطينة والقضاء على قوة أحمد باي وهما: علي بن محمد بن جلاب، الذي على مايبدو ان الادارة الفرنسية تكون أغرته بوعود، وعدته مرة بالسلطان، ومرة أخرى بالأمير، على التوارق، ونستخلص ذلك من الرسائل بينه وبين الحاكم العام، والذي كان في واحدة منها يطمئن على صحة الحاكم العام ويستنجد به من خطر أحمد باي الذي توقع هجوما منه بواسطة شيخ العرب ابن قانة، ويرجوه أن يعجل بالهجوم على مدينة قسنطينة[53].

أما الشخص الثاني فهو فرحات بن سعيد الذي ظل يكتب باستمرار إلى الحاكم العام يدعوه الى احتلال مدينة قسنطينة، ومما جاء في أحد رسائله إلى الحاكم العام بتاريخ 1835/6/10، أين وعود الادارة الفرنسية لاحتلال مدينة قسنطينة، لماذا هذا التأخر، وان الوقت حان للانتقام من الحاج أحمد باي[54].

---

(53) **نفس المصدر**، رسالة بتاريخ 1835/4/5، ص ص. 404ـ405. وقد رد عليه الحاكم العام بتاريخ 1835/4/26، يطمئنه بأن التأخر عن الهجوم على قسنطينة انما سببه عدم ملاءمة الظروف، وانه في انتظار انسلاخ بعض القبائل عن صف أحمد باي مثلما فعل قاسم بن يعقوب الذي هو على رأس 40 دوارا، بالقرب من سيدي دمدن (قد تكون بلدية بسباس حاليا) **نفس المصدر**، ص. 433.

(54) **نفس المصدر**، ص. 579. والملاحظ ان فرحات بن سعيد ظل يحرض الادارة الفرنسية للهجوم على قسنطينة، منذ عهد برتهزن، **نفس المصدر**، ص. 97. وقد رد عليه الحاكم العام يوم 1835/6/12، وشكر اخلاصه، وقال له ان الظروف لم تسمح بعد للهجوم على قسنطينة، بسبب انشغالاته بالأعمال القائمة في سهول متيجة وعنابة، **نفس المصدر**، ص ص. 479ـ480

ويؤكد فوارول في تقريره المؤرخ في 1834/9/20، ان فرحات ظل يراسل الحاكم العام من أجل القضاء على أحمد باي، **نفس المصدر**، ص ص. 553ـ554.

وعلى ما يبدو ان عدم استعداد الادارة الفرنسية لا يعود إلى الانشغالات مثلما قال الحاكم العام، انما يعود الى تخوفها من قوة أحمد باي من جهة، والى هجومات السكان خاصة في ضواحي العاصمة، من جهة ثانية. والى انها كانت تنتظر انفصال بعض القبائل عن صف أحمد باي، من جهة ثالثة. ولادراكه ان القوات الفرنسية خاصة المتمركزة في عنابة، في تضعضع، من جهة رابعة. ويستخلص هذا من تقرير قائد هذه الناحية، مونك ديزو، بتاريخ 1834/9/27، والذي وصف فيه حالة الجيش وقال بان قوته انخفضت الى 1700، وان 1100 مرضى، وان 100 انتقلوا إلى العاصمة، راجع: **نفس المصدر**، ص ص. 14ـ15.

أحمد باي الذي عقد العزم خلال هذه الفترة على تقوية صفه استعدادا لمحاربة الفرنسيين ومن والاهم. ويستنتج من تقرير بعثه الحاكم العام بتاريخ 1834/10/3، أن أحمد باي توجه الى ولاد الدرعان قرب عنابة وقتل منهم 50 نفرا عقابا لهم لعدم صمودهم ضد الفرنسيين. ويستخلص من هذا التقرير أيضا ان قوة الجيش الفرنسي في عنابة مهتزة ، وان الادارة الفرنسية أرادت حمايتها بتوكيل مراكز الحراسة الأمامية الى القبائل الموالية لها، وانها ستعمل على حماية القبائل التي أعلنت ولاءها إلى الفرنسيين، لأن ذلك أكثر من خدمة لصالح فرنسا. ولعل هذا من أكبر العوامل التي دفعت الادارة الفرنسية إلى القيام بهجوم على جيش أحمد باي بقيادة ابن عيسى يوم 1834/11/20 المتركزة في وطن رجانة، وانتهت هذه المعركة بهزيمة ابن عيسى(55).

ولم تدع الادارة الفرنسية فرصة هذا الانتصار دون أن تروج لها وتستغلها كعامل تأثير على نفوس السكان، حيث بعث الحاكم العام إلى سكان المدينة يطلعهم على هزيمة أحمد باي، وأوحى لهم بأن قوة فرنسا لا تقهر، وانها وفية وقادرة على حماية كل من يعلن خضوعه للادارة(56)

ومن الطبيعي أن تلحق الهزيمة بجيش أحمد باي لعدم وصول أية مساعدة من أية جهة ما، ولخروج الكثير من القبائل ذات المنعة ضده، والعمل تحت لواء يوسف المملوك، بالاضافة إلى المضايقات لتي كان يقوم بها كل من أعوان الأمير، وفرحات بن سعيد، ونظام الحكم في تونس، ومن ثم صار أحمد باي في مركز لا يمكنه من استمرار في المقاومة ضد الفرنسيين، والقبائل الدائمة الخروج عن طاعته.

---

(55) وحسبما جاء في تقرير الحاكم العام الى وزير الحربية بتاريخ 1834/11/17 ، أن أربعة من شيوخ قبيلة العلمة (وهي من قبائل المخزن ـ اصطناعية ـ تتواجد بضواحي زيغود يوسف حاليا)، جاءوا إلى عنابة واشتكوا من جور أحمد باي، فجهز مونك ديزر جيشا قاده بنفسه، وبمساعدة يوسف المملوك، وبعض الشيوخ الموالين الى الفرنسيين، تمكن من قوات أحمد باي، للمزيد راجع : نفس المصدر، ص ص. 18ـ19، 156ـ160.

(56) نفس المصدر، ص ص. 162ـ163.

وحتى الباب العالي عندما تيقن أنه لا يمكن استرجاع الجزائر بالطرق الدبلوماسية، خاصة بعد أن فشلت مساعي كل من رشيد باي ونامق باي في كل من باريس ولندن، بعد ذلك قام بمحاولة جريئة لاسترداد الجزائر، أو على الأقل لمنع فرنسا من التوسع في بلاد المغرب، فأرسلت حملة إلى طرابلس الغرب، وصلت يوم 1835/5/26، تمكنت من القضاء على الخلاف القائم هناك، وألحقت حكم الولاية بالباب العالي مباشرة وحاولت أن تحمي تونس من احتلال فرنسي. ويفهم من هذا العمل انها أرادت التقرب من الأحداث الجارية بالجزائر، وتقديم المساعدات للحاج أحمد باي. وهو الشيء الذي تخوفت منه فرنسا، فضغطت على الباب العالي دبلوماسيا وعسكريا أن يبتعد عن المياه الاقليمية التونسية، ونجحت الحكومة الفرنسية في ابعاد الاسطول العثماني[57].

ومن جهة أخرى كان أحمد باي دائم الاتصال بالباب العالي الذي ما كان منه الا اسداء النصح بالتزام الطاعة والصمود والصبر[58]. والظاهر أن السلطان زعزعت ثقته في أحمد باي، نتيجة أقوال اشاعها باي تونس وصفه من خلالها بالداعي للنزعة الانفصالية عن السلطنة، فأرسل السلطان أحد الشخصيات ليتأكد من صحة ذلك، وليحث الجزائريين على التزام الطاعة للسلطان[59]. وبعد إلحاح

---

(57) راجع: كوران، ص ص. 59ـ62. وقد كتب الجنرال رابتال (RAPATEL) الى وزير الحربية في 1885/12/1، يخبره ان معلومات من تونس تؤكد قدوم اسطول تركي (22 سفينة و 6000 محارب) قصد احداث تغيير في نظام الحكم بتونس، على أن يقوم باي قسنطينة بالهجوم برا على تونس، ثم ينصب حاكما على تونس، وان هذه الخطة حيكت خيوطها من طرف سفير تركيا بباريس وحمدان خوجة، انظر: ESQUER, G., *Correspondance du général CLAUZEL*, T1, (1835--1837), LAROSE, Paris, 1948, p. 368.

(58) **مذكرات الحاج أحمد باي**، ص ص. 30ـ31.

(59) كانت هذه الشخصية هي كامل باي، جاء ليتأكد من مزاعم مصطفى باي القائلة بأن باي قسنطينة شق عصا الطاعة وتلقب بالباشا وضرب النقود باسمه، راجع: **نفس المصدر**، ص. 32. وكذلك كوران ص ص 60ـ61. ومن الغرابة في شيء، أنه بدلا من ان تصل أحمد باي أسلحة، جاءته رسالة مرفوقة بجرز، ليحارب به الفرنسيين انظر ملحق رقم 21.

من أحمد باي وأعيان المدينة وتأكد الباب العالي من إخلاص أحمد باي في الطاعة والجهاد، وأن السلطة الفرنسية عاقدة العزم على احتلال المدينة، بعث السلطان إلى أحمد باي قائلا: «ونخبركم بأننا لن نبخل عليكم بمعونتنا، وسنرسل إليكم عددا كافيا من الجنود والمدافع ومن المختصين في المدفعية»[60]. وبالفعل أرسل السلطان قوة حربية بلغت 150 من المختصين في المدفعية، و12 مدفعا، وما يتبع من عتاد على متن أربع سفن. ولم يسمح باي تونس بانزال الجنود الأتراك على أرض تونس باستثناء المدافع، التي وجدها غنيمة هامة دون عناء، وكان عُذر حاكم تونس في هذا الاجراء، سواء لأحمد باي، أو لقائد النجدة، ان في ذلك مصلحة للبلاد، اقتضتها الحكمة، لأن وحدات من الاسطول الفرنسي تقفت النجدة التركية، وانها لا تتأخر في مهاجمة المدينة في حالة انزال القوات التركية[61]. والحقيقة ان اهدافا أخرى دفعت إلى هذا العمل، منها: حتى يبعد الخطر التركي عن الأسرة الحسينية تحسبا لما يقع لتونس بعامة، مثلما وقع للأسرة القرامنلية بليبيا، ورغبة منه في اضعاف قوة الحاج أحمد باي. ومن يدري انه كان يطمح في ضم الشرق الجزائري.

ويتساءل الباحث عما إذا كان سبق لحمدان أن سعى لدى الحكومة الفرنسية، لصالح أحمد باي، مثلما تعهد به. قد يكون قام بذلك شفهيا، أو كتابيا، لكن تلك المحاولات لا تزال بدور المحفوظات مخفية. أو أنه وجد الجو غير مناسب لإثارة قضيته لدى الحكومة الفرنسية، فأثارها لدى رجال الباب العالي ـ كما سنبين هذا في حينه ـ وان الاشارة الوحيدة التي دلتنا على اهتمام حمدان بأحمد باي وهو في باريس، جاءت في تقرير الجنرال رابتال (RAPATEL) الى وزير الحربية بتاريخ 1834/2/22، حيث ذكر ان حمدان راسل أعيان الجزائر وأخبرهم، ان الحكومة

(60) كوران، ص ص. 60-61.

(61) مذكرات أحمد باي، ص. 61. وفرض على هذه القوة الحجر الصحي، راجع تعليق رقم 37، الفصل الأول.

الفرنسية عقدت العزم على الجلاء من الجزائر، وتسليمها إلى أحمد باي[62]. ولا ندري على أي أساس ـ اذا سلمنا جدلا بصحة ما قاله رابتال ـ ذهب حمدان إلى هذا، أتكون الحكومة الفرنسية وعدته بذلك. ان المادة التي بين أيدينا لا تشيرلا من قريب ولا من بعيد«ان الحكومة قد نوهت بنيتها في أن تسلم الجزائر لأحمد باي، انما الذي بينته العكس من ذلك، وهو ضرورة احتلال الشرق والقضاء على أحمد باي ومن والاه.

علاقات حمدان برجال الدولة العثمانية:

لم يحصر حمدان نشاطه في دائرة الوسط الفرنسي فقط بل وسعه إلى حظيرة الدولة العثمانية ، بعامة، والى سفارتها بوجه خاص. فقد وجه عددا من الرسائل الى اسطنبول يدعوهم إلى نصرة الجزائريين، واسترجاع الجزائر، وقد ساهمت هذه الرسائل في توجيه السياسة العثمانية. ولا يستبعد أن يكون للرسالة التي بعثها إلى السلطان بتاريخ 16 أوت 1833، اثر كبير في ارسال مصطفى رشيد باي سفيرا في باريس 3 جوان 1834 للتفاوض مع الحكومة الفرنسية من أجل استرداد الجزائر. وبوصول هذا السفير إلى باريس في سبتمبر، تكونت علاقات متينة بينه وبين حمدان، وبذلك تكون جبهة المطالبة بالجزائر قد قويت، لأن حمدان وجد في السفير سندا قويا، فكثّف نشاطه، ورفع عددا من العرائض الى الحكومة الفرنسية يطالب خلالها رفع المظالم عن الشعب الجزائري ليعيش في حرية. كما انه زود السفير بمعلومات هامة، عن حالة الجزائر، وظفها السفير التركي في اتصالاته ومطالبته باسترجاع الجزائر. ولما أدرك السفير التركي عزم الحكومة الفرنسية على الاحتفاظ بالجزائر عاد إلى بلاده، الا انه عاد بمعلومات هامة زوده اياها حمدان، والتي على ضوئها تكونت وجهات نظر جديدة لدى رجال الدولة العثمانية.

---

(62) ESQUER, G., *Correspondance du général VOIROL*, T4, (1833--1834), Paris, 1924, p. 424.

واتضحت وجهات النظر تلك ، أكثر، من مراسلات حمدان الى اسطنبول، منها الرسالة التي سبق وان بعثها إلى صديقه محمود بن أمين السكة في جوان 1834، يحثه فيها على التدخل لدى السلطان، ليعمل على انقاذ الجزائر، وليؤكد له ان وعود الحكومة لا أساس لها من الصحة. ومما جاء فيها: «... عرفوا سلطاننا ... استعطفوا لنا شفقته... انا قد جاهدت بقلمي، والرعايا بسيوفهم، فجاهدوا بألسنتكم... الغياث الغياث. الفرنسيس لا يخرج من الجزائر الا بقوة سلطانية، ومواعيده لا أصل لها...»[63].

بالاضافة إلى رسائل كثيرة، دلت على بعد نظره، ومدى اهتماماته بالقضية الجزائرية، قيم من خلالها الوضع في الجزائر، وفضح فيها السياسة الفرنسية، وكشف نواياها الحقيقية تجاه الجزائر والجزائريين، وضمنها مسائل وانطباعات، وتنبؤات. منها التي بعثها إلى مصطفى رشيد باي في جوان 1835، والتي قال له فيها: ان الخطر الفرنسي لن يتوقف عند حدود الجزائر، بل من المؤكد ان يمتد إلى تونس والمغرب ويتم احتلالها أسوة بالجزائر[64]. وهو الذي حدث بالفعل.

والدارس لرسائل حمدان الكثيرة التي وجهها إلى شخصيات تركية منها إلى نوري باي السفير التركي بلندن، تتأكد له أكثر من حقيقة، وبخاصة ان حمدان في هذه الفترة لم يكن شغله الشاغل القضية الجزائرية فحسب، بل كان اهتمامه المغرب العربي بخاصة، والعالم الاسلامي ، بوجه عام. وهذا يدل على أن حمدان كان قوي الايمان بدينه، متطورا بفكره[65]. والأدل على ذلك أيضا، انه لا يدع فرصة تمر

(63) راجع تعليق الفصل الأول، وانظر ملحق رقم 11.

(64) *B.A.*, 37510 D, carton 153--62

(65) من هذه الرسائل، المحفوظة بأرشيف وزارة الخارجية باسطنبول، ونورد منها:

- إلى نوري باي بتاريخ صفر 1251 هـ - 1835 م، تتعلق بأحوال الجزائريين في فرنسا.
37510 H, carton 153--62
- إلى نوري باي بتاريخ 14 صفر 1251 هـ - 1834، خاصة بأحوال الجزائر وتونس.
37510 C, carton 153--62
- إلى نوري باي بتاريخ 27 صفر 1251 هـ - 1835 م، خاصة بأحوال الجزائر وتونس.
37510 G, carton 153--62
- إلى نوري باي بتاريخ 3 رجب 1251 هـ - 1836 م. 37510 E, carton 153--62

دون أن يكون له موقف فيها منها: انه حين ضم الباب العالي طرابلس الى السلطة المركزية، اتصل بالسفير التركي وبارك هذا العمل، وتمنى أن يقدم الباب العالي مساعدات مستعجلة إلى الحاج أحمد باي[66]. وقد أكد الجنرال رابتال إلى الوزير ان حمدان وضع خطة بمساعدة السفير التركي لضم تونس، على غرار طرابلس[67].

وبذلك يكون حمدان قد عاش أحداث القضية الجزائرية عن قرب وعن بعد من السفارة التركية.

مراسلات حمدان من فرنسا :

تمثل مراسلات حمدان محور نشاطه، وهي كثيرة، وصدق حمدان لما قال: «ولو ان الكفار يعلمون شطر ما فعلت من تحريرات وتأليف ومراسلات مع الأجناس وغير ذلك، مما لا أقدر على تحريره،كل ذلك لأجل انقاذ البلاد لأكلوا لحمي وأوقعوا بي، والحمد لله سترني الله»[68].

وكانت هذه الرسائل متنوعة، بعثها إلى:

أ ـ السلطة الفرنسية.

ب ـ السلطة التركية.

ج ـ أشخاص آخرين.

أ ـ فيما يخص مراسلاته إلى السلطة الفرنسية،فباستثناء المذكرة التي بعثها إلى اللجنة الافريقية، كانت بداية مراسلاته ـ حسبما توفر من مادة ـ تلك التي بعثها الى

---

(66) 37510 F, carton 153/62. رسالة بتاريخ 1 ربيع الأول 1251 هـ ـ 1835 م.

(67) ESQUER, G., *Correspondance du général GLAUZEL*, T1, p. 368.

(68) من رسالته إلى صديقه محمود بن أمين السكة، ا السالفة الذكر، الفصل الأول.

المقرر لدى مجلس الدولة ، في ماي 1833. والرسالة الثانية عبارة عن تقرير هام
الى وزير الحربية بتاريخ 3 جوان 1833 وتضمنت 18 شكاية عدد فيها مظالم الا
الفرنسية، ووضح فيها مطالب الأمة الجزائرية. وقد أدرجها في كتابه المرآة. و
الى الملك لويس فيليب بتاريخ 10 جويلية 1833 ، عرف بشخصه والدور
لعبه لصالح فرنسا، وذكره بمحتوى العريضة التي رفعها إلى رئيس مجلس الدو
بالإضافة الى مجموعة من الرسائل الأخرى التي رفعها إلى الوزير وإلى الملك، و
تعد من بين المصادر الأساسية، لدراسة الفترة الأخيرة من العهد العثماني والف
الأولى من الاحتلال الفرنسي. وله رسالة بعثها إلى فوارول (VOIROL) بتاريخ
28 ديسمبر 1833 ينوه ببعض الأعمال التي قام بها لصالح الجزائريين، ويخبره بأ
ألف كتابا تحدث فيه عن وضعية الجزائر، وان ابنه الحاج حسن سيسلم له نسخة من
كما يرجوه أن يرسل له ما يثبت قيامه برحلة إلى أحمد باي، مفوضا من طرف
دوروفيكو، الذي مات أخيرا ، الأمر الذي حال دون اثبات صحة ذلك أما
الحكومة (69). بعث أيضا إلى برتهزن رسالة بتاريخ 10 جانفي 1834 ينوه بسماحت
العادلة ، ويعده بأنه سيفرد له حديثا في مؤلفه الثاني (70). بالإضافة إلى جواب على
رد في مجلة (L'observateur des tribunaux T IV).

ب ـ وفيما يتصل بمراسلاته للسلطة التركية. نذكر من أهمها تلك التي بعثها إلى
السلطان محمود خان الثاني بتاريخ 16 أوت 1833 والتي تشرف الاستاذ التميمي
بترجمتها من اللغة التركية ونشرها في أطروحته بحوث ووثائق (71). وهي على غاية من
الأهمية، من حيث الجرأة في الطرح والدقة في المعالجة، لقضية شائكة، اذ حمله
مسؤولية ضياع الجزائر، وانه سوف يسأل أمام الله والناس، عن ذلك، حيث قال:

---

(69) ESQUER, G., *Correspondance du général VOIROL* T4, pp. 341-344.
(70) أجرون، روبير، الأصالة، المرجع السابق، ص. 102.
(71) التميمي، بحوث ووثائق، ص ص. 168_173.

٧

وانا يوم القيامة ستتوجه إلى العالي جل جلاله قائلين: ان سلطاننا قد تخلى عنا بحيث ان ذلك لم يكن قد ساعدنا. الا ان السلطان سيجيب: لقد كنت مشغولا بمشاكل أخرى، ولكن الله سوف لن يقبل منه هذا الجواب». وتفهم من هذه الرسالة أمور كثيرة، انه خاطبه باسم الشعب الجزائري، ووصف مأساة الجزائريين بأنها لم تعرف مثيلا لها منذ سبعة آلاف سنة، ورجاه أن يعين باشا حاكما للجزائر، واقترح الحاج أحمد باي لتولي هذا المنصب، وقدم تصوراً لنظام الحكم وكيف يتعامل مع بلدان المغرب العربي، وبذلك يتشكل معقل قوة. ومن ثم يسهل استرجاع الجزائر.

ومن باب الربط قد سبق له أن تقدم باقتراح إلى الحكومة الفرنسية باقتراح يقضي بتعيين أمير مسلم، يكون حاكما على البلاد[٦٤]

والرسالة الثانية التي نوردها من بين الرسائل الهامة، وهي التي بعثها الى صديقه محمود بن أمين السكة (راجع الفصل الرابع). قيم فيها ما يدور من أقوال في الصحف والكواليس، ومفادها (أي ما يدور) لا مصلحة لفرنسا في بقائها بالجزائر بسبب الاختلاف في اللغة والدين والعادات والتقاليد، والنفقات الباهظة، مع غموض المستقبل. الا ان رأي حمدان: لا يمكن استرجاع الجزائر الا بالقوة. ثم طرح قضية وهي قوله: «البلاد (الجزائر) للعثمانلي». لا يحق لأي كان أن يمتلكها. وقال عن أحمد بوضربة (اللعين ـ الكافر) بأنه ساعد الفرنسيين على البقاء في الجزائر، حتى لا يعود اليها الأتراك. ومن جملة ما فعل بوضربة (المرتد) أنه أظهر الأمير عبد القادر وحببه للفرنسيين وكتب إليه بوضربة كي يتفاوض مع الفرنسيين لتسليم البلاد اليه فتم الصلح بنه وبين الفرنسيين (لعله يقصد معاهدة ديمشال). وتعجب حمدان من بوضربة لما نوه بالأمير عبد القادر وناداه بأمير المؤمنين.

---

(٦٤) سبق الحديث عن هذا، راجع الفصل الثاني.

جـ ـ وكانت لحمدان مراسلات أخرى تتعلق بأمور غير سياسية، منها التي بعثها إلى ابراهيم آغا(73)، الساكن بالاسكندرية، يصف له الحالة السيئة التي آل إليها فتعذر عليه تسديد ال 5000 سلطاني دين عليه. وراسل حمدان ابنه الحاج حسن، وغيره من أعيان الجزائر،وقد اتبع في معظم مراسلاته الى الجزائر طريقة سرية الشفرة(74). كما راسل أخاه أحمد بن عثمان القاطن بالقاهرة عرفه بأحداث القضية الجزائرية(75). ولا ندري أكان لأحمد بن عثمان دور في القضية الجزائرية أم لا؟.

هكذا يبدو حمدان على الرغم من أنه في عاصمة أعدائه ، وانه في سن الشيخوخة على الرغم من ذلك انكب يدافع عن القضية الجزائرية.

---

(73) لا ندري أكان المقصود هو ابراهيم آغا صهر الداي حسين الذي واجه الغزو الفرنسي ام هو شخص آخر. وكانت رسالة حمدان هذه باللغة التركية بتاريخ محرم 1249 هـ ـ جوان 1833 م. انظر ملحق رقم 22.
A.O.M., IHI, dossier Hamdan.

(74) PELLISSIER, R., T2., p. 101.

(75) TEMIMI, A., *Le BEYLIK de Constantine et Hadj*.. p. 160.

الفصل الخامس

حمدان خوجة وتطور القضية الجزائرية

(1836 - 1840)

حمدان خوجة وتطور القضية الجزائرية (1836 ـ 1840)

بعد أن سبق لحمدان أن عاش القضية الجزائرية عن قرب وعن بعد، سواء من رجال السفارة التركية، أو من رجال الحكومة الفرنسية. وبعد أن تأكد له أنه لا أمل ، من وعود فرنسا الواهية، من استرجاع الجزائر إلى الباب العالي. وبعد أن عرف ان السلطات القضائية سواء التي في الجزائر أو التي في باريس، قد رفضت مطالبه الداعية إلى استرجاع أملاكه وأملاك أقاربه، ولتعويض ما هدمته الادارة الفرنسية، من مبان بمدينة العاصمة قصد اعدادها لادراة البلاد، وكذا ما كان يطالب به من نفقات رحلتيه إلى قسنطينة. بالإضافة إلى الرقابة التي فرضت على نشاطه السياسي في باريس. وعلى أفراد أسرته بالجزائر[1]. علاوة على ضيق العيش

---

(1) بعث الحاكم العام كلوزال من باريس الى الجنرال رابتال رسالة بتاريخ 17 ماي 1836 قال له فيها: ان مراسلات حمدان إلى بوضربة، تمر بين يديك كما هو الشأن بالنسبة الي. وهي أحسن وسيلة. ولنا أن نحتفظ بالأصل من كل رسالة تتضمن معلومات هامة. ونترك الرسائل التي لا تحتوي على معلومات ذات أهمية تصل الى أصحابها. واتهم كلوزال حمدان بأن حمله مسؤولية العمل بمؤازرة جناح المعارضة داخل البرلمان الفرنسي، وذلك بهدف مغالطة الرأي العام الفرنسي، وهو الأسلوب الذي يستخدمه الكثير من الفرنسيين وفي مقدمتهم لسباسكيه (lespasquier) من أجل أن يعين حاكما على الجزائر، انظر

ESQUER, G., *Correspondance du général CHAUZEL*, T1, p. 673.

وقد رد عليه الجنرال رابتال من الجزائر، يوم 31 ماي 1836 قائلا: اني عملت باشارتك فيما يخص مراسلات حمدان وبوضربة. وان كان لحد الآن منذ أن سافرت لم تصل منها أية رسالة. راجع. نفس المصدر، ص 729.

وتراكم الديون عليه، حيث قال في هذا الصدد: انه في آخر هذه السنة سنفطر
مدّ يدٍ التسول... وعليه وجب علي النزوح ... والالتجاء إلى بلد آخر،اذ لم يبق لي
استجداء لقمة العيش[2].

دفعت هذه العوامل حمدان إلى الرحيل، لكن إلى أين؟ إلى الجزائر، التي عاد
إليها كلوزال حاكما عاما، وهو عدوه اللدود. في الحقيقة لم يجد أحسن من اسطنبول
لِمَ لا وهي مركز الخلافة الاسلامية، وقبلة أنظار المسلمين. ومن أقوى الاحتمالات أن
للسفير التركي[3] أثرا كبيرا في تشجيع حمدان للتوجه إلى عاصمة الدولة العثمانية

هذا السفير الذي يكون تفطن إلى وزن الشخصيات المغربية فأوحى اليهم
بالرحيل إلى عاصمة الدولة العثمانية، حتى يمكن الاستفادة من خبرتهم العالية، سيما
وانها في حاجة ماسّة خلال هذا الظرف إلى مثل هذه العناصر[4]، كي ينيروا رجال
الدولة العثمانية ويزودوهم بمعلومات تتعلق بالظروف الدولية عامة وبظروف ولايات
المغرب بوجه خاص. زيادة على هذا،من غير المستبعد أن يكون رشيد باي شجع هذه
العناصر على الرحيل تقديرا لهم على ما بذلوه من جهد لصالح القضية الجزائرية، من

---

(2) حمدان إلى ملك فرنسا بتاريخ 1835/6/19. انظر ملحق 4. وقال في موضع آخر يخاطب بوضربة: «اللهم ظلم الترك ولا عدل الفرنسيس. وأنا كما ترو (كذا) الأمور على مشبكة واليهود مسلطين علي، وأنا في آخر عمري ما نقدر نحمل فوق ما حملت، نمشي وانهي رأسي ونرتاح من اليهود والنصارى». انظر ملحق 5 ويلاحظ على حمدان في هذه الرسالة قد غير رأيه في بوضربة اذ قال له: «واني عرفت حقيقتك وكنت مغلوط فيك، الله يجعلك تسامحني». وانا نستبعد أن يكون هذا مجاملة من حمدان، انما اقتناعا منه في أن بوضربة كان محقا في مواقف كثيرة تجاه الاحتلال الفرنسي.

(3) هو مصطفى رشيد باي.

(4) تكون شخصيات مغربية أخرى هاجرت الى اسطنبول، ومنها حسونة الدغيس الذي لم يعد الى طرابلس على الرغم من انه تم الحاقها بعضيرة الباب العالي. وان عوامل – لم تعرف بعد – دفعته الى الهجرة إلى اسطنبول، ويشتغل محررا للصفحة الفرنسية في «تقويم وقايع». وصادفت هذه الهجرة اهتمام السلطنة العثمانية – في هذا الظرف – بتطوير الصحافة. من ذلك ان استعانت بوفد من باريس قصد اجراء تربصات باسطنبول في هذا الشأن. انظر: رسالة الدغيس. الميلي. بحوث ووثائق، ص. 324.

جهة، ورأفة بهم لإنقاذهم من الإفلاس ومتابعات الشرطة الباريسية لهم، من جهة أخرى.

رحل حمدان يوم 1836/5/28 [د]. وفي اسطنبول خصص له منزل، وأجرى له مرتب شهري قدره 1000 قرش [ه]. وبذلك تكون مشاكله قد تقلصت، ولم يبق ما يضايقه الا أفراد عائلته، وأمر الجزائر التي لا تزال تئن تحت نير الجور

(د) وبناء على ما قاله الحاكم العام للجنرال رابتال في رسالة له بعثها بتاريخ 1836/5/30 من باريس، اقلع حمدان من هنا قبل يوم أمس متجها الى القسطنطينة عن طريق متز وهذا بعد أن علم بأني أملك أدلة تدينه. وان ولديه سوف يسافران يوم 1836/6/5 وسوف يصلان الى مدينة الجزائر يوم الثلاثاء 1836/6/7. وان الضرورة تدعو الى القبض عليها ووضعها في السجن العسكري بتهمة المس بالأمن العام. راجع:
ESQUER, G., *Correspondance du général CHAUZEL*, T1, p. 725.

وحسبما جاء في رسالة حمدان بتاريخ 10 ربيع الثاني 1252 هـ 1836 فان الادارة الفرنسية قد ألقت القبض على الكثير من أعيان العاصمة ومنهم ابنه الحاج حسن. ونفتهم الى عنابة. انظر ملحق 23. 24 ويفهم من هذا شيئان. **الاول**: الرقابة المشددة على حمدان وعلى أفراد عائلته التي كانت موضع شك دائم من طرف السلطة الفرنسية. ولا بد أن تكون موضع شك لأننا لم نجد من بين وجوه نشاطاتها ما يدل على انها كانت في خدمة الادارة الفرنسية. **والثاني**: تخوف الحاكم العام كلوزال من أن يعمل ولدا حمدان على تحريض الجزائريين الى الثورة.

علما وان حمدان حتى إلى جوان 1834 كان يفكر في العودة الى الجزائر. لينتقل منها الى الحج برفقة أفراد أسرته. اذ قال: «فأنا لا أقيم في الجزائر، الا اذا كانت بيد الدولة العلية... ارجع الى الجزائر وأتوجه الى بيت الله». من رسالته الى صديقه محمود. انظر ملحق 11. وهذا يؤكد انه جاء إلى باريس وفي نيته العودة الى الجزائر. اذ قال يوم 1833/7/20 : « اني ملزم بالعودة الى الجزائر. وذلك لما تقتضيه مصالحي الخاصة ومصالح أولاد خالي.
راجع: Hamdan, *LE MIROIR*, pièce No. 6.

(ه) قال حمدان في رسالة الى أحمد باي بتاريخ ذي الحجة 1253 هـ - 1838 م. «وأنا العبد الحقير عندي حرمة كاملة ببركة همتكم زود (كذا) في الراتب خمسمائة قرش. فيكون عندي كل شهر ألف قرش. وساكن عند رشيد باشا في عز وكرامة». **الأرشيف العام التونسي. ملف 384**. انظر ملحق 25.

وان الرسالة هذه لم تكن بخط حمدان. وكتبها بالرمز (الشيفرة) وان رموزها حلت. ولا ندري أكانت وصلت الى صاحبها أم لا؟. ومن جهة أخرى كان السلطان أمر بصرف ما قيمته 10 آلاف قرش لحمدان بناء على رغبة الوزير الأعظم. للمزيد من المعلومات راجع : TEMIMI, A., (نقلا عن: *B.A.* خط همايون.
Le BEYLIK de Constantine, p. 268

والتعسف، ولهذا كان من ألمع وجوه نشاطه السياسي ما دار حول القضية الجزائرية عامة والحاج أحمد باي بوجه خاص.

وعلى الرغم من أن الوثائق التي بين أيدينا، والتي تتحدث عن نشاط حمدان في اسطنبول قليلة، الا انه من خلالها يمكن رسم اطار عام لذلك النشاط. فبوصول حمدان وحسونة الدغيس، ومما يدعو إلى الاحتمال أن أشخاصا آخرين استقروا أيضا باسطنبول. فبوصولهم تكون جبهة قوية قد تشكلت، وسخرت طاقتها الفكرية ومعرفتها للسياسة الأوروبية، بعامة، ودرايتها لما يجري في ولايات المغرب العربي من أحداث بوجه خاص. وبناء عليه يكون رجال الباب العالي قد استفادوا من خبراتهم ووظفوها كأحسن أداة لأي تفاوض مع الدول الأوروبية.

وفي اسطنبول كان ينظر إلى هذه الشخصيات نظرة خاصة،نظرة إلى الخبير بشؤون ولايات المغرب العربي ، بعامة، وبقضايا الجزائر، بوجه خاص. فكان يدعى حمدان لحضور الاجتماعات الرسمية يناقش أهم القضايا المتعلقة بتلك الولايات على ضوء ما في بواطن السياسة الفرنسية تجاه الجزائر من مناورات. فيزود المجتمعين بخبرته، ويدلي بوجهة نظره فيما يتصل بالسياسة التي يمكن أن يتبعها الباب العالي بازاء قضايا الساعة.

وكان ينظر إلى حمدان أيضا على انه شخصية مفكرة، تجيد اللغتين، العربية والتركية نطقا وكتابة، بجانب لغات أخرى، علاوة على انه من وجهاء الجزائر، وان والده من الشخصيات التركية التي خدمت الدولة العثمانية باخلاص. لهذا كان رجال الدولة العلية يستمعون لحمدان، ويطمئنون اليه.

وبناء على هذا يمكن القول انه من غير المستبعد أن يكون السلطان نفسه استغنى عن آراء حمدان، كما انه من أقوى الاحتمالات ان التعليمات التي كان السفراء العثمانيون يتزودون بها والمتعلقة بالجزائر كانت من تأثير هذا الأخير.

كما عهد اليه بمهام تتصل بسياسة الباب العالي ازاء القضية الجزائرية، منها ترجمة الرسائل الواردة من الجزائر، الى اللغة التركية، وكلف بالرد عليها، ونخص بالذكر رسائل الحاج أحمد باي. ونجد أكثر من دلالة تؤكد هذا، منها قول حمدان نفسه، وهو يخاطب أحمد باي: «تعلم أيها السيد أن عرض حالكم (كذا) قد ترجم وعرض على حضرة سلطنته الخاقانية وكلما (كذا) ذكرتم صار في عدا معلوماته الملوكية[7].

ومما يلفت النظر أننا لم نجد من بين وجوه نشاط حمدان وهو في اسطنبول ما يدل على أنه ألح على رجال الباب العالي بنفس الحرارة، التي الحّ بها وهو في باريس. كي يتدخلوا مباشرة لصالح القضية الجزائرية، حيث ـ وهو في باريس ـ خاطب السلطان بلهجة شديدة، وحمله مسؤولية أمام الله والناس ضياع الجزائر كما سبق وان قلنا في آخر الفصل الرابع.

يكون حمدان تبنّى سياسة الاعتدال، وفقا لعدة معطيات،لأن قدرته على تفهم مجريات الأحداث لم تحجب عنه ما كان يجري داخل وخارج الدولة العثمانية. فيكون اقتنع بضعفها أمام الحركات الانفصالية،خاصة التي قادها والي مصر، واحداث الشغب في اليونان، وفي غيرها من المناطق التي كانت دعما لقوة دولته، فضلا عن ضغوط ومراوغات الدول القوية لها، ولا سيما فرنسا، التي كثيرا ما هددت الباب العالي سياسيا، كلما حاول التدخل لصالح الجزائر.

ويمكن عد هذا الموقف، تبلورا في شخصية حمدان،وخضوعا منه للظروف التي كانت تعيشها الدولة العثمانية، والواقع لا يمكن أن يكون نشاطه بالشكل الذي كان في باريس. وذلك للاختلاف الواضح بين العاصمتين من حيث حرية الرأي،

---

(7) رسالة حمدان الى أحمد باي باللغة العربية، بتاريخ ذي القعدة 1255 هـ ـ 19 فيفري 1850 م، وقد نشرها التميمي في: **بحوث ووثائق** ص ص. 217ـ218، (نقلا عن: *B.A.* ارادة خارجية، 227، ملف رقم 2).

وحرية الأحزاب ونقدها للحكومة، وتعدد الصحافة، لأن موقع باريس استراتيجي بالنسبة للسياسة الدولية، في حين كانت اسطنبول عاصمة محافظة لا يوجد بها نشاط سياسي حر، ولا صحافة حرة، ولا أحزاب، علاوة على تتبع الشخصيات الاسلامية بالمراقبة ورصد كل نشاط، ولعل هذا من أكبر العوامل التي منعت الكثير من توجيه النقد لرجال السلطنة. وان كان بالنسبة لحمدان قد وجد حرية في التعبير عن أفكاره المتعلقة بالقضية الجزائرية.

واذا كان حمدان تبنى سياسة الاعتدال تجاه السلطان، الا أنه لم يتوقف عن بذل الجهد، والنشاط، لصالح القضايا الجزائرية بخاصة والاسلامية بوجه عام.

ونلمس هذا الجهد في أكثر من نقطة. منها فيما يتصل بالحاج أحمد باي، الذي تركناه في حديثنا يواجه جيش الاحتلال بقوانه الذاتية (راجع الفصل الرابع). وهو الآن يستعد لمواجهة حملة قوية، تتكون من فرنسيين ومن والاهم من القبائل المعادية له. بقيادة كلوزال، الذي جاء الى الجزائر ـ كما صرح هو بنفسه ـ من أجل الاحتفاظ بالجزائر واحتلالها[8].

وبمجيء كلوزال تكون السلطة الفرنسية عقدت العزم لاحتلال الجزائر، مستعملة القوة الحربية. حيث بدأت بهجوم قوي على مدينة قسنطينة، التي كانت تتزعم قوة المقاومة بالشرق الجزائري. وقد ارتبطت عملية هذا الهجوم بقضايا أخرى، ومن ثم لا يمكن دراسة أسباب وظروف ونتائج هذا الهجوم بمعزل عما كان يجري على

---

(8) ذكر كلوزال: لقد قلت منذ مدة أنه من الضرورة بمكان أن تحتفظ فرنسا بالجزائر، ولهذا جئت الى الجزائر مرة ثانية، لأني على دراية كبيرة بالنظام الذي يناسب الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي، ومن جهة أخرى فاني أؤكد انه بدون احتلال قسنطينة والسيطرة على تلمسان فان زمام الأمر في افريقيا سيفلت من أيدينا، واني أحدث كرجل حرب يعي ما يقول. لأن قسنطينة من الناحية الاستراتيجية معبر هام للشرق حتى الى تونس وتلمسان ممر هام لتدخلات المغرب. ثم قدم خطة للهجوم على مدينة قسنطينة. للمزيد راجع:
CLAUZEL, *Explication du Marichal Clauzel*, Ambroise, Dupont, Paris, 1837.

الساحة الدولية، اذ أن السلطة الفرنسية أعطت لهذا الهجوم ابعادا وطنية ودولية، بأن استعانت حتى بمن والاها من القبائل الجزائرية ذات القوة والمنعة، والتي خرجت عن صف أحمد باي، من جهة. وضربت حصارا على أحمد باي، فتدخلت بقوة لدى حاكم تونس ليعمل على منع تسرب البارود إلى باي قسنطينة، من جهة أخرى. وقد استجاب حاكم تونس، وأكد بدوره عدم وصول أية مساعدة لأحمد باي. وذهب حاكم تونس إلى أبعد من ذلك بأن طلب من فرنسا أن تزوده بجيش في حالة هجوم أحمد باي على مدينة القيروان[9]. وتكون السلطة الفرنسية استغلت ضعف وظروف حاكم تونس وحاجته لسند توسيع نفوذها بتونس، وتوظيف النظام بها كأداة قوية لإضعاف المقاومة الوطنية بالشرق الجزائري.

ولم تكتف فرنسا بالاستعانة بالقبائل وبحاكم تونس أو بالحصار ضد أحمد باي، بل جابهت تحركات الأسطول التركي الذي حاول أن يقترب من المياه الاقليمية التونسية قصد الحاقها بحضيرة الباب العالي على غرار طرابلس ـ مثلما سبق الحديث في الفصل الرابع.

وقد استخدمت السلطة الفرنسية طريقتين لإجهاض المحاولة التركية هذه، بأن ضغطت دبلوماسيا على رجال الباب العالي، وحذرتهم من أي تدخل ضد تونس، وقالت على لسان سفيرها باسطنبول، ان ذلك سيدفع فرنسا إلى احتلال كامل

---

(9) قضية البارود من القضايا التي شغلت حيزا من اهتمام السلطة الفرنسية منذ الأيام الأولى من الاحتلال اذ تدخلت أكثر من مرة لتراقب كل تحرك يؤدي الى تسرب البارود والأسلحة من تونس وطرابلس الى الجزائر وقد أرسلت سفينة لهذا الغرض يوم 1834/5/10 ألزمت حاكم تونس أن يشدد الرقابة أكثر. وأرسلت من جهتها بعضا من رجالها الى بعض النقاط في التراب التونسي، قصد الرقابة. الا ان الحقيقة ـ على ما تبدو ـ كان هدف فرنسا مزدوجا، فبجانب الرقابة، كانت تتبع حركات رجال القنصلية الانجليزية ورجال الدولة العثمانية بتونس. راجع: SERRES, pp. 133--134, 166.

وقد أكد حاكم تونس للقنصل الفرنسي في رسالة له بتاريخ ذي القعدة 1255 هـ ـ 1840 م، بأنه سيعمل على منع تسرب البارود الى الجزائر. انظر: **الأرشيف العام التونسي، ملف 384.**

للشمال الافريقي[10]. الأمر الذي دفع ببعض رجال الدولة العثمانية إلى القول في
مارس 1836: ظهر للحكومة التركية ان تتخلى عن مشاريعها الرامية إلى ضم تونس.
إلا أنه في أفريل من نفس السنة أقلع طاهر باشا يقود أسطولا حربيا متوجها إلى
طرابلس، فحاول الاقتراب من المياه الاقليمية التونسية. فما كان من فرنسا الا أن
أمرت وحدات أسطولها المتواجدة في كل من وهران بقيادة هوقون (Hogon) وفي
طولون بالتوجه الى تونس في منتصف جوان عام 1836. بحجة حماية المصالح
الأوروبية هناك[11]. لكن الحقيقة، هي أن تحمي النظام التونسي، المناصر لها، وحتى
لا تشجع السلطنة في التفكير بمساعدة الحاج أحمد باي.

وبررت الحكومة الفرنسية موقفها من نشاط الأسطول التركي، بأن بعثت إلى
الدول الأوروبية في جوان 1836 تشعرهم بدافع تدخلها في تونس، وقالت لأنه في
حالة ما اذا تمكن هذا الأسطول من تحقيق هدفه، فانه سيشكل خطرا على الاحتلال
الفرنسي، وعلى الدول الأوروبية كلها، خاصة وان الشرق الجزائري لم يخضع بعد
للسلطة الفرنسية[12].

وتكون فرنسا قد بررت موقفها بهذا الشكل أملا في أن تحصل على تأييد عام
فرنسي وأوروبي، وتسكت أي صوت معارض لها. وكان من أقوى المعارضين صوت
انجلترا، التي كانت على دراية بما يجري في تونس عن طريق قنصليتها، وعن طريق
توماس ريد (Sir Thomas Reade)[13]. وعن طريق قاعدتها بمضيق جبل
طارق.

---

(10) SERRES, P. 143

(11) نفس المصدر، ص ص. 144، 150-151.

(12) وقد لازم الأسطول الفرنسي وحدات الأسطول التركي، بقيادة طاهر باشا، الذي طمأن هوقون HAUGON بأن مهمة الأسطول التركي لا تتعدى حدود المياه الاقليمية لطرابلس. نفس المصدر، ص.ص. 151، 161.

(13) هو ربان انجليزي يعمل بوحدة من السفن التونسية، التابعة للأسطول العثماني، للمزيد من المعلومات راجع: SERRES, p. 221.

في هذا الوقت كانت الاتصالات قائمة بين باي قسنطينة والباب العالي من جهة. وبين باي تونس والباب العالي من جهة أخرى، حيث وصل إلى قسنطينة مبعوث السلطان كامل باي في أفريل 1836.

في حين كان النظام التونسي على اتصال بالسلطنة، اذ لما تولى مصطفى باي الحكم ، أرسل هدية إلى السلطان قصد الحصول على التسمية الشرعية، وان كان على ما يبدو ان الهدف من هذا العمل هو معرفة موقف السلطان من تونس عامة ونواياه من الأسرة الحسينية خاصة، وبالفعل عاد مبعوث مصطفى باي وبلغه ارتيابه في موقف السلطان نحو الباي. فما كان من هذا الأخير الا أن مال إلى فرنسا وطلب منها مقدار المساعدة التي يمكن أن تقدمها له في حالة تدخل السلطان ضده، لتغيير الحكم على غرار ما وقع في طرابلس. واستغلت كل من فرنسا وانجلترا هذه الفرصة، وتعهدتا بتقديم مساعدتيهما[14] .

وتكون فرنسا قد وظفت جملة من العوامل للزحف على قسنطينة. الا أنها عجزت في نوفمبر 1836 ولم تتمكن منها. وكان لهذا الهجوم صداه الواسع ، على مختلف الأصعدة، الداخلية والخارجية.

فعلى الصعيد الداخلي عزز أحمد باي موقفه، واتصل بشيوخ القبائل يدعوهم مناصرته وتشديد المقاومة ضد الفرنسيين[15] ، ثم اتصل بطاهر باشا المتواجد في طرابلس، والذي يكون لغرض التعريف بالوضعية، وطلب المساعدة[16] .

---

(14) نفس المصدر، ص ص. 136، 139ـ141.

(15) كان أحمد باي قد اتصل بمختلف أنحاء البلاد، وبعث بهذا الشأن حوالي 200 رسالة الى شيوخ القبائل ، للمزيد من المعلومات راجع :
MARCEL EMERIT, *l'Algérie à lépoque d'Abd-elkader*, Larose, Paris, 1951, pp. 256--262.

(16) على الرغم من الرقابة المشددة على مراسلات أحمد باي، الا انه تمكن من أن يرسل مبعوثا له الى طرابلس ويلتقي بطاهر باشا يوم 1836/12/2، للمزيد من التفصيل راجع : SERRES, P. 166

أما على الصعيد الخارجي، فقد أصيبت فرنسا بصدمة قوية، شجعت المعارضة أن تضغط من جديد على الحكومة. كان من نتائجها أن عزل كلوزال من منصبه وحل محله دامريمون (DAMREMONT)[17].

وفي اسطنبول انتعشت اهتمامات رجال الدولة العثمانية وبخاصة حمدان خوجة الذي ناشد الباب العالي كي يسرع في تقديم المساعدات لأحمد باي، محذرا، انه في حالة السكوت فان فرنسا سوف تتمكن من احتلال المدينة[18].

يكون حمدان بهذا التدخل على دراية بمحركات السياسة الفرنسية من جهة. ويكون أولى عناية بأحمد باي، من جهة ثانية. وتعود هذه العناية أيام ان كان بباريس، حيث بعث الى السلطان يشيد بمناقب أحمد باي ويقترح تعيينه حاكما على الجزائر.

ويكون السلطان عمل بتوجيهات حمدان، وتأكد له أن فرنسا ستقوم بهجوم آخر على قسنطينة، لهذا قام بمحاولات دبلوماسية وعسكرية، بأن طلب من الحكومة الفرنسية الا تعجل في ارسال حملة الى قسنطينة[19]. ولعل موقف الباب العالي هذا جاء رغبة في ايجاد حل سلمي للقضية، وأملا في ارسال نجدات إلى أحمد باي.

كما تدخل من جهة أخرى وطلب من حاكم تونس أن يقدم مساعدات إلى طرابلس وقسنطينة، الا أن هذا الأخير كان دائم الرفض، وبحجة أن امكانات ولاية تونس محدودة. ثم تقدم السلطان إلى باي تونس وعرض عليه أن يحكم طرابلس مقابل دفع الضريبة[20]. الظاهر أن محاولة السلطنة هذه جاءت لهدف الرغبة في

---

(17) وقد عبر الكثير من الفرنسيين عن هذه الصدمة، بأن قدمت كتابات كثيرة حول هذا الموضوع، راجع تعليق رقم 43، من هذا الفصل.

(18) راجع تعليق رقم 27، من هذا الفصل.

(19) كوران، ص. 67.

(20) جاء مبعوث السلطان في جيولية 1837 يحمل ثلاثة مراسيم (فرمان) سمّي بواحد منها حاكم تونس باشا على البلاد، راجع: SERRES, pp. 138, 172--173.

القضاء على الشعب القائم بطرابلس، واقتناعا منها بقوة حاكم تونس، وانه بهذه الطريقة يمكن كسبه، ومنعه من التعامل مع الفرنسيين، والتفكير في الانفصال. وبالتالي الحصول على الضرائب من طرابلس بأقل جهد.

وحاولت السلطنة التركية تقديم مساعدات الى أحمد باي، من طرابلس حيث أقيمت مراسلات بين طاهر باشا وحاكم قسنطينة عبر غدامس بالصحراء الجزائرية. الا ان نظام الحكم التونسي رفض وصول هذه المساعدات. وصادف ان حدثت انتفاضة في ماطر(٭) ضد النظام التونسي حذا به أن يضاعف من يقظته، وأرسل جيشا من قواته قدر بحوالي 5000 محارب لتثبيت الأمن في المنطقة، فتمكنت من ابعاد الصلة بين طاهر باشا وأحمد باي، ومنع أية مساعدة إلى قسنطينة[21].

في هذا الوقت الذي كان فيه طاهر باشا يفكر في مساعدة أحمد باي، وينكب على تثبيت الأمن بطرابلس، في هذا الوقت يفاجئ يوم 24 ماي، 1837 بتعيين حسن باشا خلفا له، على طرابلس، وذلك بتحريض من حكومات الدول الأوروبية وخاصة الفرنسية والانجليزية، اللتان تخوفتا من سياسة طاهر باشا، الذي عمل ضد مصالحهما.

وبهذا الموقف يكون الباب العالي، قد عمل ـ ولا ندري اذا كان بقصد أو من غير قصد ـ على تجميد مساعي طاهر باشا لمساعدة أحمد باي.

وقام السلطان بمحاولة أخرى بأن بعث أسطولا في جويلية 1837 بقيادة وزير البحرية نفسه[22]، الى تونس، الا أنه لم يحقق الهدف المنوط به، وعاد من حيث أتى في أواسط سبتمبر 1837.

(٭) مدينة

(21) SERRES, p. 167, 171.

(22) هو أحمد فوزي باشا، تولى الوزارة سنة 1836 وفي ظروف الخلاف بين محمد علي والسلطان العثماني بسبب احتلال لسوريا، انضم أحمد فوزي باسطوله الى مصر، وسبق أن ضغطت فرنسا على الباب العالي، وحذرته من اقتراب اسطولها الى المياه الاقليمية التونسية، الذي يعني اعلان فرنسا الحرب ضد تركيا، ولهذا أمر السلطان طاهر باشا ألاّ يقترب من تونس، للمزيد راجع: كروران، ص. 62.

وبتدخل الباب العالي في شؤون تونس وفشلها سنة 1836 و1837 تكون أعطت لفرنسا الاشارة الخضراء للتدخل في شؤون تونس من جهة. ودفعتها الى احتلال قسنطينة، من جهة ثانية. وأثبتت قصر نظرها وضعف قوتها المتمثلة في أسطولها من جهة ثالثة، ولم تمارس أي ضغوط ، سوى الاستنكارات كتلك التي وجهت إلى الحكومة الفرنسية، حين عقدت معاهدة التافنة مع الأمير، اذ تعجب البعض من رجال الدولة العثمانية وقالوا: ان عقد معاهدة مع شيخ عربي مثل عبد القادر، يعد عملا منافيا لعظمة فرنسا[23].

ونذهب إلى أن الباب العالي التزم الاستنكار منذ هذا التاريخ لعدم عثورنا ـ لحد الآن ـ على ما يثبت غير هذه المحاولات أو تلك المساعدة التي بعثها الى أحمد باي عن طريق تونس (مثلما سبق قوله في هذا الفصل).

وجاء استنكار الباب العالي عكس ما كان يدعو إليه حمدان الذي ألح على التدخل الفعلي لمساعدة أحمد باي، ومنحه لقب الباشا للرفع من معنوياته ولتوسيع شعبيته، وتشجيع من حوله للمقاومة، فنبه السلطة العثمانية بأنه في حالة ما اذا لن تعمل بهذا سوف تضعف آخر قوة في الجزائر مناهضة لفرنسا، وبعث إلى رجال الدولة العثمانية في هذا الصدد بمجموعة من التقارير، قيم فيها الوضع ، القائم، وحذر فيها من عواقب السكوت،وقدم من خلالها عدة حلول. ولا بأس من عرض أهم ما جاء فيها[24].

---

(23) كوران، ص. 71، (نقلا عن: B.A. تحرير نوري أفندي ـ جمادي الأولى 1253 هـ ـ أوت 1837 م. يدل هذا على أن الأمير لم تكن له صلة بالباب العالي، من جهة، ولم يكن موضع رضاه من رجال السلطة، من جهة أخرى. وان السبب في ذلك يعود الى موقف حمدان وأحمد باي، اللذان عرضا بشخص الأمير منذ أن كان حمدان في باريس، حيث بعث الى صديقه محمود بن أمين السكة ينتقص من شخص الأمير. انظر ما سبق ذكره في آخر الفصل الرابع.

(24) وتفضل التميمي عبد الجليل بنشر أهم هذه التقارير، بعد ترجمتها ، في أطروحته:
Le BEYLIK de Constantine et Hadj Ahmed..

قال حمدان في أحد التقارير، لقد جاءتني من قسنطينة أخبار مفادها، ان باي تونس عمل بضغط من فرنسا على حشد قوات من جيشه على حدود الجزائر الشرقية، لمنع فرار باي قسنطينة من أمام الجيش الفرنسي الذي سيهجم على قسنطينة.

وان الله نصر أحمد باي على الفرنسيين. كما تمكن رزقي شيخ قبيلة الحنانشة على رأس قوات تقدر بـ 4000 محارب[25]، من الانتصار على يوسف المملوك الموالي للفرنسيين.

ان الفرنسيين لن يرغبوا بالهزيمة، وان احمد باي ليس كفأ لقواتهم وعليه، فالوقت مناسب لتقديم المساعدة لأحمد باي، محذرا انه في حالة السكوت فان فرنسا سوف تتمكن من احتلال المدينة، وبعدها ستمد نفوذها إلى تونس وطرابلس، ثم إلى مصر[26].

بهذا الرأي يكون حمدان على دراية بخبايا السلطة الفرنسية وذا بعد نظر اذ يشهد له بأنه تنبأ بأحداث قبل وقوعها خاصة فيما يتعلق بتوسيع النفوذ الفرنسي في المناطق المجاورة للجزائر. وبذلك تكون السلطنة العثمانية قد تعرفت على جانب هام من مخططات السلطة الفرنسية.

وأما التقرير الثاني، والذي هو على جانب كبير من الأهمية قد جاء فيه: ان هزيمة فرنسا أمام أسوار قسنطينة، دفع بالحكومة الفرنسية، والبرلمان، إلى العمل على الانتقام من الحاج أحمد باي، وان المارشال كلوزال قائد تلك الحملة قد تلقى

---

(25) قال حمدان في هذا التقرير أن رزقي مات أثناء هذه المعركة الا ان أحمد باي في مذكراته ـ ترجمة الزبيري ـ قال: بأن رزقي التحق به استعدادا لمواجهة العدو خلال الحملة الثانية على قسنطينة راجع: ص. 69، من هذه المذكرات.

(26) رسالة حمدان باللغة التركية الى المسؤولين بالباب العالي، بدون تاريخ، ويبدو من محتواها انها كتبت بعد فشل الحملة الفرنسية الأولى .B.A خط همايون 46906.

نوبيخا. في الوقت الذي كانت فيه الحكومة الفرنسية تفكر في الجلاء من الجزائر عند رغبة الرأي العام، وبخاصة الجناح الفرنسي المعارض.

وبما أن الحكومة الفرنسية بصدد تجهيز حملة قصد إرسالها إلى قسنطينة، فو تتقدم السلطنة العثمانية بالمطالبة لاسترجاع الجزائر، فان صوت المعارضة سيقوى ويضغط عل الحكومة الفرنسية.

ولما كانت الحملة الأولى قد فشلت بسبب قلة عدد أفرادها فان قوة الحملة هذه سيرتفع إلى ما بين 70 إلى 80 ألف محارب، وفي هذه الحالة سيكون من الصعب استرجاع الجزائر.

وانه في حالة عدم الانعام على أحمد باي بلقب الباشا المرفع من معنوياته، ولمكابرته أمام أعدائه، والملتفين حوله، فان نفوذه سيتقلص.

ولما تعذر على الحكومة ايجاد وسيلة لتقديم مساعدات حربية إلى أحمد باي، أجهد حمدان نفسه لتوفير تلك الوسيلة بأن عرض حلا، ومحتواه: يمكن نقل أسلحة من طرابلس الى قسنطينة بواسطة الجمال على انها بضائع منقولة الى الحرب. وهذه الوسيلة الوحيدة التي يمكن بها مساعدة أحمد باي، لتشجيعه، وللتخلص من الحراسة المشددة، والمخبرين من المسلمين (الخونة)(27).

مما تقدم تتضح أمور كثيرة منها: ان حمدان قد تشفى من كلوزال حين تلقى نوبيخا. والحقيقة انه عزل. وان حمدان يعرف قوة الجناح المعارض ويدرك العوامل التي تحركه. انه طرح القضايا المتعلقة بالجزائر، بجرأة ووضوح، وان لا أمل في استرجاع الجزائر الا بمساعدة أحمد باي. وانه باقتراح منح لقب الباشا لأحمد باي

---

(27) رسالة حمدان الى المسؤولين بالباب العالي، باللغة التركية، بدون تاريخ، ولا تحمل امضاء، الا ان من محتواها نعرف أنها لحمدان. B.A همايون 47916، هذا بالاضافة الى تقارير أخرى قدم فيها أوضاعا مختلفة، وحث رجال الباب العالي على التدخل لنجدة الحاج أحمد باي.

يكون خبيرا بمواطن القوة والضعف للسكان الجزائريين. ثم ان حمدان لم يدع أية فرصة دون أن يستغلها، أو أية وسيلة دون أن يسخرها كأداة طبيعية في يد رجال الباب العالي، من أجل استرجاع الجزائر، ومساعدة أحمد باي.

وعلى الرغم من هذا الالحاح، وهذه الوسائل المقترحة، الا أن الباب العالي التزم السكوت، ولم يقدم أية مساعدة، ونذهب إلى هذا بناء على عدم العثور على ما يشير الى ذلك. في حين يوجد أكثر من مؤشر يؤكد انشغال الباب العالي بأمور أخرى تتعلق بالأحوال الداخلية للسلطة العثمانية.

ولعل هذا ما أضعف المقاومة في الشرق، من جهة. وسهل على الفرنسيين أن يحتلوا المدينة في اكتوبر 1837 (28).

---

(28) يعود اهتمام السلطة الفرنسية بمقاطعة قسنطينة الى فترات سابقة، وقد بعث دي بولينياك الى قائد الحملة دي بورمون يوم 1830/7/13، يطلب منه أن يعمل على الاحتفاظ بالجزائر، وعلى احتلال قسنطينة، للمزيد راجع: SERRES, pp. 61--62. ومن ثم أولت الادارة الفرنسية اهتماما بهذه المقاطعة. ولما تولى دامريمون الحكم في الجزائر تلقى الأوامر بالتوجه الى قسنطينة، وذلك في نهاية شهر ماي 1837، أي بعد عقد معاهدة التافنة مباشرة، راجع: JULIEN CH. *Histoire de l'Algérie cont.*, p. 139.

ويفهم من هذه الأوامر، أن السلطة الفرنسية عازمة على احتلال الشرق من حدود تونس الى قلية (الأخضرية حاليا) لهدف اقامة مؤسسات تجارية على أن يترك أمر الداخل الجزائري الى القبائل الموالية للفرنسيين. للمزيد راجع: **نفس المرجع**، ص. 140.

وقد حاول دامريمون أن يخضع أحمد باي عن طريق التفاوض، مثلما حاول سالفه دوروفيكو، اذ بعث دامريمون اليهودي بوجناح الى أحمد باي وعرض عليه الصلح الذي يعني الخضوع الى السلطة الفرنسية، الا أن أحمد باي رفض ذلك بشدة. للمزيد راجع: **مذكرات الحاج أحمد باي**، ص ص. 63ـ67.

وبعد فشل تلك المحاولات، تطلب الموقف من طرف الادارة الفرنسية، أن تحتل قسنطينة فشنت حملتها الثانية، في اكتوبر 1837، وعلى الرغم من استعدادات الباي، وسكان قسنطينة، وضواحيها، اذ جاءت نجدات من مختلف أنحاء قسنطينة، وعلى رأي أحمد باي فان قائد قبائل جيجل والقل، جاء على رأس 10.000 محارب، **المذكرات**، ص ص. 69ـ71، على الرغم من ذلك، فقد تمكنت القوات الفرنسية من المدينة، بالرغم من الخسائر التي لحقت بها. عن هذه الخسائر، وعن احتلال المدينة، راجع: شلوصر، ف. **قسنطينة أيام أحمد باي**، ترجمة أبي العيد دودو، الفصل التاسع وكذلك JULIEN, CH., p. 142 ش.و.ن.ت. الجزائر 1977.

ولجأ أحمد باي الى الصحراء، ليقضي البقية الباقية من عمره، راجع **مذكرات أحمد باي**، ص ص. 69ـ80، 86.

وقد أحدث سقوط قسنطينة ردود فعل قوية ، فبالنسبة الى الباب العالي، لم يبد الا التأسف. ويمكن اعتبار ذلك قضاء على أحلامه في استرجاع نفوذه في الجزائرعن طريق أحمد باي. بينما كان ذلك خيبة أمل بالنسبة إلى حمدان. وتخوفا من على شخص أحمد باي، فبعث له رسالة بالشفرة. تبين أهم نشاطاته وهو في اسطنبول. ونظرا لأهميتها سنحاول استخلاص أهم ما جاء فيها(29).

بواسطة ما ترجمه حمدان وصلت أفكار ومطالب أحمد باي الى رجال الباب العالي. لم يدع فرصة تمر دون أن يستغلها للحث على محاربة (الكفار) قبل أن تقوى شوكته، وتضعف السلطنة اذ قال: «ثم تدرجت بالمناسبة الى ان قلت له (خليل باشا) ان الكافر قد ادعى كونه سلطان افريقيا، والحال انه متصالح معكم، وان سكتم عن هذا فانه يدعي سلطان الأناضولي (...) الأمر يلزمكم أن تحاربوه أو تتحاكموا معه عند جميع الريات (الملوك). والذي لا بد منه في المآل أن تفعلوه افعلوه،لأن قبل أن يستولي على أكثر (مالكم) وقبل أن يتقوى وتضعفون».

ويؤكد حمدان أنه سبق أن عرض مثل هذه الأفكار على برتو باشا، الذي استحسنها ووعد حمدان بتطبيقها: «ثم قلت له اني قد كنت كتبت في هذا المعنى تحريرات وتكلمت مرارا مع المرحوم برتو باشا واستحسن كلامي ووعدني بفعله، ثم لم أدر ما وقع، فلو انه فعل ذلك لما وقع ما وقع».

ويستنتج من قول حمدان: «فأجابني بأنه لا علم له بشيء في ذلك». يكون خليل باشا لا يعرف الشيء الكثير عن حمدان، وعن أفكاره، التي استحسنها، وطلب منه أن يزوده بنسخة مما سلمه لبرتو باشا،فلم يتوان حمدان وانكب على كتابة

---

(29) كتب حمدان هذه الرسالة بالرمز (الشيفرة) بتاريخ 15 رمضان 1253 هـ - ديسمبر 1837 م، وقد عثرنا على مفتاحها بالأرشيف العام التونسي، وزارة الخارجية، ملف 384، وثيقة رقم 120، 122، انظر: الملاحق رقم 26 و27.

تلك التوجيهات، لإعطائها إياه. وتفهم من هذا ثلاثة أمور: الأول إعجاب خليل باشا بأفكار حمدان، ومدى أهميتها بالنسبة للسياسة العثمانية ازاء قضايا المغرب العربي. والثاني اهتمام حمدان الكبير بأمور المسلمين بعامة، وبالقضية الجزائرية، وأحمد باي، بوجه خاص. وقد عبر بصدق حين قال: والحاصل قد فعلت كلما يجب علي،ولم أغفل عن حقوق الاسلام طرفة عين، ولا عن حقوق سيادتكم،منذ قدمت إلى يومنا(٥٥).

والثالث: ان ما حدث من تغيرات في صفوف رجال الدولة العثمانية له أثركبير على نشاط حمدان، اذ ان ذلك يعد قطعا للحلقات التي كان حمدان أوصلها من أجل استرجاع الجزائر.

ويبدو أن حمدان قد تخوف على أحمد باي بعد سقوط قسنطينة، من أن يؤسر أو تنفض من حوله الرعية، لهذا بعث يسديه النصيحة أن يتجه إلى اسطنبول، ان ارتأى ذلك، فقال له: «ثم يا نعم السيد ان نصيحتي لجنابكم هي انه ان اختلفت عليكم الرعية،والعياذ بالله،ورأيت الأمر في الانحلال فانظر كيف يمكن وصولكم إلى هنا بكل العيال، وكل الأتباع،ولو كان المجموع ألف، فانه زيادة حرمة لكم، ولا شك في أن السلطان يعطيكم شهرية فوق ما يخطر بالبال... وأما جنابكم فانهم يرونكم بالعين الكبيرة، ومكانكم عندهم ، وحبهم لكم، يكاد يبلغ حد العشق».

---

(30) يكون حمدان بهذا قد وفى بوعده وصدق في قوله وخلص في موقفه تجاه أحمد باي، اذ منذ أن قدم الى باريس اتصل بالباب العالي ونوه به في رسائله الى السلطان والى رجال الباب العالي (انظر: الفصل الرابع). وعلى ما يبدو أن أحمد باي لم يكن موضع ثقة من لدن رجال الباب العالي الا بفضل حمدان خوجة الذي يكون عرف شخصه . وبدوره. والتزم في اسطنبول بترجم رسائله، ويسعى له، في كل مكان وزمان متى سنحت الفرصة، وانا نرى صدقا في قول حمدان لأحمد باي: «ومكتوب رشيد باي (من أحمد باي) عرضته عليه بعد السحور، لأني مقيم بداره، ففرح به ووعدني بفعل كلما يمكن». انظر ملحق رقم 25.

وقد قدر أحمد باي هذا الوفاء والالتزام ، فوضع فيه الثقة بقوله: «ان ما عندنا ينهيه إليكم محبنا ومحبكم سي حمدان والد عثمان خوجة ويعرفكم بالأخبار من البداية الى النهاية». رسالة أحمد باي الى الصدر الأعظم، نافذ باشا بتاريخ 1253 هـ ونشرت في: مجلة التاريخ، العدد 4، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، 1977.

وترجم حمدان في هذه الرسالة ضعف الدولة العثمانية وخوفها من اظهار العداوة ضد فرنسا، وحاول أن يبرر عدم تدخلها لاسترجاع الجزائر، حيث قال «وما هم الا خايفين من أسباب العداوة مع الكفار، لما يرون في ضعف حالهم يكفيك انه قد مات لهم من العسكر في مدة سبع سنين ما يزيد على سبعماية ألف وهكذا بسبب الوبا(*). مع أمور يطول شرحها. ولهم العذر».

أما الرسالة الثانية، التي بعثها حمدان الى أحمد باي فهي على جانب كبير من الأهمية، ولهذا نحاول أن نستخلص أهم ما جاء فيها[31].

لما تعين مصطفى رشيد باي وزير الشؤون الخارجية، كان حمدان دائم الاتصال به، وصار مستشاره فيما يتعلق بشؤون المغرب العربي بعامة، والجزائر بوجه خاص. فطلب رأي حمدان ما اذا يكون من المناسب تعيين الحاج أحمد باي واليا على طرابلس، للقضاء على الشغب وتثبيت الأمن في هذه الولاية. وكان رأي حمدان: لا يوجد شخص آخر له من القدرة ما يمكنه من القيام بهذا العمل أحسن قيام، لأنه يعرف عادات وتقاليد العرب، بحكم ان والديه من شيوخ الصحراء. الا انه من جهة أخرى لو ينتقل أحمد باي إلى طرابلس، لا يوجد من يخلفه للدفاع عن البلاد، الا أنه في حالة ما اذا لم يعد لكم من الرغبة في استرجاع الجزائر، ففي هذه الحالة من المناسب تعيين الحاج أحمد باي.

واذا اعتمدنا قول حمدان الى أحمد باي: «وعلى تقدير أنه لا يمكن مكثكم بتلك النواحي، فهل يمكن الاجتياز في أيالة تونس الى طرابلس أم لا»[32]. انه جاء

(*) ولعل هذا من العوامل التي أثرت ودفعت حمدان الى تأليف كتابه اتحاف المنصفين، ويقدمه الى السلطان قصد تطبيق الحجر الصحي. كما انه يكون من العوامل التي أقنعت حمدان خوجة كي يتبنى سياسة الاعتدال، كما سبق وان ذكرنا في بداية هذا الفصل.

(31) راجع تعليق رقم 6 من هذا الفصل، وكذلك ملحق رقم 25.

(32) رسالة حمدان الى أحمد باي بتاريخ 1840/2/19، انظر: التميمي بحوث ووثائق، ص. 218، (نقلا عن: B.A إرادة خارجية، ملف 227 رقم 2).

رغبة من حمدان أن ينقذ أحمد باي، أو أن يعين حاكما على طرابلس، يكون حمدان التزم الأمانة كمحرر وممثل للباي لم يفوت هذا الأمر واقترحه عليه.

والأمر الهام الآخر الذي يمكن معرفته في هذه الرسالة، يتعلق بالأمير عبد القادر. يقول حمدان: «والذي دبرت عليهم (على رجال الباب العالي) واستحسنوه هو أن يكاتبوا سلطان المغرب وأن يرسلوا له هدية ويستجلبوا مودته والاتفاق معه، لأن في ضمن ذلك، الاكتفاء، من أمر عبد القادر، اذا يسر الله رجوع الجزائر وخولها...) من عواقب أمر عبد القادر. وأظن أنهم يفعلون ذلك»[33].

ان قول حمدان هذا يكون جاء كرد على رسالة الحاج أحمد باي التي بعثها الى الباب العالي، والتي انتقض فيها من شخص الأمير عبد القادروقال عنه بأنه تعامل مع الفرنسيين، وانه يناصبني العداء، ويتمنى قتلي[34].

يجدد حمدان موقفه مرة أخرى من الأمير. ويظهر حمدان من هذا الموقف انه دؤوب في السعي لمساعدة أحمد باي، وانه لم يدخر جهدا في تسخيركافة الوسائل لايجاد حلول مناسبة وفي أسرع وقت لانقاذه، ولربط السلطنة العثمانية بقضية الجزائر.

ولا ندري أكان الباب العالي قد عمل بما أشار به حمدان أم لا؟ وهل هناك علاقة بين ما قاله حمدان، وتحول سلطان المغرب من الأمير؟.

---

(33) رسالة حمدان الى أحمد باي، راجع: تعليق 6 من هذا الفصل وكذلك ملحق رقم 25.

(34) رسالة أحمد باي بتاريخ 19 شوال 1253 هـ - جانفي 1838، وقد نشرها الأستاذ التميمي تحت عنوان Trois lettres de Hadj Ahmed Bey de Constantine à la sublime porte, *R.O.M.M.*, No. 3, AIX 1968, pp. 132--152.

في حين كان رد حمدان خوجة في 20 ذي الحجة 1253 هـ - مارس 1838 م، انظر: تعليق 6 من هذا الفصل، وكذلك ملحق رقم 25. وقال أحمد باي في مذكراته: «كان الحاج عبد القادر قد كتب الى العرب يخبرهم بأنه أبرم الصلح مع الفرنسيين الذين اعترفوا بسيادته على كامل أنحاء البلاد، وعليه يطلب منهم أن يتخلصوا من سلطاني، ويدخلوا في طاعته. واذا لم تفعلوا ذلك، فانني أثير عليكم الفرنسيين، وفي وقت وجيز مستحقكم قواتي وقواتهم». ص. 80. الا اننا لم نعثر على ما يؤكد صحة ما قاله أحمد باي.

وبهذا يؤكد حمدان عدم ارتياحه لشخص الأمير، حتى هذا التاريخ، كما يؤكد عدم اتصاله به على الرغم من ذكره في رسالته الى زوجته: ان الادارة الفرنسية استغلت عدم وجودي بالجزائر وحاولت اداتي، متهمة اياي بالمراسلة مع عبد القادر[35]. وعلى الرغم من قول الحاكم العام كلوزال: ان كلا من حمدان وليسباسكي قد تمكنا من تحريض الرأي العام داخل غرفة النواب ضدنا، وعملا على مناصرة الأمير[36].

ومهما يكن ، فان مواقف حمدان هذه، تترجم ضعف الدولة العثمانية، وفشلها في استرداد الجزائر[37]. خاصة بعد أن أحست بأن انجلترا غير مستعدة لتدعم مطالبها، ومعاداة فرنسا من أجلها.

ومن جهة انجلترا، كان لسقوط قسنطينة، أثر كبير على سياستها، فقد استنكرت على فرنسا هذا العمل، واعتبرته مسا بذاتية الدول الأوروبية. الا أن هذا الاستنكار جاء من باب المساومة حتى لا تتدخل - فرنسا - في تونس. ويتأكد هذا من تصريحات رجال الملكية الانجليزية ومنهم . الوزير اللورد بالمرستون (Palmerston) الذي قال في نهاية نوفمبر 1837 الى الجنرال الفرنسي سيباستياني (Sibastiani) لنعبر لك عن حسن نيتنا ازاء ما ستتخذه الحكومة الفرنسية من أجل السيادة على ولاية الجزائر. ان ذلك سيلقى موافقة منا. الا أنه على

---

(35) راجع : تعليق 6 من الفصل الرابع.

(36) ESQUER. G., *Correspondance du général CLAUZEL*. T1, p. 673.

ارجع الى تعليق رقم 1، من هذا الفصل.

(37) سبق وان عرضنا في الفصل الأول العوامل التي أضعفت الدولة العثمانية حيث قلنا: تمكن الضعف والهزال من الدولة العثمانية، فأصبح اسم «الرجل المريض» جديرا بها. ومن ثم كانت نشاطاتها الدبلوماسية والسياسية انطلاقا من هذا الاطار.

الحكومة الفرنسية ان تعرف جيدا، انه في حالة ما اذا فكرت أن تمد نفوذها خارج حدود الجزائر، الى تونس أو المغرب، فانها ستجد معارضة قوية من طرفنا[38].

وقد استحسنت فرنسا هذا الموقف من انجلترا، وأجابتها بأنها لا تنوي التوسع خارج الحدود الجزائرية[39].

ويمكن التساؤل عن المؤشرات التي منعت انجلترا من الدخول في حرب ضد فرنسا؟

قد يعود ذلك إلى عدم رغبة انجلترا في أن يكون لها نفوذ في الجزائر. وانها لا تستفيد من حرب مع تركيا الضعيفة ضد فرنسا القوية. وانها تكون اطمأنت إلى رد الحكومة الفرنسية، القائل بعدم الرغبة في التوسع خارج حدود الجزائر. وكذلك التقارب الذي حدث بين المملكتين، الفرنسية والانجليزية، منذ السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي. (ارجع إلى الفصل الثالث).

وقد أحدث سقوط قسنطينة صدى في عواصم أوروبية أخرى، ومنها النمسا التي لم يكن موقفها واضحا، بل كان متناقضا. فبعد أن سبق لها أن عارضت مشروع الحملة المصرية ـ الفرنسية على الجزائر الا انها قدمت مساعداتها الى فرنسا لما قررت هي القيام بالحملة (راجع الفصل الأول). لكنها لم تستحسن احتلال فرنسا لقسنطينة. وقالت على لسان مترنيخ (Metternich) أن فرنسا بهذا العمل

---

(38) SERRES, pp. 192-193 وكانت بريطانيا جادة في هذا الموقف، وظلت تراقب من جزيرة مالطا تحركات السلطة الفرنسية، اذ بمجرد ان اقتربت وحدات من الأسطول الفرنسي من قرطاج، تقدم الوزير البريطاني بالمرستون PALMERSTON في سبتمبر 1840 الى السفير الفرنسي غيزو GUIZOT بلندن، بتحذير شديد اللهجة، قائلا ان أي تدخل فرنسي في تونس ستنجر عنه عواقب وخيمة، للمزيد من المعلومات، راجع: نفس المصدر، ص. 227.

(39) نفس المصدر، ص. 200.

ستحدث مشاكل مع كل من انجلترا والباب العالي[45]. ومن جهة أخرى لا نجد من بين وجوه علاقاتها الدبلوماسية مع الدولة العثمانية، ما يؤكد على انها ناصرتها بجدية فيما يتصل بالمطالبة بحقها في الجزائر، انما الذي نلاحظه عليها، انها تصرفت بمجموعة

ولما ظهر من فرنسا اهتمام بتونس، شهّرت النمسا بها واتهمتها، على انها تتوق الى المزيد من التوسع والاحتلال لمناطق أخرى غير الجزائر. وعلى هذا الأساس تقربت الى انجلترا وطلبت منها تكوين جبهة ضد فرنسا، بحجة ان ولايات المغرب ممتلكات الباب العالي[41]. ولم تكن مواقف النمسا هذه حبا في الدولة العثمانية، أو مناصرة لأنجلترا، انما كانت مواقفها بدافع الحفاظ على مصالحها، وتمشيا مع طبيعة الظروف التي جدت على الساحة الدولية.

وان الأحداث الثورة الفرنسية، ولتوسعات نابليون بونابرت، ولفوز الملكية البرجوازية اثر ثورة جويلية (1830) في باريس، وما حدث عنها من نفوذ للجمهوريين، والملكيين الدستوريين[42]. ان لذلك اثرا كبيرا في تحديد مواقف النمسا من السياسة الفرنسية في بلاد المغرب خاصة، وبلاد حوض البحر المتوسط عامة. لأنها كانت تتخوف من أن يتعاظم أمر فرنسا فتؤثر على أنظمة أوروبا وتحدث تغيرات على الخريطة الأوروبية،وهو ما لم يكن يرغب فيه بلاط النمسا.

ولم تؤثر مواقف النمسا هذه في السياسة الفرنسية الهادفة إلى المزيد من السيطرة على البلاد ، والتي تمكنت منها على الرغم من الصعوبات التي واجهتها سواء من

---

(40) للمزيد من المعلومات، راجع: كوران، ص ص. 66_67، و SERRES, pp. 193--195

(41) SERRES., pp. 194, 203--204

(42) بعد نجاح الثورة في باريس ظهرت ثلاثة اتجاهات معارضة للنظام الفرنسي ، وهي:
أولا: الجمهوري: الذي سعى إلى إقامة نظام جمهوري بفرنسا مثلما كان ابان الثورة الفرنسية، وقد تزعم هذا الاتجاه المتبقون من اليعاقبة والجرنديين. الثاني: الملكي المتطرف: الذي رأى في حكومة لويس خروجا عن تقاليد النظام الملكي. الثالث: الملكي الدستوري: الذي دعا إلى ضرورة التقيد بالدستور. وقد استغلت هذه الاتجاهات ظروف الاحتلال ووظفتها كوسيلة ضغط ضد حكومة لويس فليب، وانتهى الأمر بإطاحة هذا النظام سنة 1848

داخل الجزائر، باتساع رقعة المقاومة الوطنية، أو من داخل فرنسا، لأنه بقدر ما تشجعت العناصر المؤيدة للاحتلال والاحتفاظ بقسنطينة بعد سقوطها بقدر ما ضاعفت المعارضة الفرنسية من ضغطها[٥٥].

(٥٥) وحاولنا معرفة ردود الفعل لدى الرأي العام الفرنسي وخاصة المفكرين منه، وانتهى بنا الأمر الى تحديد موقفين أحدهما معارض والآخر مؤيد.

المؤيد: نذكر منهم كوريش (CORRECHE) الذي قدم آراءه في كتاب يعد من أهم المصادر التي يمكن الاعتماد عليها لدراسة تاريخ الجزائر الحديث، وعنوانه:

Desaster de Constantine. *DENTU*. Paris, 1837

بعد أن قارن فشل القوات الفرنسية على أسوار قسنطينة بفشل نابليون في اسبانيا. بعد ذلك دعا الى ضرورة استثمار الجزائر ولكن بطرق لينة، وعرض ثلاثة أنظمة لتحقيق هذا الغرض، يمكن تلخيصهم كالآتي:

النظام الاقتصادي: (systeme économique dit Antoganisme)

الذي يعني قتل الغير من أجل اسعاد الآخرين.

النظام الاجتماعي: (système Social) الذي يعني ادماج التشكيلات الاجتماعية بمختلف مكوناتها في حضارة أكثر تطورا.

النظام الذاتي ـ العضو في الجماعة الفرنسية: (systéme dit Communautaire) الذي يعني اغتصاب حقوق الآخرين.

وبعد العرض والتحليل خلص الى نتيجة وهي على فرنسا أن تعمل بسياسة النظام الاجتماعي الذي هو أكثر فائدة وأقل خسائر.

ومن المؤيدين بول ايمانويل (poulle EMMANUEL) فقد قال في كتابه:

Alger et le Conseil Général du VAR. Henry, Paris 1938.

انه في حالة ما اذا تم جلاء فرنسا من الجزائر فان قوة أوروبية ستحل محلها. وقد شاطره كل من ديسماريت (DESMAREST) ورودرينك (Rodringues) في كتابيهما:

de Constantine et de la domination française en Afrique, DELAUNAY, Paris, 1837.

وبعد الضابط

وبعد الضابط بليون (PELION, M) في كتابه:

Considération Politique et Matériel su l'Algérie. Bodouin, Paris, 1838

السياسة الفرنسية، وخاصة احتلال قسنطينة، اذ أعد ذلك من أهم المكاسب، والتي سيكون على أساسها التوسع والاحتفاظ بالجزائر.

أما غايار (GAILLORD) وهو ضابط ووكيل عسكري دعا في كتابه:

Sur Alger. Bonier-lambert, Paris, 1837.

الى ضرورة استثمار أهم الضيعات، خاصة تلك الشاسعة في بسر، حجوط، والمتيجة. =

على الرغم من سقوط قسنطينة، ولجوء الحاج أحمد باي الى بسكرة، حيث ظل يحارب، ودائم الاتصال بالباب العالي يراسله طالبا المساعدات الحربية(٥٥)، ول

= **الموقف المعارض**: انتقد دومباسل (DOMBASLE) في كتابه:
de l'avenir de l'Algérie, Poullet, Paris, 1838.

السياسة الفرنسية بالجزائر، على أساس انها أنفقت أموالاً طائلة دون مقابل. وعلى أساس ان التجارة الفرنسية لم تحقق أي نجاح وذلك بفعل موقف الجزائريين الفقراء، والذين لا يرغبون في الانسلاخ عن حضارتهم.

ودعا من جهته بروصار (BROSSARD) في مؤلفه:
Melanges sur l'Afrique, Baptiste Gean, Perpignan, 1838.

الحكومة الفرنسية الى ضرورة تطبيق العدل ليعيش الجزائريون في سلام، على أن تسلم المدن الجزائرية الى الأعيان منهم، شرط أن تكون تحت وصاية فرنسا، كما يجب أن تساعد وتشجع فلاحة الأرض.

وقد شاطره الرأي مدير حزبية الجزائر وهو ليون بلاندل LEON BLANDEL في كتابه:
Nouvel aperçu sur l'Algérie, Delaunay, Paris, 1838.

(44) تضافرت جملة من العوامل كانت لموطن ضعف في صف أحمد باي، من جهة. وباطن قوة في الجيش الفرنسي، من جهة أخرى. ومن تلك العوامل التناحر بين القبائل والأعراش، الذي أدى بوحدة الصف الى التمزق، وذلك نتيجة لتعدد الطرق الصوفية، وللاعتداد الذاتي لدى شيوخ تلك القبائل ولعدم وجود الوسائل آنذاك ـ كالصحافة ـ لتعمل على توحيد الصف الجزائري على نطاق واسع. ومع ذلك فقد واجهت الاحتلال قطاعات من القبائل بقواتها الذاتية متناسية النعرات فيما بينها وهذا ما يفسر الروح الوطنية العالية لدى تلك القبائل. وان عدم ميلها ـ القبيلة ـ الى جارتها والعمل تحت لواء زعيم آخر من قبيلة أخرى، هو اعتداد ذاتي، لأنها كانت ترى نفسها جديرة بتولي الصدارة في صف المقاومة الوطنية. واني أرى سبب ميل بعض القبائل الى الفرنسيين كان لهدف القضاء على القبائل المنافسة لها من جهة، ونكاية بالحاج أحمد باي، من جهة أخرى. ونسوق مثالا على ذلك: على الرغم من أن أحمد باي تزوج من بيت آل مقران، الا أنه اعتقل والد زوجته محمد عبد السلام الغايب سنة 1825، الأمر الذي دفع هذا الأخير الى أن يعلن ولاءه للفرنسيين برفقة فرحات بن سعيد. ثم أهان فرعا من أسرة آل مقران، والمتمثل في شخص أحمد الذي كان يطمح في أن يتولى الخلافة على اقليم مجانة، الا أن أحمد باي حرمه، فما كان منه الا أن اتصل بالفرنسيين الذين عينوه سنة 1838 خليفة على مجانة لينافس خليفة الأمير عبد القادر في هذا الاقليم. وكان بذلك أداة طيعة بيد الفرنسيين لتوسيع نفوذها في مناطق كثيرة منها برج بوعريريج سنة 1839، وفي الحضنة، اولاد نايل، وغيرها. ثم مس ذاتية أسرة بوعكاز بتحيزه الى أسرة ابن قانة على الرغم من عراقة أسرة بوعكاز. لهذا لما لجأ أحمد باي الى الصحراء لم يجد من الأنصار الا القليل. وظلت تتقاسم السيادة على الجنوب قوتان، قوة ابن قانة المدعمة من الفرنسيين، وقوة الأمير عبد القادر بواسطة خلفائه. ويلاحظ ان انضمام ابن قانة الى الفرنسيين جاء في وقت كانت فرنسا في أمسّ الحاجة الى أمثال ذلك، فتمكنت دون كبير جهد من السيطرة على منطقة الصحراء.

الرغم من ذلك، الا أن المقاومة الوطنية لم تتوقف، بل وازدادت قوة كلما حاول جيش الاحتلال التغلغل الى الداخل.

لم تكتف السلطة الفرنسية بقسنطينة بل مدت من نفوذها إلى سطورة ـ سكيكدة حاليا ـ وذلك حسب تفسيرها، أنه من الضرورة بمكان، لحماية قسنطينة وضمان البقاء للفرنسيين في هذه المنطقة وربط سطورة بقسنطينة ليسهل ايصال الداخل بالبحر عن طريق سطورة بدل عنابة. لأن الطريق الذي يجب اقامته إلى قسنطينة يكون من سطورة أفضل من أن يكون من عنابة. ثم انه بامكان منطقة سطورة أن تلبي حاجة قسنطينة بالأخشاب، بالإضافة إلى الثورة الحيوانية. وخضوعا لهذه المعطيات المتطابقة مع تخطيط السلطة الفرنسية، أولى المارشال فالي (Valée) ابتداء من جانفي 1838 عناية خاصة لاستثمار هذه المنطقة[45].

ولوضع هذا الأمر موضع التنفيذ قام القائد نيقريه (Négreer) بحملة عسكرية قوتها تزيد عن 2500 عسكري يوم 7 أفريل 1838 الى سطورة، من أجل دراسة هذه المنطقة، والتعرف على امكاناتها لاستغلالها. ومحاولة اخضاع السكان، والشروع في انشاء الطريق بين سطورة وقسنطينة.

---

(45) بعد مقتل دامريمون أمام أسوار قسنطينة تولى فالي حاكما عاما بالنيابة يوم 1837/10/25، ثم رقي مارشالا يوم 1837/11/11، وعين حاكما عاما بصفة نهائية في أول ديسمبر في نفس السنة. وبعث له وزير الحربية يوم 1837/12/10 تعليمات مفادها أن يعمل على ضرورة احتلال مقاطعة قسنطينة، والتخطيط لربط الساحل بالداخل. وطلب الوزير من جهة أخرى من البرلمان اعتماد مبلغ من المال من أجل انشاء ثلاثة طرقا بالشرق الجزائري، وتجاوب فالي مع ماكانت السلطة ترمي اليه، إذ رد عليه يوم 1838/1/4، واقترح اقامة مراكز عسكرية في ميلة وفي ملتقى وادي الرمال بالواد الكبير، وذلك لاشعار السكان الجزائريين بقوة فرنسا. ثم بشرع في اقامة طريق الكنتور لربط سطورة بقسنطينة، راجع:
EDOUARD SOLAL, *PHILIPPE-VILLE* et sa région, pp. 40-42.

والحقيقة ان اهتمام السلطة الفرنسية بسطورة كان منذ فترات سابقة عن احتلال قسنطينة، اذ دعا دامريمون في 12 ماي 1837، الى ضرورة تأسيس ادارة بحرية بسطورة، مما يدل على أن الحملة على قسنطينة كانت تهدف =

وبناء على ما توفر لدينا من مادة، فان الحملة لم تجد ما يعيق وصولها الى سطورة باستثناء هجوم واحد وقع ضدها ليلا. أما أثناء العودة فقد تصدت لها المقاومة في أكثر من موطن. وعلى الرغم من عدم تكافؤ القوة، الا ان جيش الحملة تلقى خسائر كبيرة، من قتلى وجرحى (٤٥). ومع ذلك تمكنت الادارة الفرنسية من تحقيق نتائج هامة. منها: انضمام بعض الشيوخ الى الصف الفرنسي (٤٧)، تمكن رجال الحملة من دراسة المنطقة جيدا، وتأكد لهم من جهة أخرى ضرورة ربط سطورة بقسنطينة. كما تأكد لهم أنه ليس من السهولة بمكان التغلب على سكان هذه المنطقة.

= الى التوسع في مناطق أخرى غير قسنطينة، راجع: نفس المرجع، ص. 36 واهتمام السلطة الفرنسية كان بمنطقة الساحل له ما يبرره، اذ كانت بها ثروة حيوانية وحشية، هائلة، بجانب مساحات خصبة، مثلا سنة 1840:

كان عدد السكان		المساحات المستعملة	عدد الرؤوس من الحيوانات
بضواحي جيجل	163.200	10.000 هكتار	84.000
بزواغة	025.000	06.000 هكتار	08.000
بفرجيوة	012.603	03.000 هكتار	23.000
بالبابور	006.556	02.000 هكتار	02.300

وهذا حسبما قدمه:

ANDRÉ NOUSHI, notes sur les imigration en Algérie dans la 1ere moities du XIXè S., in, *actes du 1ere congré d'études des cultures méditerranéenner d'influence ARABO-Berbere*, S.N.E.D., Alger, 1973, p. 271.

(46) EDOUARD SOLAL, p. 46

(47) من الذين انضموا الى الادارة الفرنسية السعودي بن ايبال من بني مهنة، وقد لعب دورا هاما لصالح فرنسا في منطقة الشمال القسنطيني، ومما استمعت عنه في عين المكان، انه مارس أعمالا منكرة ضد الثائرين ضد الفرنسيين من ذلك انه كان يمسك ببعض منهم، فيصب على أجسامهم اللبن، ويشدهم الى الشجر تحت رحمة أشعة الشمس ولسع الذباب، إلى درجة الموت، ولم نعثر على مادة خبرية تؤكد مثل هذه الحكايات.

ومن ثم شرع في اقامة طريق، وما جاء أوت 1838 حتى تمكنت الهندسة العسكرية من انجاز قسم كبير من هذا الطريق. وموازاة مع هذه الاشغال القائمة كانت الحملات العسكرية تتوالى ضد السكان لاخضاعهم ولحماية تلك الأشغال. اذ نظم قالبو (GALBOÏ) حملة قوامها 4000 عسكري استولى بواسطتها على سطورة، حيث أعطيت اسما جديدا هو اسم فيليب فيل (PHILIPPE'VILLE) [48]. وقد عبر الحاكم العام المارشال فالي بقوله: ان احتلال سطورة يؤكد ما كنت أدعو اليه من أن أحسن وسيلة لاحتلال الجزائر هي الحرب [49].

ولعل هذا من العوامل التي دفعت الادارة الفرنسية الى أن توجه حملات الى مناطق أخرى الى سطيف وجيجل وجيملة الخ... وكانت كل الحملات التي وجهت بعد سنة 1838، لتحقيق هدفين. الأول حماية الأشغال القائمة من أجل انهاء الطريق. الثاني: اخضاع السكان الذين لم يتوقفوا عن الهجومات. وقد استعملت لاخضاعهم أساليب مختلفة، منها: بالاضافة إلى القوة، استخدمت الموالين لها لخنق

(48) اذ جاء قالبوا بعد نيقرلي، وأخذت سطورة هذا الاسم يوم 1838/11/17، اكراما للويس فيليب ملك فرنسا.

(49) فالي الى وزير الحربية بتاريخ 1838/10/8، انظر: نفس المرجع، ص. 54. والدارس لسياسة فالي يدرك أن أطماعه كانت تمتد الى تونس والمغرب، اذ كتب يوم 1838/2/9 يؤكد هذا، انظر: .JULIEN, CH., *Histoire de l'Alger, p. 146.* ومهما يكن فبمجرد ان تم الاستيلاء على سطورة شرعت الادارة الفرنسية في تحديد الاطار الاداري للشمال القسنطيني. بأن دعت الى تأسيس ادارة مركزية بقسنطينة. على أن تقسم ضواحيها الى ثلاث مناطق، الأولى: الساحل الممتد من عنابة الى جيجل، والثانية: من فرجيوة الى ميلة حتى الى سطيف، والثالثة: تشمل مجانة. ولم يدخل هذا الأمر حيز التنفيذ الا سنة 1849. عندما صارت قسنطينة عمالة منذ فيفري 1849 لمعرفة مواطن النفوذ الفرنسي في الجزائر، حتى الى سنة 1840، راجع الخريطة ملحق رقم 28 علما وانه حتى سنة 1839 كان عدد سكان (فيليب فيل) حوالي 1700 نسمة، عين عليها ابن عيسى الذي كان باش حامبة، وقائد جيش أحمد باي، فسلم نفسه الى الجنرال قاستو (GASTU) سنة 1838، وكانت له طموحات في أن يحصل على منصب الحاكم لقسنطينة، من طرف الفرنسيين. راجع: EDOUARD SOLAL., pp. 98--99.

تلك الثورات، من ذلك أن أجرت محاكمة لسبعة من المواطنين ثم القاء القبض عليهم، وأدار هذه المحاكمة كل من ممثلي السلطة الفرنسية، وخلفاء كل من الساحل وفرجيوة، بجانة، وقائد الحراكتة [50].

ومما تقدم يمكن استخلاص حقيقة، وهي ان الادارة الفرنسية استخدمت الموالين لها من الجزائريين، أداة تمكنت بواسطتها أن تفرض سيطرتها على أجزاء واسعة من البلاد. وقد وجدت عوامل دفعت البعض من الشيوخ الى العمل في الصفوف الفرنسية، ومن بين هذه العوامل الصراع الذي كان ضاربا أطنابه بين القبائل، ولسوء العلاقة التي كانت بين النظام العثماني، وبعض الشيوخ، خاصة في عهد أحمد باي [51].

ومن ثم يمكن القول أن ميل هؤلاء الشيوخ إلى الفرنسيين، لم يكن حبا في فرنسا، أو ضعفا في ايمانهم بوطنهم وبدينهم، وانما كان بهدف الاستعانة بالفرنسيين ضد بعضهم البعض، أو نكاية بأحمد باي، والا لما تحول الكثير من أولئك الذين مالوا في البداية، وأعلنوا في النهاية الثورة على الاحتلال [52].

---

(50) للمزيد من المعلومات راجع : EDOUÇRD SOLAL., pp. 66-69.
وقد عين فالي حوالي 17 قائدا من شيوخ القبائل، وعلى الرغم من ذلك الا أن المقاومة الوطنية استمرت خاصة لما ظهر أكثر من شيخ، ومنهم سي زغدود الذي أعلن الجهاد المقدس سنة 1842، وقد أعلن نفسه سلطانا، وعين خلفاء له في كل من بني توفوت، بني مهنة، بني اسحق، بني صالح، بني ولبان، الزرادزة، وأولاد الحاج. وقد اتخذ سي زغدود من حرب العصابات أسلوبا للمقاومة، من ذلك ان هاجم مراكز الفرنسيين ليلا. والاشغال القائمة لتعبيد طريق الكتور، ثم ثار أحد المرابطين واسمه سي محمد بود علي الذي شمل نداؤه للجهاد معظم سكان الشمال القسنطيني. للمزيد من المعلومات راجع: **نفس المرجع**، ص ص. 104-105.
وانما نذهب الى احتمال ان هؤلاء الشيوخ الثائرين ضد الفرنسيين كانوا على اتصال بالأمير عبد القادر.

(51) حيث ثار فرحات بن سعيد، ابراهيم، الباي بومرزاق، راجع: تعليق رقم 44 من هذا الفصل.

(52) وكذلك الحاج بوعكاز بن عاشور الذي أعلن ميله للفرنسيين منذ سنة 1838، والذي كان من كبار الشيوخ نراه باعتباره رجل القطاعي، للمزيد من المعلومات حول هذه الشخصية راجع :
AGAGERON CHAR, les ROBERT, *l'Alg'rie Algérienne de napoléon III à Degaulle*, SINDBAD, Paris, 1980, p. 51.

هذا عن الشمال الشرقي الجزائري ، أما عن الغرب الجزائري فالحديث يطول. ويمكن التركيز بالقول، انه بمجيء بيجو(BUGEAUD) معززا بقوات مسلحة، ومحملا بأفكار، مفادها ضرورة الاستيلاء على الجزائر كلية، حيث اعد ذلك الاحتلال ليس لفائدة فرنسا وحدها، بل لفائدة أوروبا كلها، لأن الاحتلال يعني نشرا للحضارة وللفن، للزراعة، للتجارة، وللصناعة. كما يعد ميدانا خصبا لتعايش مختلف القوميات[53].

وبمجيء بيجو تكون الحكومة الفرنسية قد عقدت العزم على أن تقضي على مقاومة الأمير، وبالفعل تمكن بيجو من الانتصار على قواته، وفرض عليه الصلح[54].

واغتنم الأمير الصلح مع الفرنسيين، وانكب على تقوية دولته بأن نظم حملات ضد القبائل، فتمكن منها[55].

---

(53) للمزيد راجع كلا من:
HIPPOLYTE PEUT, *Annales de la Colonisgtion*, T1, Bureau des annalles de la conolisation Algérienne, Paris, 1825, préface & DUVIVIER, *Algérie quatorzes observations sur le dernier mdmoir du général BUGEAUD, DELLOYO*, Paris, 1842.

(54) اذ افتك عاصمة الأمير وحاصر تلمسان يوم 1837/7/1، وانتصر عليه في معركة سكاك، للمزيد من المعلومات راجع: **تحفة الزائر**، ج 1 ص. 168. وعلى الرغم من الهزائم التي لحقت بالأمير، الا أنه لم يلق السلاح مما يدل على قوة إيمانه بدينه وبدولته.

والملاحظ أنه بمجيء بيجو وقع نزاع بينه وبين الحاكم العام دامريون حول التفاوض مع الأمير عبد القادر، الأمر الذي أدى إلى تدخل الحكومة الفرنسية حيث خولت لبيجو الحق في فتح باب التفاوض، والتوصل الى عقد صلح، والمتمثل في معاهدة التافنة راجع **نفس المصدر**، ص ص. 173-174.

(55) اذ انتصر على محمد البغدادي الذي قوي أمره في المدية، ثم حاربت قواته أحمد باي في بسكرة، وأخضع الدواودة وتقراوة، وقد وفدت عليه شيوخ القبائل من مختلف أنحاء الوطن تستنجد به ضد الفرنسيين، الا انه امتنع بحجة انه في حالة سلم مع الفرنسيين، **نفس المصدر**، ص. 186، 190، 195. وكذلك
AGERON, CH., ROB., *Histoire de l'Algérie Contemporaine*, P.U.F. 3è édition, Paris, 1969, p. 16.

الا ان هذا الصلح لم يستمر طويلا، حيث أعلن الأمير الحرب على الفرنسيين، وهو ما كانت ترغب فيه الحكومة الفرنسية[55].

وعلى الرغم من دخول الأمير عبد القادر الى ميدان المعارك بكل ما لديه من قوات،حيث زحف كل خلفائه على مراكز القوات الفرنسية، الا ان بيجو تمكن من الانتصار، وذلك لتوفر عوامل كثيرة؛ وعلى رأسها قوة الجيش الفرنسي الذي تفرغ من العمليات الحربية في الشرق، بالإضافة إلى عزم الحكومة الفرنسية على احتلال الجزائر كلها، بجانب مناصرة بعض القبائل الجزائرية للفرنسيين بخروجها عن الصف ضد الأمير. علاوة على تمكن السلطة الفرنسية من معرفة نقاط القوة والضعف في دولة الأمير، عن طريق كل من ابن دارن، وليون روش، اللذان ـ خاصة روش ـ كانا يزودان الادارة الفرنسية بكل المعلومات عن مخططات الأمير[57]. وأيضا لعدم

(56) لأن فرنسا كانت على دراية بأهمية تلمسان بالنسبة للتجارة، لهذا اغتنمت الادارة الفرنسية توسع الأمير في الزيبان، وحملته مسؤولية خرق معاهدة التافنة، الا أن الأمير تفادى الدخول في الحرب، فخاطب الحاكم العام قائلا: ان منطقة الزيبان كانت غير تابعة لحكم أحمد باي، لا حق لفرنسا فيها بعد أن احتلت قسنطينة، راجع: نفس المصدر، ص ص. 219ـ120.

(57) تمكن ليون روش من أن يلعب دورا خطيرا في العلاقات بين الأمير عبد القادر ورجال الاحتلال، ويمكن معرفة هذا الدور من آثاره خاصة من مؤلفيه:

— *Trent deux ans à Travers l'Islam*, T1, Paris, 1884.

— *Dix ans à Travers l'Islam* (1834--1844), Paris, 1904.

وكذلك في آثار أخرى كتلك التي في أقوال النقيب دوماس *Daumas*, راجع:

GEORGES YVER *Correspondance du Capitaine Daumas*, Alger 1912, pp. 478--480.

ويتلخص ذلك الدور في أنه كان يعمل لصالح الأمير حينا ولصالح الفرنسيين أحيانا أخرى. وقد غفل الأمير في هذا الشأن. ومن ثم يمكن القول أنه كان مخبرا لصالح الفرنسيين. ومن الممكن اصدار هذا الحكم على ابن دران ممثل الأمير في مدينة الجزائر، اذ هو الذي أطلع الحاكم العام بما تم بين الأمير وبعض التجار بمضيق جبل طارق من اتفاق حول استيراد الأسلحة وتصدير المنتوجات الوطنية خاصة الحبوب. راجع:

ESQUER, Gabriel, *Correspondance de Drouel Derlon*, pp. 38--39.

تلقي الأمير لأي نوع من المساعدات من أية جهة كانت [58]. وقد ذهب به الأمر للحصول على المساعدات إلى الاتصال بالباب العالي، لكنه لم يحصل على نتيجة ايجابية.

وبناء على هذا يكون الأمير قد اتصل بالباب العالي بعد أن ضاقت به السبل، بجانب ما كان لحمدان خوجة من دور في ربط الصلة بين رائد المقاومة الوطنية الجزائرية ورجال الدولة العثمانية، حيث فتح له الباب ليراسل السلطان.

ونذهب إلى كون حمدان هو الذي شجعه على أن يراسل السلطان اعتمادا على ما جاء في رسالة الأمير الى حمدان : «لقد بزغ من مطلع ودكم مشترى المحبة... انا كاتبنا آل عثمان مع اننا لم تقع منا قط كتابة، خوفا من عدم القبول أو عدم الاجابة لكن (كذا) علمنا ان تلك اشارة الفعل من لطايف السيد حمدان ولد الخوجة عثمان، وصلة وصل بها انقطاع الرحم عن التدبير، وانك بها لحقيق جدير. فاعتمدنا أشارتك بهذا الرأي الرشيد واستعطفنا سيدنا ومولانا السلطان عبد المجيد، وعرضنا على حضرته العلية حالنا[59].

ولنا أن نتساءل عن العوامل التي غيرت حمدان، بعد أن سبق له ان انتقص من شخصه، على أنه عربي (كما سبق الحديث عنه) وأن سكان تلمسان لما سمعوا ان الأمير تصالح مع الفرنسيين حاربوه تحت شعار: «جهاد هذا الخارجي مقدم على جهاد الكفار، فهزموه[60]».

---

(58) اذ رفض سلطان المغرب تقديم أية مساعدة، وكذا الشأن بالنسبة لبريطانيا. حول موضوع علاقة الأمير ببريطانيا راجع : التميمي، **بحوث ووثائق**. ص. 197 وما بعدها. وقد بعث الأمير أبا محمد المولود بن عراش الى باريس قصد الحصول على مساعدات. حول هذا الموضوع راجع : **تحفة الزائر**، ج 1. ص ص. 222ـ233.
(59) رسالة الأمير الى حمدان خوجة بتاريخ 25 شوال 1257 هـ الموافق 10 ديسمبر 1841، انظر ملحق رقم 29. ويفهم من هذه الرسالة ان الأمير يعرف شخص حمدان خوجة، وانه القائم بترجمة الرسائل الواردة من الجزائر، من والي التركية، الأمر الذي يدفعنا الى الاعتقاد ان حمدان كان سبق له أن راسل الأمير.
(60) راجع تعليق 63، الفصل الرابع.

يكون حمدان رغب في ذلك من باب المصلحة العليا للبلاد، وكذلك نكون الانتصارات التي حققها الأمير أبهرته بعد أن تحولت المصالحة بينه وبين الفرنسيين الى مخاصمة، وانه، يكون يئس من مساعدة الباب العالي لأحمد باي، فرغب ان يعوضها في شخص الأمير، خاصة وأن أبطالا جزائريين يحيطون بالأمير يمكن بهم تكوين جبهة قوية لمقاومة الفرنسيين. ولادراكه انه بعد سقوط قسنطينة لم يبق في الميدان الا الأمير.

ولهذا الغرض راسل حمدان أحمد باي، يدعوه الى اغتنام الفرصة من تجديد القتال بين الأمير والفرنسيين، فقال له: «والآن تحولت محبة عبد القادر الفرنسيوية الى المخاصمة، واتحاده الى الحرب والعداوة فسلط عليهم صناديد العرب، وأوقعوا بهم وكسروا شوكة الكفار، وأوهنوا قوتهم ولله الحمد. فنرجو أن يوافق ذلك مقترحكم، ويكون فيه لكم راحة بل غنيمة، اذ يمكنكم والحالة هذه، أن تسلطوا على الكفار بمن معكم من شجعان العرب، وان تقعدوا لهم كل مرصد، ونحن اخطرنا ذلك لكم... فلن تفوتكم هذه الفرصة ان شاء الله تعالى»(61).

ويبدو حمدان من خلال هذه الرسالة الرجل المتطور، التاكر للذاتية، وللحزازات الشخصية، بدعوته الى كل من أحمد باي والأمير أن يوحدا الصف من أجل المقاومة.

ومن جهة أخرى لم يفوت الأمير الفرصة فراسل السلطان، وصف حالته أمام الفرنسيين، وقيم الوضع القائم، ثم علل أسباب تدهور الحالة بالجزائر، وأرجعها الى ظلم الانكشارية، ثم اشتكى من البلدان الاسلامية المجاورة له، لأنها أحجمت عن تقديم المساعدة له، في وقت لا يمكن مواصلة المقاومة الا بتلك المساعدات. ثم

---

(61) رسالة حمدان خوجة الى أحمد باي في منتصف ذي القعدة 1255 هـ - 1840/2/19 م. راجع: التميمي، بحوث ووثائق، ص ص. 217-218، (نقلا عن B.A. ارادة خارجية 227، ملف رقم 2).

طالب المساعدة من السلطان قائلا: «فان قبل مال، عندك المال وافر، وان قبل جيش عندك العسكر البحر»[62].

ولم يدرك الأمير ضعف الباب العالي، وانه لا يمكن أن يحصل منه على مساعدات، لأنه لم يتمكن من مساعدة أحمد باي قبله.

وكل ما كان من الباب العالي أن بعث للأمير رسالة مختصرة أراها رسالة مجاملة، ذكر فيها: «أما نحن فسوف لن نتردد في مكافأتكم لما تستحقونه من الرعاية وسوف ننفذ كل مما نراه لائقا»[63].

ويفهم من رسالة الأمير حين قال: «ونبرأ منا من كان قريبا لنا من الملوك، ومنعونا شراء ما نتقوى على الكافر خوفا منه... طلبنا منهم الاعانة، فلم يقبلوا، واستعناهم بالأموال فلم يفعلواوطلبنا منهم السلف فكان عين المحال، ومنعوا رعاياهم من اعانتنا بكل وجه وحال»[64]. ويفهم من هذا ان مقاومة الأمير بدأت تعيش أنفاسها الأخيرة وان استمرارها الى فترة متأخرة عن هذا التاريخ، يدل على قوة ايمان الأمير بدينه، وبوطنه.

كما يفهم من استعطاف أحمد باي للسلطان أن يعهد ويؤمن له الطريق كي ينتقل الى اسطنبول[65] يفهم ان السبل ضاقت بأحمد باي وانه لم يجد مفرا من الخطر الا الرحيل الى بلد آمن. ويعني هذا ان السلطة الفرنسية قد تمكنت من البلاد.

---

(62) رسالة الأمير الى السلطان عبد المجيد بتاريخ شوال 1257 هـ - ديسمبر 1841 م. راجع: نفس المرجع، ص ص. 219ـ226، نقلا عن B.A ارادة خارجية 820).

(63) هذه الرسالة بدون تاريخ، انظر: نفس المرجع، ص. 229.

(64) انظر: تعليق 62 من هذا الفصل.

(65) رسالة حمدان الى أحمد باي بتاريخ منتصف ذي القعدة 1255 هـ - فبراير 1840 م. انظر: التميمي، بحوث ووثائق، ص ص. 217ـ218. (نقلا عن B.A. ارادة خارجية، 227 ملف 2).

وتأكد هذا لما تولى سولت رئاسة الوزراء سنة 1840، وكذلك بيجو حاكما عاما في نفس السنة. وسياسة الرجلين متطابقتين تدعوان الى ضرورة الاحتلال الكامل بأية وسيلة.

وفي هذه الأثناء اتسعت رقعة المؤيدين لاحتلال الجزائر كلها، فقدمت المؤلفات والجرائد قصد استثمار البلاد[66]. وتدفقت الهجرة الأوروبية[67]. ومن ثم ظهر تركيب اجتماعي جديد، واتجاهات جديدة لعبت أدوارا هامة في توجيه السياسة الفرنسية بالجزائر[68].

---

(66) نذكر من هذه المؤلفات:

BLANQUI, M., *Algérie rapport sur la situation économique*, Coquebert, Paris, 1840.

وبلانكي هذا عضو في الأكاديمية العلمية، كلف بدراسة الحالة المالية للجزائر، فاطلع على كل المستندات والكتابات عن الاحتلال، وعرضت محتويات كتابه في الأكاديمية العلمية أثناء الجلسات 16، 23، و 30 نوفمبر 1839. واعتبر بلانكي حادث احتلال قسنطينة نقطة تحول هامة في الاقتصاد الفرنسي، وحث من جهة أخرى السلطة الفرنسية أن تعمل على احترام الجزائريين، لأنهم مصدر ثروة لاقتصاد فرنسا.

DUVIVIER, *Solution de la question de l'Algérie*, Gautier-Laguionie, Paris, 1841.

قدم هذا الكتاب كمشروع للاستيلاء على الجزائر كلها والاحتفاظ بها، واشترط لذلك قوة عسكرية عددها 101.360 محارب.

DUCHASSING, M.E., *La vérité str Alger*, Pensard, Paris, 1840.

ودعا الى ضرورة استثمار الجزائر، والوقوف ضد بريطانيا، وان كانت بعض الأصوات عارضت الاحتلال الكلي، ومنهم : روبناط (ROGNIAT, V.) في كتابه

La question de l'Algérie, Corréard, Paris, 1840.

قال بأن الاحتلال سيلحق ضررا كبيرا بفرنسا، والدليل على ذلك أن 40 مليون تنفق في الجزائر على 40 ألف محارب سنة 1839، وان العدد ارتفع الى 48 ألف سنة 1840. لهذا من الضروري الاكتفاء بمدينة العاصمة، وبعض الأراضي الصالحة للزراعة.

(67) بلغ عدد المهاجرين الأوروبيين الى الجزائر حتى سنة 1840 حوالي 28 ألف، راجع : صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 146.

(68) من تلك الاتجاهات السان سيمونية، والتي هي في حاجة الى دراسة مستقلة نظرا لما لها من أهمية في تاريخ الاستعمار الفرنسي للجزائر، لأن الكثير من أتباع سان سيمون رافقوا الحملة الفرنسية، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر - لاموريسيار الذي حكم مقاطعة الغرب الجزائري، وكانت من محاولاته اقامة حكومة أساسها مبادئ =

ومما تقدم يمكن القول ان الجزائر كانت حقلا خصبا لتجارب سياسية متنوعة، اذ تعاقب على ادارة الاحتلال بها حتى الى سنة 1840، حوالي 10، ما بين قادة عامين، وحكام. كما انها كانت عامل اختلاف بين القادة من جهة. وداخل البرلمان، من جهة ثانية. وبين الحكومة الفرنسية والحكومات الأوروبية الأخرى، من جهة ثالثة.

وبعد الدراسة لدور حمدان خوجة، يمكن أن نتساءل عما اذا كان من الممكن وصفه بزعيم الحركة الوطنية الجزائرية، أو له آراء في القومية؟. اننا لا نشارك الدكتور أبو القاسم سعد الله فيما ذهب إليه، بقوله: «نظم الجزائريون بزعامة حمدان خوجة أول حزب وطني سياسي، يعرف بلجنة المغاربة، التي سنطلق عليها منذ الآن حزب المقاومة... (المتكون) من أعيان البرجوازيين الجزائريين مؤيدا من الشعب»(69).

= السان سيمونية، بواسطتها يمكن نشر مبادئ السان سيمونية في بلاد المغرب العربي، ومن ثم العالم العربي، وكذلك النقيب بيجو (BIGEOT) الذي قتل بعنابة سنة 1831، وتتابعت الوفود صاحبة هذا المبدأ على الجزائر بتوجيه من الأب أنفانتان (ENFANTIN) للمزيد من المعلومات راجع:

MARCEL EMERIT, *les SAINT-SIMONIEN en Algériie*, Paris, 1941, p. 67.

ومن اتباع سان سيمون الذين كان لهم دور خطير في توجيه السياسة الفرنسية بالجزائر، الدوق دومال (DUC D'AUMALE) والجنرال بادو (général BEDEAU 1864--1863) راجع: نفس المرجع، ص ص. 152_153. وهذان الأخيران حكما بالشرق الجزائري، وساهما في اقامة المنشآت العمرانية والمدارس والطرق المعبدة، وبوصول اسماعيل ايربان (THOMAS URBAIN) الى الجزائر سنة 1837 تكون عائلة سان سيمونية قد تكونت بالجزائر، وساهمت في توجيه السياسة الفرنسية. وان كان يلاحظ على ايربان ـ كاستشاء ـ انه اعتنق الاسلام ولعب دورا آخر يختلف عن أدوار الآخرين من السان سيمونيين، وأملنا أن نعقد دراسة عن هذه الشخصية . ولمعرفة شيء عنه راجع:

Bibliothèque de l'ARSENAL, *catalogue (W 29--12)*, *(W 29--10)*.

وهو عبارة عن مخطوط كتبه اسماعيل ايربان بخط يده، 53 صفحة من الورق العادي، تبين ترجمة عن حياته ونشاطه السياسي، هذا بالإضافة الى جملة من المراسلات التي تبادلها مع شخصيات هامة ، هي محفوظة ل: ARCHVES D'Outre-mér, IXI, micro No. 1 à 4.

(69) أبو القاسم سعد الله. الحركة الوطنية الجزائرية، ص ص. 35_36.

ذلك لأنه لا يمكن اعتبار كل حركة، هي حركة وطنية أو حزب وطني. لأن الحركة التي قامت في العاصمة بالذات لم تكن تتمتع بصفات الحركة الحقيقية، لأن نشاط أغلب أعيان العاصمة وفي مقدمتهم حمدان خوجة لم يكن يرتكز على قاعدة شعبية، فالكتل العشائرية، والقبائلية،التي تتكون منها البلاد كانت متنازعة فيما بينها. ولم تكن هناك صلة قوية تربط بين تلك النخبة التي تزعمت ذلك النوع من الحركة، والقاعدة الشعبية التي هي أساس الوطن.

وبناء على هذا يمكن تسمية ذلك النشاط بحركة الصفوة أو النخبة الأولى من أعيان العاصمة وعلمائها الذين كانوا يسمون بأهل العقد والحل؛ وكانت تأسست في العاصمة، خاصة،ورفعت لواء المقاومة السياسية في صورتها البسيطة، ونصبت نفسها للدفاع عن حقوق أبناء العاصمة أكثر مما نصبت نفسها للدفاع عن الجزائرين بوجه عام.

بينما نجد تلك الكتل العشائرية والقبائلية، خاصة في الغرب الجزائري،هبت والتحمت فيما بينها ، للوقوف أمام خطر يهددها من الخارج، فبايعت عبد القادر بن محي الدين أميرا عليها. الأمر الذي يجعلنا نعتبر مبايعة الأمير البداية الصحيحة للحركة الوطنية الجزائرية، في صورتها الواسعة، واستطاع الأمير بما لديه من قوة الايمان، والوجاهة،أن يجمع اليه شيوخ القبائل،وأن يطور هذه الحركة بسرعة ويحولها إلى دولة.

بالإضافة إلى هذا فاننا لا نجد لحمدان قبل أن يسافر الى فرنسا من بين وجوه نشاطه ما يدل على أنه كان أحد الأعضاء للحركة الوطنية، فضلا عن أن يكون زعيما لها. ثم أنه لم يكن سياسيا محترفا حتى يكون زعيما لحزب وطني.

وفي باريس ربط قضاياه الخاصة بالدفاع عن القضية الجزائرية ونلمس من نشاطه ذاك أن معالم وطنيته قد تحددت إلى حد.

وإذا صح القول بأن وطنية حمدان قد تحددت معالمها إلى حد فلا يصدق القول بأنه رائد للقومية الاسلامية، والقومية العربية،لأننا لو سلمنا برأي الدكتور أبي القاسم سعد الله: من الممكن أن يعتبر الباحث خوجة ، من الناحية الموضوعية، والتاريخية ليس رائدا للوطنية الجزائرية فقط، ولكن رائدا أيضا للقومية الاسلامية والقومية العربية اللتين أصبحتا بعد عدة عقود حركتين...[٧٥]. فلو سلمنا بهذا لكان حمدان ساذجا ومتناقضا مع نفسه والا فكيف يدعو إلى مفاهيم ثلاثة متناقضة، وهي: الوطنية. القومية العربية. والقومية الاسلامية. لأن حدود الوطن تتمثل في الحواجز السياسية، في حين أن حدود القومية تتوقف عند حدود اللغة. ولو سلمنا جدلا بأنه دعا إلى قومية اسلامية بالمفهوم الحديث للقومية، يكون حمدان عمل على تفرقة العالم الاسلامي الذي يضم شعوبا تتكلم لغات مختلفة. وان كان لا ينكر تفتحه واطلاعه على الأفكار القومية، والليبرالية التي عاصرها وتأثر بها.

هذا ويجب ألا يحدث خلط بين المدلولات التي تعبر عن مفاهيم العصر الذي عاشه حمدان، خاصة بين مدلول: (PATRIOTISME) الذي يعني الوطنية. ومدلول: (NATIONALISME) الذي يعني القومية. ففي أوروبا غالبا ما ينطبق مفهوم الوطنية على مفهوم القومية ، في بلد واحد، فالقوم كانوا يشكلون الوطن، خلاف ما في العالم الاسلامي الذي يضم أقواما وبالتالي أجناسا تتكلم لغات مختلفة. وان كان مفهوم القومية لم يكن متداولا في العالم الاسلامي، انما المتداول هو الملة.

(70) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ص. 38.

الخاتمة

بعد العرض والتحليل لموضوع البحث: حمدان خوجة وتطور القضية الجزائرية،توصلنا إلى جملة من النتائج الهامة، والتي يمكن استخلاصها على الوجه التالي:

لا يمكن دراسة القضية الجزائرية وتطورها، خلال العصر الحديث بمعزل عما كان يجري على الساحة الدولية، لأن العلاقة وثيقة، بين ما كان يحدث في بلاطات أوروبا، من قوة وتقدم، وما كان يسود العالم الاسلامي، بعامة، والجزائر بوجه خاص، من جمود وتفكك، فتوصلت بالدراسة الى نتائج هذا التفكك، الذي نلمس مظاهره في الصراع الدامي، بين ولايات المغرب، من جهة ، وفي التناحر بين تشكيلات السكان لهذه الولايات. وما كان يتربص بها من خطر أوروبي، من جهة ثانية. اذ اتخذت بلاطات البحر المتوسط من عامل القرصنة والاسترقاق مبررا للهجوم على الجزائر، وتمثلت أعنف الهجومات في الحملة الفرنسية سنة 1830، بعد أن فشلت محاولة محمد علي والي مصر، للقضاء على ولايات المغرب الثلاث، طرابلس، تونس والجزائر.

وقد أيدت حكومات أوروبا حكومة فرنسا، وساهمت سواء من قريب أو من بعيد بمساعدة لا تنكر، في الحملة الفرنسية، وفقا لمصلحة كل واحدة على حدة، وذلك لإبعاد الخطر الفرنسي عن الساحة الأوروبية لحماية الأنظمة المحافظة . ومن ثمة

أمكن القول، أن الحملة لم تكن فرنسية محضة، بل كانت حملة أوروبية، باستثناء بريطانيا التي أبدت نوعا من المعارضة.

تمت الحملة في عهد أضعف ملكية فرنسية وحكومة ، نتيجة لتعاقب عدد من الوزراء خلال مدة قصيرة على الرئاسة، ولضعف شعبية الملك شارل العاشر.

وان كان يشهد لدى بولينياك ببعد النظر حين ربط قضية الجزائر بقضايا فرنسا الداخلية، فوظف عامل الضعف بالدولة العثمانية وبوجاق الجزائر، واستنكار الدول الأوروبية للقرصنة المغربية، وامكانات فرنسا الذاتية، وظف كل ذلك للصالح العام الفرنسي.

وان كان ذلك لم يمنع المعارضة الفرنسية من رفع أصواتها مستنكرة لسياسة الاحتلال،الا أن تلك الأصوات لم تتعد حدود الكلمة المكتوبة أو المسموعة، لأن فرنسا قررت احتلال الجزائر.

وبمجرد أن وطأت أقدام الفرنسيين أرض الجزائر، هب الشعب الجزائري يدافع عن وطنه وعن دينه، وعن عزة نفسه، فتوصل بنا القول الى أن الحملة انتصرت على قوات الداي لا على الشعب الجزائري.

ويحمل وجاق الجزائر مسؤولية كبيرة في تمكن فرنسا من احتلال الجزائر، لأنه لم يول عناية للنهوض بالبلاد، من كافة الجوانب، وأولى عناية أساسية لمقومات ثلاثة، هي حفظ الأمن، حماية الحدود، وجباية الضرائب، ولم يعن بما يمت بالصلة إلى ازدهار التعليم ، باستثناء فترة حكم الثالوث : الداي محمد بن عثمان باشا، محمد الكبير، باي وهران،وصالح باي قسنطينة، الأمر الذي أدى إلى تنافس الزاوية المدرسة، فيزداد معظم الجزائريين اغراقا في الخرافة، ويلتفوا بالمرابطين بدل العلماء وكان هذا من ضمن عوامل الضعف التي تفطنت اليها السلطة الفرنسية واستخدمتها

كوسيلة ناجمة لضرب وجاق الجزائري. خاصة بعد أن وزعت من تونس بيانات حرضت فيها الجزائريين على الثورة ضد النظام العثماني.

ومع ذلك فقد برهن الجزائريون، على أنهم ليسوا من النوع الذي يستخف بهم لأن شيئا كهذا ـ كهدف فرنسا ـ لا ينطلي عليهم، فقاوموا الفرنسيين أشد مقاومة بقوات ذاتية.

واتخذت المقاومة الجزائرية، من السلاح والكلمة وسيلة، للدفاع عن الوطن وعن الدين وعزة النفس.

حيث تزعمت الصفوة الأولى ، لواء المقاومة السياسية، وفي مقدمتهم حمدان خوجة، الذي أظهر أسلوبا ذكيا مع القادة الفرنسيين، للحفاظ على مركزه الاجتماعي ومصالحه، اذ أنه في الوقت الذي أبدى فيه نوعا من التعاون مع الادارة الفرنسية حاول أن يبلغ رجالها معطيات البلد، محذرا اياهم من مس مقدسات الشعب خاصة المساجد.

وعلى الرغم من أن حمدان لم يكن سياسيا محترفا، وعلى الرغم من أنه في سن الشيخوخة، وفي عاصمة أعدائه، وعلى الرغم من أنه من برجوازيي مدينة الجزائر على الرغم من ذلك فقد انكب يدافع عن القضية الجزائرية، لأنه من عادة أصحاب الثروة يجنحون إلى السلم، ولا يعارضون. الا أن شيئا كهذا لم يحدث من حمدان وهو الصوت الوحيد، القوي، الذي ندد بالنظام الفرنسي بالجزائر، وتطور هذا الصوت إلى حركة وطنية تزعمت لواء المقاومة السياسية، اذ راسل أكثر من جهة، وخاطب بتأليف قيم ومذكرة، ومقالات، الرأي العام الأوروبي، الخاص والعام،وعرفهم بعدالة القضية الجزائرية، وبتعسف الادارة الفرنسية. وكانت النتيجة أن هبطت حظوظه، وفقد كل شيء، فيمكن وصف شخصيته ونشاطه بالمجلد الضخم.

وان اهتمامات حمدان لم تقتصر على قضايا الجزائر، فحسب، بل كانت أوسع فشملت ولايات المغرب ، بخاصة، وبالعالم الاسلامي بوجه عام.

ويمكن بحق للجزائر وللعالم الاسلامي الافتخار بشخص حمدان خوجة وعده في مصاف السياسيين الوطنيين، والمجددين في العالم الاسلامي، لأنه ختم حياته باثراء المكتبة الاسلامية ـ العربية، بمؤلف قيم في الاصلاح السياسي والاجتماعي.

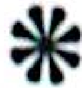
وهناك وجوه أخرى، جزائرية، داخل الجزائر وخارجها، حملت لواء المقاومة السياسية، ومنهم ما أسماهم دوروفيكو «بلجنة الدسائس»، التي انتصبت في مدينة الجزائر، وحاولت أن تمنع الادارة الفرنسية من التفاوض مع الحاج أحمد باي ومع الداي حسين، وقالت انها أولى منهم بالتفاوض ، قصد استلام البلاد بعد الجلاء الفرنسي.

وتتشكل هذه اللجنة من أعيان الجزائر العاصمة، ولا نعتقد أننا نبالغ ان قلنا، تعتبر هذه اللجنة أول صفحة من صفحات الحركة الوطنية الجزائرية.

وفيما يخص المقاومة الوطنية المسلحة، فقد كانت شاملة، أينما وطأت أقدام الفرنسيين، كانت من طرف الشيوخ الذين مزجوا السياسة بالدين،وكانت مقاومة غير منظمة، وليست كفأة لقوات الاحتلال ، ومع ذلك كانت قوية سلاحها الجهاد المقدس، الدفاع عن كرامة الوطن، والذود عن حرمة الدين،وحماية عزة النفس. كما كانت من طرف أحمد باي، الذي رأى نفسه الوريث الشرعي لممتلكات الباب العالي، بعد سقوط الداي حسين. فالتزم المقاومة الى فترة متأخرة من الاحتلال، بقواته الذاتية، وأمام جملة من العراقيل، وعدم وصول أية مساعدة.

وفيما يخص المقاومة التي تزعم لواءها الأمير عبد القادر، فهي لم تقتصر على الجهاد فحسب ـ الفعل ورد الفعل ـ بل على تطوير تلك المقاومة إلى حركة وطنية. لأن التشكيلات القبائلية والعشائرية، خاصة في الغرب الجزائري، هبت والتحمت

على الرغم من ردود الفعل تلك، الا أن الحكومة الفرنسية قررت التوسع في الجزائر، والاحتفاظ بها، وأعلنت أن الجلاء يعني المس بذاتية الأمة الفرنسية وبشرفها.



البحـــر المتوســـط

شبه جزيرة سيدي فرج

أسطاوالي

ملحق رقم 1

مسرح العمليات الحربية
أثناء الحملة الفرنسية
على الجزائر سنة 1830

① نقطة النزول لقوات الحملة

3.

N° 2.

Requête.





renvoyé au ministre des affaires étrangères

ذات معظم

شوكتلو مرحمتلو عاطفتلو فقرا پرور شفقتلو حضرتلرينك

خاكپاى سعادتلرينه يوز سوروب ملتجى ايچون واقع اولمش ايكى باشنه اولديغم واهل عيال باباسى حالى پريشان اولمش
قولرينى كوروب مرحمتلرينى آرزو ايچون ذات معظم حضرتلرينه قاوشمق رجاسنده اذن ايستيوب
اشبو استدعانامه تحريرينه جسارت قلنمش ايكن حال پريشانلغم وخوف بيوردقلرى بابنده مرحمتلو ضعفا و
فقرا معاونتلريدر اسال ايتمكه جرأت اولنمشدر اولكم ترحم دستگيرى مرحمت منظور سلطانيلرى
اولوب حضور شوكتلرينى كورمكه اذن شريفلرى صادر اولديغنده نه درلو حالى پريشان اهل عيال باباسى
اولديغم معرفت ايدر وده حقيرانه درمان اولور وحالى افاده ايتمكه حضور سلطنتلرنده برترجمان اولمق
خصوصنى مأمول ايدرم دنياده برمقصودم وارسه باغيشلرسه بابنده نياز ايدرم

قولكز حقير حمدان بن المرحوم عثمان خوجه
جزائرلى

Rue St. Florentin, 10.

[illegible]

Renvoyé par le Ministre des affaires étrangères, à Mr. Jouannin, le 24. juillet & traduit le 25. 7.

ملحق 2 رسالة حمدان الى ملك فرنسا

A.M.G. H.20

ملحق رقم 2

رسالة حمدان خوجة الى ملك فرنسا ، لويس فيليب
بتاريخ 19 جوان 1835 باللغة التركية

ترجمة : **الدكتور بـرو توفيق**

للحظوة بمواجهة حضرة الملكية ، ذى الرحـ ـ والعطف والشفقة ، التماسا لسنده ولعطفه على رب عائلة بلغ الثانية والستين من العمر ، واصبح فى حالة يرثى لها أتجاسر بتقديم هذه العريضة راجيـــا الحصول على الاذن بمقابلـة جلالته ، لاجل أطلاعه على ضعف حالى وبؤسى . وبعد ترجمة طلبى والحظـوة بنظر جلالته بعين العطف وقبول امتثالى أمام فخامته ، آمل ان ينظر بعين الشفقة الى حالتى البائسة بوصفى رب عائلة كبيرة ، وان يجد الحل الشافى الـذى يراه مناسبا لحالتى . كما آمل أن يرافقنى ترجمان كى أعرض لفخامته تفصيل حالى . واذا كان ثمة قصور قد بدا منى فاسترحم منه العفو والمغفرة .

ملحق 3 – الصفحة الأخيرة من مخطوط نور الإيضاح

Requête [illegible] à la Demande d'une audience du Roi, par Sidi Hamdan d'Alger.

دولتلو عطوفتلو رفيع الهمم ولي النعم ذو الكرم افندم

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ملحق رقم 4

عرض حال حمدان باللغة التركية

[illegible]

بو عرضحال مطوی تحریر ایدن حمدان بن المرحوم عثمان خوجه نك امضاسی

ایرشه آمین
آمین

[illegible]

Ali Hamdan Ben Osman Khodja
d'Alger.
Rue St. [illegible] N° 40.
à Paris.

ملحق 4.
AM.4 #20

ملحق رقم ٤

تابع عرض حال حمدان

ملخص لعرض حال حمدان خوجة الذى قدمه الى لويس فيليب باللغة التركية بتاريخ 19 جوان 1835

بعد تقديم تحيات التقدير ، وبعد ذلك قال عن نفسه بانه بلغ 62 من العمر وانه من ذوى الاعتبار والجاه فى هذا البلد ، واحد الاغنيـاء الكبار ، اذ كان يملك بسهول متيجة 10.000 راس من الاغنـام ، 600 راس بقـر ، 200 زوج من الافراس ، 200 زوج من الثيران ، 60 جملا ، 60 بغلا ، 600 خلية من النحل ، بالاضافة الى الآلاف كيلة من الحبوب .

واثناء الحملة الفرنسية على الجزائر نهب سكان (عرب) متيجة هـذه الاملاك ، والمقدرة بـ : 400.000 فرنك .

علاوة على هذا فهو كان أحد كبار تجار الجزائر ، وله ديون تقـدر بـ : 300.000 فرنك ، عند جماعات خارج الجزائر وعند جزائريين وبعد الاحتلال خسر مردود هذه التجارة وخسر ديو نا عند المدنيونين . بسبب أن الذين كان يتعامل معهم بمدينة الجزائر أو خارجها قد هاجروا من البلاد .

زيادة على هذا كان يملك بأحد مخازنه . كميات هائلـة من المحاصيل الزراعية ، والاقمسة التى تجمدت ، يضاف الى ذلك القوافل التجارية التى لم تدخل المدينة بسبب ظروف الاحتلال ، فاضطر لبيع تلك السلع بالخسارة .

كان قدم شكايات الى الادارة الفرنسية قصـد تعويضه 10.000 فرنك نسبة الورق الذى أخذه منه لداى حسين لصناعة الخراطيش اثنـاء نـزول الحملة الفرنسية فى سيدى فرج وكان جزاء الادارة الفرنسيـة ان فرضت عليه غرامة قدرت بـ : 1200.000 فرنك . ووضع فى السجن هو وخاله محمد ابن أمين السكة البالغ من العمر 80 سنة ، ولم يخرجا منه الا بعد ان دفعا 132.000 فرنك .

ولم يجد بدا الا اللجوء الى عدالة الحكومة الفرنسية ، حيث قضى 26 شهرا عن قرب لمتابعة قضيته ، الامر الذى ادى به الى ان يصبح فى ذمته دين مقدر بـ : 7000 فرنك ، بعد أن أنفق كل ما كان بحوزته من نقود .

ولم تعوض له 19.000 فرنك قيمة ما أنفقه فى رحلتيه الى قسنطينة موفدا من قبل دى روفيكو الى احمد باى ، من أجل اقرار السلم مع الحكومة الفرنسية

وقال : كان كلوزال قد هدم الدكاكين التى كنت أمارس بها تجارتى لاجل اقامة ساحة وطرق ، على أن يعوض لى قيمتها وسلمت الى المارشال سولت نسخة ، عليها ختم القاضى تبين رسم خريطة لتلك الدكاكين ، فكان رد الحكومة الفرنسية ، وجوب الانتظار بعد التاكد من صحة اقوالى فى الجزائر . وكيل الدومين قد استلم النسخة الاصلية من ابنى . فاكون قد طعنت من مختلف الجهات ولم احصل على شىء منذ 5 سنوات .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

لله

حضرة أخي المكرم سيدي احمد اسعده الله وادامه بعد السلام والتحية والاكرام مطلع جنابكم اني سافرت يوم الثاني الى ...
لاجل العز والاحترام ولم يكن لي ان ادخل البلاد التي عندكم فيها جرموني ودربوني في الحبس وأخذوا الدراهم وبعدت سبعين
انهم اعطيتم منكم بعد الحبس ولا يقولوا هذا الكلام الا بعد ما يخرج لكم وما نزل ليه ودا ولو كانوا قالوه من قبل لكتبنا انهم يقولوا
كنت نحب لهم ان الحبس لكن الظلم في الجزاير اليوم اقبح من الذي يقولوا الترك كانوا يظلموا الهم ظلم الترك ولا ...
كانوا الامور على شبكة واليهود مسلطين على وانا في الجزاير ما نقدر نحل فوق ما عملت ... واحد ... الفرنسيس وانا
والنصارى جابوا ... جريدة كل واحد اش عنده ونحن حسبونا اربعين مليون ولو كان يقولوا ... رأسي ... مع اليهود
... وتسلطوا على وبلاد العافية ... وانا ... الترك ويجاروا لاجل ... ولاجل ما ... الله على من العلم وان كان
... من فضل الله ... عليك يا اخي ... اولادي ... ويبيعوا ويشطوا ... ويشدون الى ... الرزق على الله
وكما قرصوا ان ... ارضنا ... ونبقوا جلد سبع على ... واليوم اراد الله يكشف الستر ... على كل حال
وكل ما قدرت نشوف بعيني ما غاب من العيب طاب على الخاطر وهذا جلالة السبب وانت يا اخي الله الله ... ودوقت منهم
... ناس الثامن ... من ناس البلاد عرفوا حقيقة الجزاير وعرفوا جميع ما صار من كذب ما غاب الا على ... والتحقيق ان
٧٤٣ ... ٤٥ ... ٩ ... ٤٣٤٠ ... ٨٠٤٧ ... ٠٤٧ ... ٦٤ ... ٨٢ ... ٨٠٤٠٧ ... ٤٠٢٤٠ ... ٤٤٠
... ٧٩ ٦٤ ... ٤٤٠ ... ٠٧ ... ٠٨٣٧ ... ٤٤ ... ٦٦ ... ٨٠٢٤ ... ٣٧ ... ٨٤٠٧ ...
... وعهد الله بيني وبينك وعهد النبي عليه الصلاة والسلام ما تحسبك الا مثل نفسي ولو عرفت ... كنت ...
الا ... ومع هذا ... ٦٠٧ ... ٤٤٠ ... ٤٠ ... ٩٠ ... ٠٨ ... ٦٠ ... ٠٠ ... ٠٦٢٠٤
... ٧٤٤٣٠٦ ... ٦٤ ... ٤٠٧ ... ٠٨٠ ... ٤٤٠ ... ٦٣٦ ... ٤٤٠ ... ٧٤٤ ... ٠٧ ... ٦٣
... ٦٦٣ ... ٠٥ ... ٠ ... ٤٧٤٠٧ ... ٦٦٧٠ ... ٨٤٣ ... ٦٦٧٠ ...
... ٠٠٤ ... ٧٧٤ ... ٤٤٠ ... ٦٣٠ ... ٤٤٠ ... ٨٠٤ ... ٨٠٤٠ ... ٤٢٧ ... ٨٤ ...
... ٠٤٤٢٧ ... ٦٠٦ ... ٤٤ ... ٨٦ ... ٣ ... ٤ ... ٧ ... ٨٠٤٤ ... وتدفع ... الله
٧ ... ٦٦ ... ٦٠ ... ٨٤ ... ١٢٥ فرنك على ما قال لي الحاج حسن وانا مال ... وسيدي اسماعيل ...
في الطريق ... ضيفت ... واعطيته مائة فرنك وقطعت خمسة واربعين من الذي سلفت له من قبل واذا ... الله ...
... ان شاء الله ... سيدي اسماعيل ومصطفى ... على ... الف فرنك ...
اسماعيل ... شي سوى فضل الله والله بحيرها ... من ضاق به الحال ... في ...
... ٤٤٠ ... ٠٧ ... ٦٧١٧ ... ٤٠٧ ... ٣٤٠ ... ٨ ... وانت يا اخي ... ٤٤ ... ٨ ... ٤٤٠ ... ٢٧ ...
٦٠ ... ان شاء الله ... ٤٤ ... ٨ ... ٦٣ ... ٧ ... ٨٠ ... ٦٣٠ ... ٤٤ ... فيه ... الرجال ... واذا ... على ...
انا ... وكبر شانه والله يسمعنا عليك الخير ودم بخير والسلام ختام وفي الوسطة السابقة كنت ...
حتى جاز الوقت ونكتب اليك في ... في الوسطه ... لكتب للحاج حسن واعطيها الى ...
... الله ... والسلام من محبكم ... حمدان
... كان الله
له

واسلاميه و ... عالقبر

٢٦ ... ١٨٢٩

وما انتخبته من كتاب زهر الرياض لاحمد بن محمد المقري وهو مجموع مبسوط بذكر فضائل القاضي عياض وسيرته ومشائخه ونظمه ونثره وما قيل فيه الا ان المصنف التزم فيه الخروج بالاستطراد الى ذكر فوائد وغرائب فكان كالمحاضرات ولو وجدت الجزء الاول منه الذي وجدته في خزائن الكتب في باريز من التصحيف الذي يفهم المعنى لانتخبت ازيد من الذي انتخبت ولم يكن اصلاح ما اشتبه منه بالقرائن الا ما تبين لي وجه ذلك فانا على عدم يقين بالاصابة في اصلاح في ذلك

ان القاضي عياض كان لا يخطب الا بانشائه . فمنها خطبة اقتبس فيها آيات من سورة الكهف . وهي الحمد لله الذي سبق لكل موجود قيما . ووسع كل شيء رحمة وعلما . وجعل لاوليائه طريقا نهجا أمما . وانزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما . لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا . احمده على سوابغه وهو احق من حمد . واسأله ان يجعلنا اجمع ممن رضي عمله برضاه وسعيه . واستعينه على طاعته وهو اعز من استعين واستنجد . واستهديه توفيقا فانه من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل الله فلن تجد له وليا مرشدا . واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة فاتحة لاقفال قلوبنا . ماحية باثقال ذنوبنا . منزهة له عن التشبيه والتمثيل بنا . وانه تعالى جد ربنا . ما اتخذ صاحبة ولا ولدا . واشهد ان محمدا عبده ورسوله انزل عليه الفرقان . وبعثه بالهدى والايمان . واخزى بدعوته دعوة اولياء الشيطان . واقعدهم مقاعد عن السمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا . ايها الناس قد ايقظكم صرف المنتذر من سنة الهوى وسكراته . ووعظكم كتاب الله بزواجره وعظاته . فاتقوا حدوده وتدبروا حكم آياته . واتلوا ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته . ولن تجد من دونه ملتحدا . اين الذين عتوا على الله وتجبروا . واستطالوا على عباد الله وتكبروا . وظنوا ان لن يقدر عليهم حتى ظلموا . وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا . وجعلنا لمهلكهم موعدا . غرهم الامل وكرات الظنون . وخدعهم طوارق الغير وريب المنون . وظنوا انهم الينا لا يرجعون . حتى اذا رأوا ما يوعدون . فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا . فهذبوا رحمكم الله سرائركم بتقوى الله واخلصوا . واشكروا انعمه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها . واحذروا نقمته واتقوه ولا تعصوا . واعتبروا بمن بعده فكل متربص فتربصوا . فستعلمون من اصحاب الصراط السوي

ملحق رقم 6

صفحة من ملخصات حمدان خوجة

ملحق 7 _ الصفحة الاولى من مخطوط **نور الايضاح**

يصلح قلبي ويغفر ذنبي ويصلح لي ذريتي والله [illegible]
لله اولا وآخرا وباطنا وظاهرا انتهى ولله الحمد على كل حال وصلى الله على سيدنا [illegible]
آله وصحبه وسلم تسليما على يد العبد الفقير حمدان بن [illegible] عثمان خوجة كان الله له [illegible]
وكان الفراغ من نسخه في ذي القعدة الحرام من شهور عام الف ومائتين وستة
واربعين من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة
وازكى التحية

سنة [illegible]
ذي الحجة
[illegible] الله

ملحق رقم 8

ة الاخيرة من ملخصات حمدان

ملحق 8 . آخر الصفحة الأخيرة
من ملخصات حمدان / المكتبة الوطنية
الجزائر العاصمة

١٨٤

[illegible]

تملك هذا الكتاب العبد الفقير علي بك[1] بن المرحوم حمدان افندي

خوجه غفر الله له ذنوبه امين ... [illegible]

١٢٦١

[illegible]

١٢ ذي الحجة

[illegible]

1) a été Gouverneur Général de Tripoli au temps [illegible]

[illegible] était Gouverneur Général de [illegible]

Tous deux ont été camarades de classe [illegible]

[illegible] Abdellatif, [illegible]

[illegible]

ملحق رقم 9

الصفحة الاول من ملخصات حمدان

AMA dossier
Hamdan Khoja
Aix
3 pages

(9)

Ali Ben Hamdan, officier au service de sa hautesse le Sultan Mahmoud,

a l'honneur de faire passer à son Excellence Monseigneur le Ministre de la guerre, une réclamation de Sidi Hamdan Ben Othman Khoja, son père, en ce moment retiré à Constantinople.

Il joint à la dite lettre sa traduction en langue française.

Ali Ben Hamdan prie son Excellence d'accorder à cette requête, toute l'attention qu'elle mérite.

Paris le 20 octobre 1836.

Barbet, professeur d'Institution

Chez à l'institution ... rue St Jacques N° 3

ملحق 10

عن علي رضا باشا بن حمدان

٠ رقم: رسالة حمدان خوجه الى صديقه محمود
[نقلا عن خط همايون ا.

ملحق 11

رسالة حمدان الى صديقه محمود

SECRÉTARIAT GÉNÉRAL
16 MAI 1833.

Monsieur le maréchal

M.r le lieutenant général Danremont vous a présenté qu'il avait donné son agrément à ce que je vienne à paris, pour y voir mon fils dont la santé se altéria. mon premier devoir, Monsieur le maréchal, est de venir vous présenter mon hommage et à vous remercier des secours que je dois à vos bontés, ils ont adouci l'amertume de ma position et la tire que les injustices de M.r le Duc de Rovigo m'ont occasionnées. je suis pénétré des bontés de votre excellence et entièrement à ses ordres. agréez l'hommage du respect avec lequel j'ai l'honneur d'être votre très humble et très obéissant serviteur

Hamed Bouderba

paris le 15 mai 1833

rue Laffitte n° 32



AAM/1H9 . 12 ملحق

ملحق رقم 12

رسالة أحمد بوضربة

Note
pour Monsieur le Maréchal.

Bouderbah se borne à remercier le Ministre de ce qu'il a fait pour lui depuis qu'il a quitté Alger. Il ne fait encore aucune demande; mais il y a lieu de croire qu'il sollicitera l'honneur d'avoir une audience de Monsieur le Maréchal. Comme c'est un homme qui peut avoir d'utiles renseignemens à donner, on pense qu'il n'est pas sans intérêt que Monsieur le Maréchal veuille bien l'entendre.

Ce 18 Mai 1833.



ملحق 13 - ملاحظة الى الماريشال سولت

A.O.M., 1H1

ملحق رقم 13



الحمد لله وحده وصلى الله على

ان سفى ان انحيا حضر تنا العزيز علينا ونسو رابطها رئا سيك عمار بن سيد ابراهيم

[illegible]



A.O.M. 141

ملحق رقم 14

رسالة احمد بن ابراهيم الى عمار بن ابراهيم بن مصطفى باشا

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

ملحق رقم 15

شكوى من 21 سجين جزائري

93

ملحق 16
شكوى من 38 جزائري

ملحق رقم 16

شكوى من 38 جزائري

الحضرة المعظم الارفع الاسمى الزكي الاشمل الوجيه الاو
المرعى برعاية الله الذي من علي وعليه اعتمادنا [illegible]
وزير الاعظم بشتار الكبير السلام عليك ورحمة ا
وبركاته من عند خدامك واولادك ومقبلين اياديك
وتحت امرك وطاعتك اهل الجزاير نطلب منك ومن
[illegible] علينا وتنظر حالنا مارفع لنا
[illegible] على [illegible] ردا لكل شيء بظلم واليوم
[illegible] تحكم علينا بالجبارة [illegible]
[illegible] للباشا في وقت [illegible]
اليوم [illegible] واليوم اذا يظهر لكم يصلح بد
[illegible] علينا بيه [illegible] بلادك ونحن رعيتك وكل راعي
يسال عن رعايته ونطلب الله يكون للظلم ما جرى علينا
[illegible] بايامكم السعيدة

ابراهيم [illegible] — [illegible] باغ

[illegible] — [illegible]

[illegible] — محمد بن الحاج [illegible]

ملحق 17 شكوى من 23 جزائري
A.M.G. H20

ملحق رقم 17

شكوى من 23 جزائري

الى حضرة المعظم الارفع الافخم الازكى الاشمل الوجيه الا
المرعى برعاية الله الذي من على رعيته اعتناء ونار
وزير الاعظم [illegible] الكبير السلام عليك ورحمة ا
وبركاته من عند خدامك [illegible] ومقبلين ايادي
وتحت امرك وطاعتك اهل الجزاير نطلب منك ومن
[illegible] تنعم علينا وتنصر [illegible] ما رفع لك
[illegible] شيء [illegible] اليوم
[illegible] تنعم علينا [illegible]
[illegible] اليوم
اليوم [illegible] واليوم اذا [illegible]
[illegible] علينا [illegible] بلادي ونحن رعيتك وكل راعي
يسأل عن رعايته ونطلب الله يكون [illegible] علينا
[illegible]

ابراهيم [illegible]

[illegible] باغ

[illegible]

[illegible]

محمد بن الحاج [illegible]

ملحق 17 شكوى من 23 جزائري
A.M.G. H20

ملحق رقم 17

شكوى من 23 جزائري

الحمد لله

حضرة الوزير المعظم الدستور المكرم وفقه الله رحمته وعزه شفقته

بعد تعظيم قدركم الرفيع نعلم جنابكم انني كنت صنعت في ايام الامير

كتابا العنه وذكرت فيه ماكان وقع من الحكام الذين كانوا في الجزائر من الظلم

والامور التي لا تناسب اصول السياسة والعدل الذي هو شان الدولة

الفرنسوية وكانت الدولة غافلة عن فعلهم معتمدة على حسن ظنها بهم

فلما تنبهت الدولة لذلك والحمد لله وعزمت على اجراء ماهو شانها من

الرفق والعدل والحرية فظن اولئك الظلمة واشياعهم انني كنت

السبب في كشف عيوبهم فاتخذوني عدوا وكتب بعضهم في ذمي مالة

كتب ما يجزم كل عاقل انه تعصب ومكابرة فاجبته مع الانصاف بجواب

اردت ان يطلع عليه حضرة الوزير حتى يعلم ما انا عليه من الاخلاص في نفع

نوع بني آدم وفي ارادة الذكر الجميل للدولة الرفيعة فادرجت نسخة

من الجواب طي هذا المكتوب وتجاسرت على ارسالها لحضرتكم الرفيعة

مصحوبا بالتعظيم والاحترام في البدء والختام من عبدكم الفقير



حمدان بن المرحوم عثمان خوجه

سنة ١٨٣٤ 27 غشت

ملحق 18 – رسالة حمدان الى الوزير الفرنسي

[illegible]

والحادي عشر أنهم أخذوا الأملاك والأوقاف المسكونة
للعساكر والجمالات وخرجوا منها الأطباء والشالوم
ولم يعطوا كراءها ولا قوموها وبساتين كذلك قطعوا
أشجارها وقلعوا أسوارها وأبوابها فأمر قوموا صاحبها
فنطلب كراءها وثمن ما أفسدوه منها بتقويم المقومين

الثاني عشر أنهم أخذوا طرفا من الطين الكراريط الواضع الصالحة
أخذوها بيادا وبيارا فدخلوا بحراثها بساتينا
وجعلوها طرقيا عريضة وأفسدوا ما حولها من أشجار وبناء
ممن لا يستخدم الكراريط
فنطلب ثمن التراب الذي أخذوه والشجر والبناء الذي أفسدوه
كما هو مقرر في كل الأروبا ولكون نسانا يعجبون
بكون البستان المكشوف فنطلب الفرق بين الذي شق
الطرق والذي لا شق فيه

الثالث عشر من يوم دخول الفرنسيين إلى الإيالة
هذا لم يزالوا يحفرون مقابر آبائنا وأجدادنا ويستخرجون
الأعظم والأحجار ويبنون بها ومعظم موتانا يجدونها
[illegible] وسيجعلون على
[illegible]
[illegible]
مقابر ثانية
[illegible]

ملحق رقم 19

شكاية حمدان

الحمد لله

نقدم التحيات اللائقة والالقاب الفائقة لحضرة الوزير الاعظم دامت معاليه وقد وصلت رافة وسا[illegible]

المعروض على معلومات دولتكم الرفيعة انني اول قدومي لحضرة باريز قدمت عرضحال بالشكاية من [illegible]

ولم يأتني جواب وتأنست بما ظهر من بعض آثار العدل حيث ارتفعت بعض المظالم التي ذكرتها في شكايتي [illegible]

ان سياسة الدولة وعدل الوزارة يتكفل باجراء ما فيه فخر فرنسه من رفع بقية الظلم المذكور في الشكاية [illegible]

ونشك ان الدولة الفرنسوية لم تسمعه ولا ترتضيه وازداد سروري حيث عين الكومسيون المعظم لتفقد

جميع احوال الجزائر ورفع المظالم وسماع الشكايات حتى يتحقق عند الدولة الفرنسوية صدق انبائنا

ثم بعد وصول الكومسيون للجزائر اتاني مكتوب واخبروني ان الدوميني طلب من المفتي قيمة ما صرف على [illegible]

وقع او وقف حبوس على الجامع الكبير هدموها لتوسيع الزقاق وايضا طلبوا من حجام اسمه بن يدام معروف

هدم ما زونه التي كان يخدم لمعيشته فيها وهدمت لتوسيع الزقاق وطولها نحو خمس آذرعات وعرضها ذراعان ونصف

فطلبوا منه المعروف مائة وخمسين فرنك واثنين وثمانين سنتم وايضا ارسلوا لغيرها يطلبون منهم

150.82

ومن اول الفقر طلبوا منه وهي [illegible] المعلوم او [illegible] لهم وهذا امر لا يدخل في ذهن الآدمي انا وكثير من ال[illegible]

وكيلهم لنا املاك كثيرة مهدومة فلم نشك ان يطلب منا كما طلب من غيرنا وحضرة الوزير الاعظم لا شك في ا[illegible]

ايام [illegible] ولم [illegible] ولا يرتضيه وليس في شرع من الشرائع ان الانسان تقطع يده ويعطي معروف القطع

وفي التكيف الذي يخدم به يهدم الدكان باكلها فنرجوا من حسن سياسة حضرة الوزير الاعظم ومن رافته و

رفقه لحال المظلومين والاسارى ان ترفع هذا الظلم لم يعهد في التواريخ مثله وتنهاهم عن ارتكاب مثله

كما هو شان الكرام ومقتضى عرض الدولة الفرنسوية والسيوف واقبل باليمن والسعادة والاقبال ايها الوزير

تعظيم واحترام خديم وزارتكم حمدان بن المرحوم عثمان خوجه وساعه في عرضحاله سنة 1833 [illegible]

وفقه الله

امين

A M G . H32

ملحق 20 رسالة حمدان خوجة الى وزير الحربية

ملحق رقم 20

رسالة حمدان الى وزير الحربية

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله

حضرة الجناب المعظم الاسعد المجاهد في سبيل الله السالك الطريق الارشد ابو العباس السيد الحاج احمد
باشا شكر الله سعيه وامده بمدد العناية وايده واعز جنوده السلام عليكم ورحمة الله وبركاته و
رضوانه ولا زائد بعد حمد الله سوى حبكم واخلاص الدعاء لكم والتشوف لبشائر نصركم هذا وقد جاءتنا
الكتاب التي شرفتمونا بارسالها ووصلتنا بحمد الله جملة الخيل التي ارسلتم وقد سلمناها على وفق امركم الرشيد
لاربابها وتشرفت بهديتكم السعيدة بجملة ما ارسلتم لنا زادكم الله خيرا وشرفا وقد سقت الخيل التي عينتم
لحضرة سلطان الزمان ومظهر الرحمة والامن والامان خليفة الله في ارضه حضرة السلطان محمود
ابد الله دولته واعلى على الاعداء الله صولته فسر بذلك واخلص لكم الدعاء واعتنا في نصره الله بكم
فوق ما تؤملوه ومقتضى الاحوال ... توجب خير ما يشرف به جنابكم ويعظم به قدركم هذا وقد بلغنا
قصد عدو الدين لكم وكنا مترقبين لخبر نصركم وبلغنا خبر دخول العدو لمرسى بلدكم قسنطينة جمع الله
شملكم فيها وشتت شمل عدوكم بايديكم وحمدنا الله حيث تحققنا صحتكم وسلامتكم وكونكم مع من اعده وقوه
المجاهدين للخيل والرجل وتواترت الاخبار بالذي وقع وان العدو في ضيق وانكم قطعتم عليهم المدد وزجوه
من حسن ما عودكم الله ان تاخذه وابناءكم عن قريب وما ذلك على الله بعزيز وقد سقت مكتوبكم لحضرة
المعظم مولانا السيد خليل باشا وترجمته له وشرحت له كلما كتبته وكلما ذكره لنا عنكم تابعكم
الكريم حسين وبثثت منكم في تخليص مرغوبكم بحيث اتحقق انه لو كنتم حاضرين لما امكنكم ان تزيدوا على ما
بذله منكم من المهمات وارى ان الفرج قد اشرف اذ الفرج بعد الشدة وربما صحت الاجسام بالعلل
وعلى كل حال فان الغزو الذي شرفكم الله به قد طال العهد بوقوع مثله فهنيئا لكم بما جاهدتم في الله
حق جهاده وبذلتم جهدكم ولم تتزحزحوا عن طاعة السلطان اعز الله انصاره قال الله تعالى
ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس والعاقبة للتقوى
ولا تياسوا من روح الله ولا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم وقد عظم الله
قدركم عند حضرة خليفة الله في ارضه بل عند اهل الاسلام على قدر عظم اجتهادكم في نصرة الدين
بل وفوق ذلك واصبر وما صبرك الا بالله ولا تك في ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين
هم محسنون وقد وصلتنا كلما ارسلت لنا على وفق ما كتبت لنا لم ينقص منه شيء وسلمناه لكل من
ذكرتم ولا تنتظر لنا في النيابة عنكم في جميع ما يجب علينا من الدعاء لكم والعمل بما تقتضيه الاعتناء
بشانكم والتنويه بقدركم ومراعاة مصالحكم وقد تشرفنا بحسن حبكم لنا حيث ذكرتم حضرة السلطان
ادام الله سعادته برتبة باشا واقتضى رايه السعيد بارسالنا سفيرا الى بعض الدول التي
في الجهة الشمالية المحاذية لبلاد الفلامنك وحيثما اكون فلا احول عن القيام بواجب حقوقكم
واستجلاب اخبار جنابكم والتقيد بمصالحكم اذ اتحاد القلوب بالمحبة والاخوة الدينية لا يتغير مع
بعد المكان ولا قربه فكن مطمئنا جازما بان الدولة اعز الله انصارها ورجال الدولة اسعدهم الله
لا يغفلون بواجب حقكم واعتنائهم بمصالحكم فوق ما امل وذلك لاخلاصكم في طاعة الله و
طاعة رسوله والعمل بمقتضى ما يجب في طاعة السلطان وقد وجه تامرزانا فيما باذن الله
واستجلاب النصر والظفر في خزانة الكتب الشريفة فاكتبه واستصحبه في حروبك وتوكل على الله
وجاهر خلف الورقة ثم ان حضرة الدولة العلية جازمة بان تجبر ما طرا نابكم اكرم جبر
بعطية ترضيه لانه منسوب اليكم ومخلص في خدمتكم ودمتم ودامت عناية الله بكم والسلام
سلام عليكم من كاتبها من اذن من محبه والسلام

من محبكم المخلص
كامل باشا
وفقه الله

١٥ رمضان

ملحق 21
رسالة كامل باي الى الحاج احمد باي

ملحق رقم 21

سعادتلو مروتلو مرید خدایلو جمیل الشیم افندم حضرتلرینک دست عالیلرینی تقبیل وخیر دعالر ایله تأمیل

قلندقدن سابقده تسلیمات وافیاتمز اولدیغندن فلسیغی ختامنده بنم افندم حضرتلری بوندن اقدمجه طرفکزدن ارسال بیوریلان

آثار لیانجه خاصة بر مکتوب بازرکان کلوب ... بو مدت من بعد ... فتح الحجة نارجیه ترکیه بر مکتوب کلوب ذکر اولندقده

وشو بیک التون مادهکمی ذکر بیورمشسکز بنم بو طرفده بیع وشرا ایچون کلدم بو مدت اولدقجه بیک دوریه وارد

مالمزی قبض ایتمیه کلدم زیرا جزائرده اولان ظلم بشقه طرزلو ظالملر ... قریب جزائر جزائر اولدقدن ونزم ذمتمزده

اولان قرضلرینک انکارینه مجال یوقدر ونزم غرضمز مناسب دکلدر بو مقدار تأخیر ایتمز البته بر سبب ایچون ایدر

شمدیکی حالده کندیمزه کشف ایتمک مناسب دکلدر مرحوم بابا حاجینک صاغلغنده بو خصوصی چوق تأمل

ایلدیکی بشقه بر چارهسی یوقمیدر بوندن زیاده سویلیهمم انشا الله دوستلق ومحبت امورنده قصورمز

اولماز وسز افندیمز حال کیفیتی بیلسکز معذور بیورسکز واو طرفده اولان ولی نعما افندیمز مکتوب تحریر

ایتمیه جسارت ایلمدک غالبا معذور بیورلر انکلترا ... سفینهسی تغلیب بزم اولان مکتوبلری تفقد ایتدکلرندن

معلوم اولنه بزی قتل ایتمیه ومالمزی اخذ ایتمیه رغبت ایلدکلرندن بو مدح ... قورتلمق شیلر کبی اظهار ایلدیکی

بعض خاطرلری ... ایتدم شفقه بر علاجنی بولمدم که سوال معذور بیورمزسکز کیم معذور بیورهجق

ملحق 22
صورة الرسالة المرسلة من قبل حمدان خوجة إلى إبراهيم آغا
شاهد رقم 9249 / حمدان
1833
A.O.M. 1H1. Dossier Hamdan

ملحق رقم 22

السيد حمدان طرفندن ابراهيم اغايه يازلديغى مكتوبك صورتيدر

۲۳

سعادتلو مروتلو مرید صفالو جمیل الشیم افندم حضرتلرینک دست علیه لرینی تقبیل وخیر دعالرینی رجا وتأمیل
قلندیغی سیاقده تسلیمات وافیانمز اداسینکله قلندیغی ختامنده بنم افندم حضرتلری بوندن اقدمجه طرفکزدن ارسال بیورلان
آثار لیاقت خامه کز بر مکتوبکز یازرم کلوب وصول بولمشدر من بعد یحیی خطه الحجة تاریخیله ترکیه بر مکتوبکز کلوب ذیلنده
وبش بیک التون ماده سنی ذکر بیورمشسکز بنم بو طرفده بیع وشرا ایچون کلمدم بدمت اولدیغمدن بیک دورو وارد
حالنده عرض ایتمیه کلدم زیرا جزائرده اولان ظلم بشقه طرزده ظلملر ودخی قریب جزائر جزائر اولمقدن وبزم ذهنمزده
اولدیسه قاضیلرک انکارینه مجال یوقدر وبزم غرضمزه مناسب دکلدر بو مقدار تأخیر ایتمز البته بر سبب ایچوندر
شمدیکی حالده کندیمزی کشف ایتمک مناسب دکلدر مرحوم بابا حاجینک صاغلغنده بو خصوصی حقده تأمل
ایلدیک بشقه بر چاره سی بولنمدیغی بوندن زیاده سویلیه مم ان شاء الله دوستلق ومحبت امورنده قصورم
اولمز وسنده افندیمز حالک کیفیتی بیلسکز معذور بیورسکز و اول طرفده اولدیغی نعما افندیمزه مکتوب تحریر
ایتمیه جسارت ایتمدیک غالبا معذور بیورلر انکا فیه سفینه سی تعلیق بزم اولان مکتوبلری نقد ایتلکلرندن
معلوم اولنه بزی قتل ایتمیه ومالمزی اخذ ایتمیه رغبت ایلدکلرندن بو صحت السنده قورتلمق شیلرکی اظهار ایلدیکز
بعض خانه لری وعدن ایتدم شقه برملاحظه بولمدم اکر سوال معذور بیورمزسکز کیم معذور بیورجق



ملحق 22
صورة الرسالة المرسلة من قبل حمدان خوجة إلى ابراهيم آغا
شاطو رقم 9249 / جوان 1833
A.O.M. 1H1. Dossier Hamdan

ترجمة الرسالة المحررة من قبل حمدان خوجة الى ابراهيم آغا

ترجمة : الدكتور/توفيق بـــرو

الى سعادة صاحب المروءة كريم الشيم ••• بعد التحيات الوافرة والرجاء والامل بصالح دعاكم ، نعلم حضرتكم بانه بعد وصول رسالتكم المحررة باللغة الايطالية ، والمرسلة الى باريس استلمنا رسالتكم المحررة بالتركية والمؤرخة فى (التاريخ غير مقروء) ذى الحجة • وقد تفضلتم بذكر الخمسة آلاف لـيرة ذهبية • اننى لم احضر الى هنا لاجل البيع والشراء • اننى جئت لعرض حالتى•

ان الظلم فى الجزائر ظلم مختلف الشكل • وعن قريب تعود الجزائـر جزائر • ليس لى ان اهكر الدين الذى بذمتى ، ومن غير المناسب ان اعرض احوالى ، ولابد من وجود سبب لتاخيرى عن تاديته ، ولا ارى من المناسب ان اكشف عن حال الحاضر • وقد رجوت ان يكون هذا الامر حاصلا فى حياة المرحوم حاجى بابا • ليس لى وسيلة اخرى ولا استطيع ان اقول اكثر من ذلك • وان شاء الله سوف لا يكون منى اى تقصير فى الصداقة والمحبـــة • واطلب منكم ان تعلموا الحال وتتكرموا بالمعـــذرة • اننى لم اتجاسر اولا ان اكتب لولى النعمة ، وعلى الاغلب سيعذرنى •

malveillance et de la tyrannie, je la prie de vouloir bien donner des ordres pour que tous les membres de ma famille puissent un jour plutôt se rendre à Constantinople.

Après avoir abandonné Alger, ce ne peut plus être pour les injustices que j'ai personnellement éprouvées dans cette ville, que je réclame aujourd'hui l'équité de votre Excellence envers moi, pour prier Monsieur le Ministre de voir en moi qu'un pauvre vieillard privé de ses enfants, et [illegible] en faveur de ce motif [illegible] contrairement de [illegible] sujets de [illegible] liberté de [illegible].

votre humble serviteur

l'étranger Hamdan fils de
feu Usman Khodja

Constantinople le 10. de la Lune Rabi Ulloul
de l'année de l'Hijira 1252.

ملحق 23 – الصفحة الأخيرة من تقرير حمدان الى الوزير الفرنسي

Mandat de dépôt

contre

TRIBUNAL DE PREMIÈRE INSTANCE D'ALGER.



DE PAR LA LOI :

NOUS, juge d'instruction pour la ville d'Alger, Mandons et ordonnons à tous huissiers ou agens de la force publique, de conduire en la maison d'arrêt de cette ville, en se conformant à la loi les nommés 1° Ahmed Abouderba ; 2° Adj Mohamed Braham Koja ; 3° Ali Bouradai ; 4° Adj Hassan ben Hamdam & 5° Mohammed ben Ahmed —



Enjoignons au concierge de ladite maison d'arrêt de les retenir et garder en dépôt jusqu'à nouvel ordre.

Requérons tous dépositaires de la force publique, de prêter main-forte pour l'exécution du présent mandat.

Fait à Alger, le 24 Septembre 1836.

ملحق رقم 24

شهادة القاء القبض

ملحق 24

A.O.M, 1H1

ملحق 25 ـ رسالة حمدان الى احمد باى
الارشيف العام التونسى (ملف 384)

ملحق رقم [illegible] رسالة حمدان خوجة الى الحاج احمد باي
الأرشيف العام التونسي، وزارة الخارجية، ملف [illegible]، وثيقة رقم [illegible]

ملحق 26

رسالة حمدان الى الحاج احمد باى

اوله

اتصل بنا كتابكم الوصول بواسطة كامل باشا بن جبنه ودلت خليل باشا لي صحت له توجيه

ما كتبتم لجميعهم ثم توجهت بالمناسبة الي ان قلت له انا الكاتب هو ادعي كونه فلانا الذي

والحال انه متعالم معه وان سلكتم عن هذا بانه يريد كونه سلطان لا انا فولي والرياض ونابع

الا ويلزم ان تقاربوه او تماكروا معه عن جميع الرايات والاية ابو منه في المال ان تبعلمه

ابيلوه الان قبل ان يشتد في الي الكلى ما للحكم وقبل ان يتقوى وتغضبون ثم قلت له ايه لو كنت

كتبت في هذا المعنى لي وات ونالت وارام الرحم بيتو باشا والتمس كلامي ووعدني بعلم

ثم لم اد ما وضع عليه انه يعمل ذلك لنا وضع ما وضع ما جابني بانه لا علم له بشيء من ذلك وطلب ان

اعطيه نسخة ذلك يا درت بايلول ذلك وابن ذلك فدوم رشيد بحكاياي وذلك الاوذ ان

انا كله رتعلقناته بي فتشه عليه ارتا بارية بان اعرضه في ناظر المملكة ما كتب باشا الاذ

وجمع عرضه باي باشا فعلته وانا الان بصدد عرضها في خليل باشا ثم اي سالت رشيد باي عما

الكتب لي باجابني بان اذل لجناب انه سيبيع بنفسه له وهل اذ له شيء ما يتعلق بالوزير

كتب خليل باشا فقال ان ذلك او بلوى وابو ولكن يحتاج الي طول اي ان تلك الدولة

جميع الاجناس وهذا سبب تاخير في الكتابة الجواب للحاج احمد باشا والحاصل هو جملت كلها

يجب علي ولم اقبل عن عفوها الاصلاح لحربة مين ولا عن عفوها سيا وشيخ منذ فوت الي يوسا

مكتوبه رشيد باي عرضته عليه بهذا السمو ولا تبي منهم براءة يوم به ووعدني بعمل

كلما يلزم ونرارا اناخير دخول السرو لقسنطينة وقد بلغنا انه عام تموة ومستجلونها

ان شاء الله تعالى ثم باشا السير ان نصيحتي لجنابكم حيث انه ان اختلت عليكم الرعية

والعياذ بالله وراية الا و[illegible] الافعال بانكم كتبه يلي وصلح الى هنا بكل العيال

ملحق رقم 27 مفتاح الرسالة التي بعثها حمدان خوجة الى احمد باي الموضحة في ملحق 26 . الارشيف العام لوزارة الخارجية التونسية ملف رقم 384 - وثيقة رقم 129 .

من الاتباع ولولا ان العموم اليه بانه زيادة [illegible] لي وافضى بان السلطان يطيع

فيما بين ما يتعلق بالمال ويطيعهم لوقت الحاجة كما يعلم من حال باشا [illegible] فانه

كان يلجأ مع انه لم تكن منه مخيلة واما ما جاء بانه يرجع بالميل الكلي ومعاهد

مع محبة لي يكاد يبلغ حد العشق [illegible] ذلك وما هو الا ما يبين ان سبب

العداوة مع الكبار لا يرون من مذهب ما لم [illegible] انه [illegible] في الفضل ومرة [illegible]

فيما بين يديه صحابة الحب وهكذا بسبب الوبا مع امور يطول شرحها ولم [illegible]

في ذلك وليس [illegible] او هم [illegible] [illegible] وقت منه [illegible] ثم

المحبة لي ومن [illegible] له [illegible] بانه [illegible]

الدولة صغيرا الى جهة [illegible] ولا تقتضي له ولا ما يفوز [illegible] الله خيرا [illegible]

١٣٠٢ [illegible]



[illegible]

تابع ملحق 27

وفي الاشتاء ولولا ان الجرم الحب بانه زيادة وسنة لكم ولا شك بان السلطان يطلبكم
في شيء عوض ما يليق بالبال ويعطيكم لوقت الحاجة كما يليق من جهة بان الذي كان في
الجهة من انه لم تكلمني منه بتفصيله واما جنابكم بانه يعرفكم بالميزان الكبير ومعاشكم
مدة ومعكم لكم يكاد يبلغكم حو العشق ما علم ذلك وما هو الا ما بيني من اسباب
العداوة مع الكبار لا يدرون في ضعف حالهم بكثير انه فوما ت لهم في العمل وهو مصيبهم
شيء ما في يديهم حسبما نية الحب وهكذا بسبب الوباء من امور يطول شرحهما ولم يزل
في ذلك وليس عندنا ارض يمكنا ما دمتم به وعندكم لا مال باي تمار يحتمل بوجوده ثم
الحب لكم ومن ملكتم في ملتوبكم له بذل مجهوده بانهم لا مال بانك بدا بقي انه رجع بانك وعينه
الاولى حبيرا الى جهة العلامة وما تقتضيه في كل ما يفور نزاء اليه خيرا وورقة رمضان
عام ١٣٠٣

الخاتم
... حمودة ...

تابع ملحق 27

ومن الاتباع ولولا ان الجموم الب بانه زيادة وقة لكم وما فشى بان السلطان يطيح
فيهم فوق ما ينال بالبال ويصطبح لوقت الحاجة كما بلغ من يجي بانه الزيكان في
الجمع من انه لم تلقى منه فضيله واما جنابكم بانكم يدونكم بالمبنى الكلي ومعاشكم
منهم ومهم لكم يكاد يبلغهم حر العشق باعلم ذالك وما هو الا ما يبين لنا اسباب
العداوة من الكبار لما يرون من ضعف حالهم بالبعيد انه قد مات لهم من العسكر ومدة عسكرهم
شيء بان يردهم حسبما يحتاج الب وهكذا بسبب الوبا مع امور يطول شرحها ولم العزم
في ذالك وليس هو الا رحمه يمكننا بادته به وصح لكامل باي تمارت منه بوجه تم
الحبيب لكم ومن قلقتم في ملتوبكم له بذل قدره بانهم كامل باي برابق انه رجع بالك ويفتش
الاولة مسيرا الى جهة البلاد منك وما تقتضيه فكلما يقدر قدرا الله خيرا ودقة وكان

عام ١٢٠٣ م

المصدر
أ.ع.ح.ت، [illegible]

تابع ملحق 27

الرموز التي استخدمها حمدان خوجة في رسالته لأحمد باي والمدرجة ضمن الملاحق رقم 26 علماً وأنه كان استخدم رموزا أخرى تختلف عن هذه في رسائل أخرى.

الحرف	الرمز
ا	•
ب	∴
ت	٣
ث	ا
ج	⁘
ح	=
خ	٦
د	٧
ذ	ه
ر	c
ز	وكذلك علامة +
س	<
ش	~
ص	ع
ض	ﻬ
ط	؞

الحرف	الرمز
ظ	G
ع	٢
غ	[illegible]
ف	٣
ق	×
ك	÷
ل	–
م	U
ن	⁚⁚
هـ	٨
و	٥
ي	١٠
الـ	٩
لا	٢

ملحق رقم 28

(9)

الشكل . رقم: رسالة الامير عبد القادر الى حمدان خوجة

ملحق 29 ــ رسالة الامير عبد القادر الى حمدان خوجة
BA ارادة خارجية 820

ـ مصادر ومراجع البحث ـ

ـ أولا : دور الوثائق.

ـ ثانيا : المصادر والمراجع باللغة الفرنسية.

ـ ثالثا: المصادر والمراجع باللغة العربية.

اولا : دور الوثائق :

أ ـ الأرشيفات :

1 -- Archives Nationales d'outre-Mer, A Aix-en-Province.
1 H 1, dossier Hamdan Khodja.
1 h 1, dossier Boudarba.
1 H 1, Politique et administration général.
1 X 1, Micro No. 1 à 4.

عبارة عن مراسلات لحمدان خوجة وتقارير حوله وحول أحمد بوضربة، وجزائريين آخرين.

تتعلق باسماعيل ايربان،

2 -- Archives du Ministère de la guèrre à Vincennes:
-- Carton H 32
-- Carton H 20.

مراسلات حمدان خوجة

3 ـ أرشيف الحكومة التونسية الوزارة الأولى :

من أهم الملفات التي اطلعنا عليها، Dossier 384 وفيها مراسلات لحمدان خوجة إلى أحمد باي.

4 ـ أرشيف وزارة الخارجية باسطنبول : يحتوي على اعداد كبيرة من الوثائق المتعلقة بموضوع بحثي، وانه من الصعوبة بمكان الاطلاع عليها، وقد تمكنا من تصفح القليل منها، وخاصة المدرجة في : خط همايون. عبارة عن الآلاف من الوثائق، منها ما يتصل بنشاط حمدان خوجة، وغيره.

ب - المكتبات :

1 - المكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، اعتمدنا منها مخطوطا لحمدان خوجة تحت رقم 2161، انظر الفصل الثاني، من هذا البحث.

2 - المكتبة السليمانية: باسطنبول، تعد من المكتبات الغنية بأنفس المخطوطات والمؤلفات النادرة، وقد اعتمدنا منها المخطوط «نور الايضاح» ترجمة حمدان خوجة قسم أسعد أفندي، تحت رقم 598، انظر الفصل الثاني.

3 - مكتبة جامعة قسنطينة: بها مؤلفات عامة، وموسوعات ومعاجم، اعتمدنا بعضها ...

4 - مكتبة وأرشيف بلدية قسنطينة، فيما يخص الأرشيف، لم يرتب بعد، وقد تصفحنا قسما كبيرا من محتوياته، ولم نعثر عن شيء يزيد في اثراء بحثي أما المكتبة، فهي غنية بالمؤلفات النادرة، التي تعد من أهم المصادر لدراسة الفترة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر.

5 - مكتبة وأرشيف ولاية قسنطينة: على الرغم من تصفح خزائن هذا الأرشيف المرتب، الا أننا لم نحظ بما يخدم موضوعنا ، أما المكتبة، فهي ثرية بمؤلفات ودوريات هامة، خدمت موضوعي خدمة كبيرة.

6 - مكتبة وأرشيف ولاية الجزائر: فالمكتبة هي الأخرى غنية بالمؤلفات القيمة، أما الوثائق فلم نجد بها ما يخدم موضوع بحثي سوى مجموعة رقم 19، بقسم بيت المال، والتي تشير إلى أن حمدان خوجة قد اعتق زنجيتين في سنة 1247 هـ الموافق ل 1831 م.

7 - مركز الرئيس بومبيدو (بوبور سابقا) بباريس لا يحتوي على ما يمت بالصلة ببحثنا من الوثائق ، الا من المؤلفات القيمة.

8 ـ المكتبة الوطنية بباريس: فهي الأخرى غنية ببعض المصادر ذات الصلة المباشرة بالفترة التي هي محل دراستنا.

9 – Bibliothèque de l'Arsenal à Paris. Catalogue (W 19-12), (W 19-12).

لم نجد ما يتعلق بموضوعنا الا من بعيد وبالضبط فيما يخص اسماعيل ابربان.

ج ـ الدوريات

1 — MONITEUR ALGERIEN,
No. 10, 10 avril 1832. No. 12, 24 avril 1832.
No. 15, 14 avril 1832. No. 23, 10 juillet 1832.
No. 24, 14 juillet 1832. No. 26, 28 juillet 1832.
No. 28, 11 août 1832. No. 43, 17 novembre 1832.
No. 44, 24 novembre 1832. No. 45, 1 décembre 1832.
No. 49, 29 décembre 1832. No. 52, 13 janvier 1833.
No. 58, 2 mars 1833. No. 68, 9 mai 1833.
No. 69, 16 mai 1833. No. 71, 31 mai 1833.
No. 86, 14 sept. 1833.

2 — Georges YVER, in., Révue Africaine, 1913 Librairie UNIV., Alger, 1913.

3 — YACONO Xavier, in., Revue Africaine, 1954.

4 — YOCONOX, in, Revue historique, P.U.F., oct-dec., Paris, 1973.

5 — TEMIMI, A., in, Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranéée, No. AIX-en Provence, 1968.

6 — Revue de l'Afrique du Nord, No. 1, du Iè Novembre, 1921.

7 — HAMDAN, K., in, Extrait de l'Observateur des Tribunaux, T, IV livraison 3 & 4, Paris, juillet 1834.

8 — NOUSHI A., in,· ACTES du Iè congré d'études des cultures Méditerraneennes d'influence Arabo-Bébère, S.N.E.D., Alger, 1973.

9 ـ التيمي عبد الجليل. في المجلة التاريخية المغربية ـ العدد 7 و 8 ـ مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل ـ تونس 1977.

كاسم موسى العدد 25 و 26، نفس المطبعة، تونس 1980.

10 ـ الأصالة ، العدد 4 وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، البعث، قسنطينة 1971.

11 ـ مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر، أفريل 1977.

12 ـ دائرة المعارف الاسلامية، نقلها محمد ثابت وآخرون، المجلد 13 ط، س؟.

13 ـ خير الدين الزركلي، الاعلام، ج 1، ط 3، س؟.

14 ـ المنجد في اللغة والاعلام، دار الشروق، ط 20، بيروت 1960.

ثانيا : المصادر والمراجع باللغة الفرنسية :

- A -

— ALEX Colombel, du -arti qu'on pourrait tirer d'une expédition - Paris, fevrier 1830.

— ALEXANDRE de Laborde, au Roi et aux chambres sur les véritables causes de la rupture avec Alger, et sur l'épédition qui se prépare, Truchy, Paris, 1830.

— ALLARD, M., concédiration sur la défficulté de coloniser la Régence d'Alger, et sur les resultats probables de cette colonisation, SELLÈGUE, Paris, 1830.

— AUBIGNOSC (D'). Alger de son occupation depuis la conquête. DENTU. Paris, juillet 1836.

— B —

BABRON, Il faut garder Alger, l'honneur Français l'ordonne SETIER, Paris, 12 juillet 1830.

— BERTHEZEN, dix-huit mois à Alger (juin 1830 — déc. 1831), 305 p, August-Ricard, Paris 1834.
— BIANCHI, M., relation de l'arrivée dans la rade d'Alger, Ladvocat, Paris, 1830.
— BROSSARD, DE., mélanges sur l'Afrique, 80 p, BABTISTE GEAN PERPIGNAN, 1838.
— BLANQUI, M., Algérie, rapposws qqr la situation économique 104 p. COQUEBERT, Paris, 1840.
— BONNAFONT, reflexion sur l'Algérie, Particulièrement de la province de constantine, Paris, 1846.
— BONNET et AUTRES, procés - verbaux et rapports de la commission spécialeen 1833, imprimerie ROYALE, Paris, 1834.
— BONNET et AUTRES, procés - verbaux et rapports de la commission d'Afriquue en 1833, imprimerie ROYALE, Paris, 1834.

— C —

— CARETTE, Algérie, 2è édition BOUSLAMA, Tunis, 1980.
— CHARLES Féraud, les interprètes de l'armée d'Afrique, 479 p. Alger 1878.
— CHARLES Féraud, histoire des villes de la province de constantine (BOUGIE), 328 p, ANOLET, CONSTANTINE, 1869.
— CHARLES Féraud, histoite des villes de la province de constantine, (PHILIPPE-VILLE), JOURDAN, ALGER, 1875.
—CHARLES ROUX, France et Afrique du Nord avant 1830, les precurseurs de la conquète, FELIX ALCAN, Paris, 1932.
— CLAUZEL, observation sur quelques actes du gouvernement de Clauzel, Paris, 1831.
— CLAUZEL, éxplications de Marichal Clauzel, 189 p. AMBOISE - DUPONT, Paris, 1837.
— CAZE, F., notice sur Alger, 38 p, FELIX LOCQUIN, avrilli 1831.
— CHARLES Robert Ageron, Algerie Algérienne de Napoléon II à DEGAULLE, SINDEBAD, Paris, 1980.
— CHARLES Robert Ageron, Histoire de l'Algérie contemporaine, P.U.F., 3è édition, Paris, 1969.

– CORNULIER, comte de Lucinier), Prise de Bone et BOUGIE (1832-1833), d'aprés des documents inedits, 377 p, BERGER, paris, 1898.
– COKENPOT, CH., traité DES MICHELS, ERNEST TEROUX, Paris, 1924.

— D —

– DOUIN Gèorges, Mohammed ALY et l'éxpédition d'Alger (1829--1830), le Caire, 1930.
– DESMAREST et REDRINGUES, de constantine et de la domination Française en Afrique, 164 p, DELAUNAY, Paris, 1837.
– DESMICHELES, ORON sous le commendement du général desmicheles, ANSELM, Paris, 1835.
–DOMBASLE, Matieu de, de l'avenir de l'Algérie, 27 p, POULLET, Paris, 1838.
– DUVIVIER, Algérie, QUATORZE observations sur le dernier mémoir du général BUGEAUD, 142 p, DELLOYO, Paris, 1842.
–DUVIVER, solution de la question de l'Algérie, GAUTTIER-LAGAUIONIE, Paris, 1841.
–DUCHASSAING, M.E., la vérité sur Alger, DENSARD, Paris, 1840.

— E —

—ESQUER Gabriel, correspondance du duc de Rovigo (1831--1833).
T, 1, Alger, 1914.
T, 2, Alger, 1920.
T, 3, Alger, 1924.
—ESQUER Gabriel, correspondance du Général VOIROL (1833--1834) Paris, 1924.
—ESQUER Gabriel, correspondance du Général DROUET d'ERLON (1834--1835) HONORÈ-Edouard, CHAMOION, Paris, 1926.
—ESQUER Gabriel, correspondance du Marichal CLAUZEL (1835--1837) T, 1, Larose, Paris, 1948.
—ESQUER Gabriel, les commencements d'un empire, la prise d'Alger 1830, Larose, Paris, 1920.

—EDOUARD SOLAL, PHILLIPP
—EDOUARD SOLAL, PHILIPPE-VILLE et sa région (1837--1870), la maison des livres,(?)

— G —

—GENTY de BUSSEY, de l'établissement Français dans la régence d'Alger, T, 1, Fermin-DIDOT frères, Paris, 1835.
—GRAMMONT, H. DE, histoire d'Alger sous la domination Turque 420 p, ERNEST GEROUX, Paris. 1887.
—CORRECH de LAUZERTE, desastre de constantine, 138 p, DENTU, Paris, 1837.
—GAILLARD, M., sur Alger, 107 p, BONIER-LAMBERT, Paris, 1837.
— GEORGES YVES, correspondance du capitaine d'AUMAS, Alger, 1912.

— H —

— HAMDAN BEN OTHMAN KHODJA, aperçu historique et statistique sur la régence d'Alger, intitulè en arabe le miroir, traduit par HéDéé oriental, T 1, GOETSCHY, Paris, 1833.
—HABART Michel, histoire d'un parjure, MINUIT, Paris, 1961.
—HIPPOLYTE PEUT, annales de la colonisation, T, 1, (14 tomes) Bureau des annales de la colonisation Algérienne, Paris, 1852.
—HARDY Georges, Hist. de la colonisation française, Larose, Paris, 1928.

— J —

—JULIEN Charles, A., histoire de l'Algérie contemoraine, P.U.F. Paris, 1964.

— L —

—LOUIS Blan, histoire de dix ans, T 3, IIé édition, PEGNERRE, Paris,)?(·
—LÉON Blandel, nouvel apperçu sur l'Algérie, 127 p, DELAUNAY, Paris, 1838.
—LÉON Roché, trente deux ans à travers l'Islam, T 1, Paris, 1884.
—LÉON Roche, dix ans à travers l'Islam (1834--1844), Paris, 1904.

— M —

—MARCEL Emerit, l'Algérie à l'époque d'Abd Elkader, Larose, Paris, 1951.
—MARCEL Emerit, les Saint- simoniens, En Algérie, Paris, 1941.
—MARQUISE de Partillat, le., relation de la compagne dAfrique 255 p, 2è édition, DENTU, Paris, 1832.
—MOHAMMED Sghir Ben Youssef, CHRONIQUE Tunisiènnes, traduit par SERRES Victoire et Mohammed Lasram, 2è édition, BOUSLAMA, Tunis, 1978.
—MORLET, les Maures de constantine, 1840, 318 p,)?).
—Ministère de la guèrre, collection des actes du gouvernement, depuis l'occupation jusquau 1ère octobre 1834, Royal, Paris, 1843.

— N —

—NETTEMENT Alfred, histoire de la conquète d'Alger, suivie de tableau de la conquète d'Algérie 667 p, JACQUE le coffre et Cie, Paris, 1856,.

— P —

—PELISSIER de Renaud, annales Algériennes, T 1, 2, nouvelle édition, Paris, 1854.
—PICHON, le Baron, Alger sous la domination française, sonétat présent et son avenir, INT. 30 — 509 p, Paris, 1835.
—PLANTET Eugène, correspondance des DEYS d'Alger avec la cour de France (1579--1833), T 2, Paris 1889.
—PELION, M. D., concédiration politique et materièl sur l'Algérie 102 p, BAUDOUIN, Paris, 1838.
—POULLE Emmanuel, concédiration générales sur la régence d'Alger 153 p, KRABBE. H., Paris, 1840.
—POULLE Emmanuel, Alger et le conseil général du VAR, 78 P, HENRY, Paris, 1838.
—PAUL Pillant, cent ans d'histoire, VUIBERT, Paris, 1947.

— R —

—RENAUDOT, M., Alger, tableau du royaumme de la ville d'Alger 232 p, universelle de MONGEÈ, Paris, 1830.
—ROSET, Alger, 2è édition BOUSLAMA, TUNIS, 1980.
—ROGNIAT, V., la question de l'algérie, 77 p, CORRÈARD, Paris, 1840.

— S —

—SERRES, J., la politique turque en Afrique du nord sous la monarchie de juillet, Paris, 1925.

— T —

—TEMIMI, A., le beylik de constantine et Hadj Ahmed Bey (1830--1837), P.S.T.A.G., Tunis, 1978.
—TASSY, Laugier de., histoire du royaumme d'Alger, AMESTERDAME, 1725.
—TESTA, BABRON de., recueil des traitès de la porte ottomane, T 1, Paris, 1864.

— V —

—VALET RENÈ, l'Afrique du nord devant le parlement au XIXè Siècle (1828--38, 1880--81), 256 p, H., CHAMPION, Paris, 1924.

مجهول المؤلف :

—Sur la guère actuelle avec la régence d'Alger, une réponse à un écrit de M., Le Comte de Laborde, Verret, Paris, Mai 1830é

ثالثا : المصادر والمراجع باللغة العربية :

— أبو القاسم سعد الله أراء وأبحاث في تاريخ الجزائر، ش،و.ن.ت.، الجزائر، 1978.

— ابو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال) ط 2 بمعهد البحوث والدراسات العربية، 1976.

— أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ط 1، بيروت، 1969.

— أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، 2 ش.و.ن.ت. الجزائر، 1979.

— أبو القاسم سعد الله، ابن العنابي رائد التجديد الأسلامي، ش.و.ن.ت. الجزائر، 1976.

— أحمد باي، مذكرات، ترجمة، محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت. الجزائر، 1973.

— أحمد الشريف الزهار، مذكرات، ترجمة أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت. الجزائر، 1974.

— أحمد أمين ، زعماء الاصلاح، مكتبة النهضة المصرية، 1949.

— اسماعيل العربي، العلاقات الدبلوماسية الجزائرية، في عهد الأمير عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

- ب -

— البغدادي اسماعيل باشا، هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار الصنفين، مطبعة البهية - اسطنبول، 1951.

ـــ بالمر، ر، تاريخ العالم الحديث، ترجمة محمود حسين الأمين، ج 1، مكتبة الوفاء، الموصل، 1964.

- ت -

ـــ التميمي عبد الجليل، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816 ـ 1871). ط 1، الدار التونسية للنشر، 1972.
ـــ تشرشل، هـ، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة أبي القاسم سعد الله، ط 1، الدار التونسية للنشر، ش.و.ن.ت.، 1974. .
ـــ توفيق برو، محاضرات في تاريخ المسألة الشرقية (لم تطبع) ألقيت على طلبة الدراسات العليا، تاريخ، بمعهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة.

- ج -

ـــ جرانت، أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين، ترجمة بها فهمي، ج 1، مؤسسة سجل العرب، القاهرة، 1978.
ـــ حسين الشرنبلالي، نور الايضاح (امداد الفتاح)، ترجمة حمدان خوجة، مكتبة السليمانية، مخ، قسم أسعد أفندي، رقم 598.
ـــ حمدان خوجة، ملخصات تراجم المكتبة الوطنية الجزائرية، مخ، قسم المخطوطات رقم 2161.
ـــ حمدان خوجة ، المرآة، تعريب محمد العربي الزبيري، ش.و.ن.ت. الجزائر، 1975.
ـــ حمدان خوجة المرآة، تعريب محمد بن عبد الكريم، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1972.

- د -

— دودو أبو العيد، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830 ـ 1855) ش.و.ن.ت.، الجزائر، 1975.

- ر -

— رشاد الامام، سياسة حمودة باشا في تونس (1782 ـ 1814)، منشورات الجامعة التونسية، 1980.

- س -

— سيمون بفايفر، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، ترجمة أبي العيد دودو ش.و.ن.ت.، الجزائر، 1974.

- ش -

— شلوصر، ف، قسنطينة، أيام أحمد باي (1832 ـ 1837)، ترجمة أبي العيد دودو ش.و.ن.ت.، الجزائر، 1977.

- ص -

— صلاح العقاد، المغرب العربي، ط 3، مكتبة الأنجلو المصرية، 1969.

- ض -

— ضيف الله محمد الأخضر، محاضرات في النهضة العربية الحديثة ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1980.

- ع -

ـ عبد الرحمن تشايجي، المسألة التونسية والسياسة العثمانية (1881 ـ 1913) ترجمة الكيمي عبد الجليل، ط 1، الشركة التونسية للفنون والرسم، تونس، 1973.

- غ -

ـ عبد اللطيف بن شنهو، تكون التخلف في الجزائر (1830 ـ 1962)، ط 1، ش.و.ن.ت.، الجزائر، 1979.

ـ علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة (1788 ـ 1914) الأهلية للنشر والتوزيع، ط 2، بيروت 1978.

ـ ف ـ

ـ فيشر، أ. هـ، تاريخ أوروبا في العصر الحديث، ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع المنبع، ط 5، دار المعارف المصرية، س، ط؟.

ـ ك ـ

ـ كوران أرجمند، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تعريب التيمي عبد الجليل، ط 2، الجامعة التونسية، تونس، 1970.

ـ ل ـ

ـ لوتسكي، تاريخ الأقطار العربية الحديثة، ط 7، دار الفرابي، بيروت، 1980.

— محمد محمد حسين، الاستعمار الفرنسي، ط 3، دار النصر للنشر والاعلام، القاهرة، 1962.

— محمد أبو زهرة الامام، ابن تيمية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1977.

— محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مطبعة التقدم، القاهرة، 1912.

— محمد ضياء الدين، تاريخ الشرق العربي والخلافة العثمانية أثناء الدور الأخير (1774 ـ 1924)، ج 1، القاهرة، 1950.

— محمد بن عبد الكريم ، حمدان خوجة الجزائري ومذكراته، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1972.

— محمد باشا الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية، الاسكندرية، 1903.

- ن -

— ناجي نجيب، الرحالة الى الغرب والرحالة إلى الشرق ط 1، دار الكلمة للنشر، بيروت 1981.

- ي -

— يحي بو عزيز، ثورات الجزائر، ط 1، البعث، قسنطينة، 1980.

اسمـاء الأعـلام والأماكـن

ـ أ ـ

ـ ب ـ

ـ ت ـ

- ج -

- ح -

ـ خ ـ

ـ د ـ

ـ ر ـ

- ع -

- ف -

- ق -

- ك -

- ل -

- م -

ـ ن ـ

ـ هـ ـ

فهرس موضوعات الكتاب

ان البحث فى القضية الجزائرية وتطورها ، من أهـــم الدراسات فى تاريخ الجزائر الحديث . ودراسة شخصية حمدان ودورها فى تطـــور هذه القضية : لمن أهم الدراسات أيضا . على الرغم ما لهذه الشخصية من أبعاد سياسية وفكرية ، فهى لم تنل حظها من البحث ، وظلت مجهولـة كغيرها من الشخصيات الوطنية ، خلال فترة غير قليلة من عهد الاستعمار الفرنسى .

هذا الاستعمار الذى مر بمراحل . الحصار ، الغـــزو ، الاحتلال ثـم التوسع . وأثناء هذه المراحل تطورت القضية الجزائرية : من قضية خاصة بالحكومة الفرنسية ، الى قضية وطنية شغلت بال الحكومة الفرنسيـــة والبرلمان والشعب الفرنسى ، ثم الى قضية دولية أخذت حيزا من اهتمامات كل الاطراف الدولية ... فكانت ردود الفعل : **الجزائرية** المتمثلة فى المقاومة السياسية الفكرية ، والسياسة العسكرية بشقيها العسكرى المنظم والعسكرى الشعبى . **والدولية** : حيث كان لكل [illegible] العـــالى ، بريطانيا ، روسيا ، بروسيا ، النمسا ، الولايات [illegible] تونس ووالى مصر . موقف معين تجاه القضية الفرنسية .

وكان أيضا لحمدان خوجة وغيره من الشخصيات الجزائرية دور هام فى المقاومة السياسية الفكرية ... اذ كان على دراية بخبايا السياسة الفرنسية وبنواياها الرامية الى التوسع . ففضحها فى مؤلفـة ، المرآة ، ومذكراته ، وفى مراسلاته .